

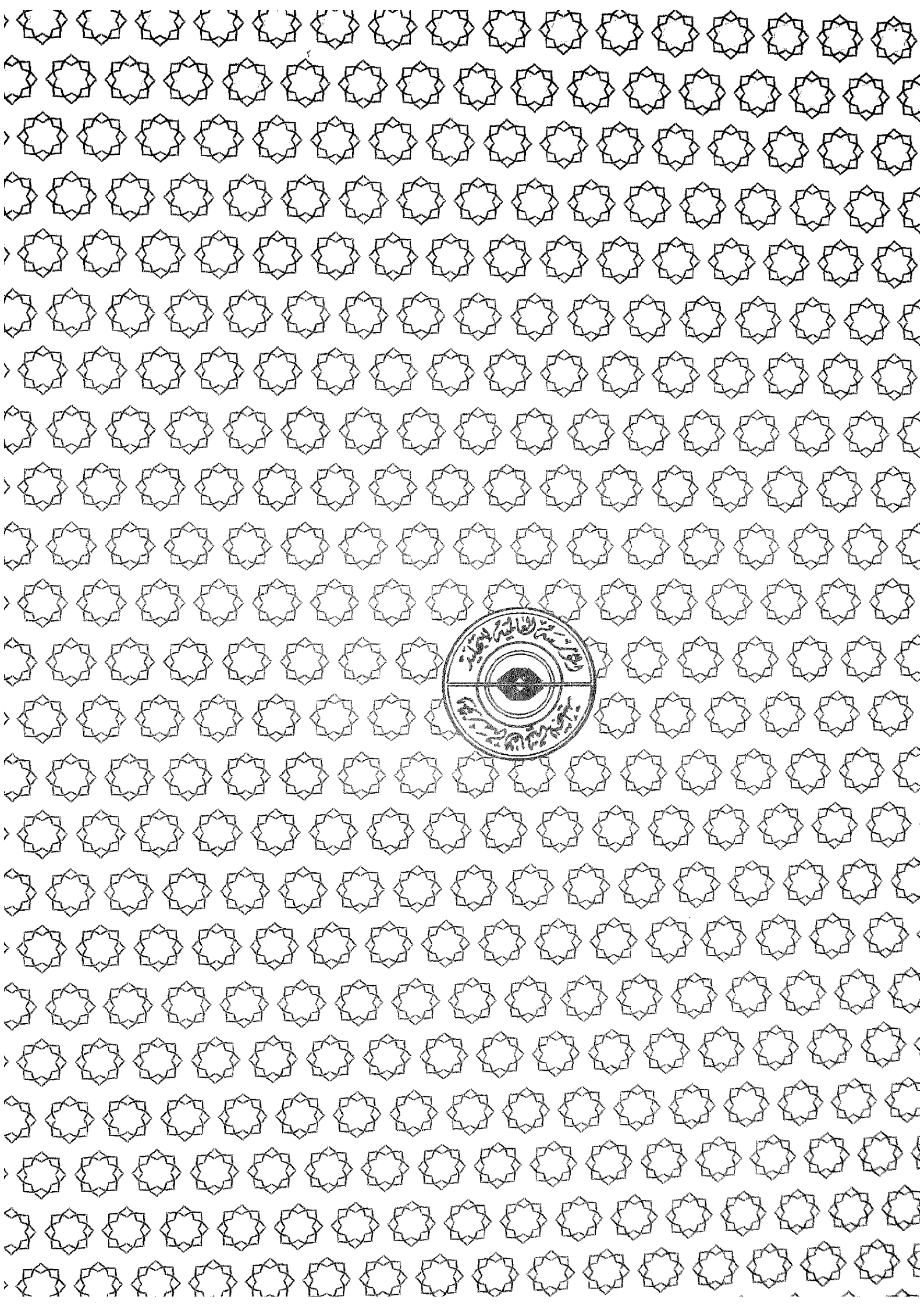
موسوعة

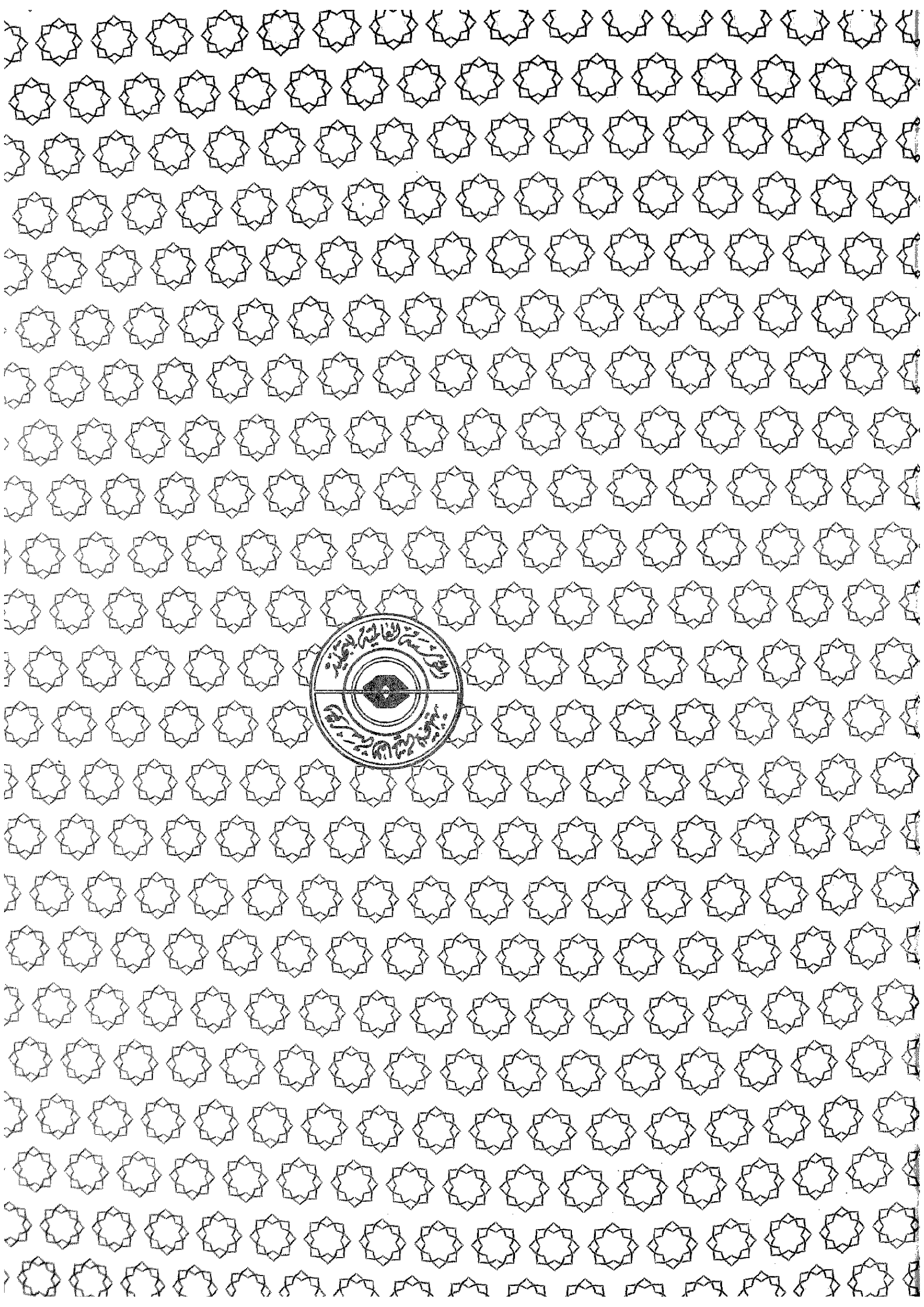
الأعمال على

الفقيه
محمد جواد مغنّية

الجزء الأول

وآثار السيد
وآثار الجواد





موسوعة
الإمام علي عليه السلام





الفقيه
محمد جواد مغنّية

موسوعة الإمام علي عليه السلام

يحتوي هذا الكتاب على كل ما كتبه
محمد جواد مغنّية في الإمام علي عليه السلام

الجزء الأول

دار الجواد

للطباعة والنشر والتوزيع

ص.ب ٥٨١٣ - ١٤

بيروت لبنان ٥٢٠٧٠ - ١١

DAR AL JAWAD@HOTMAIL.COM

دار التيار الجديد

للطباعة والنشر والتوزيع

ص.ب ٥٨١٣ - ١٤

بيروت لبنان ٥٢٠٧٠ - ١١

الطبعة الأولى
حقوق الطبع محفوظة للناشر
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

دار التيار الجديد للطباعة والنشر والتوزيع
تلفون ٠١/٥٤٤٠٩٠ - ٠٣/٥٧٨٨٥٠ - فاكس ٠١/٥٤١٩٣٠
الشيخ - شارع معوض - بيروت - لبنان



مقدمة الناشر

لقد كتب محمد جواد مغنية رحمه الله في الإمام علي عليه السلام طوال مدة حياته، وكانت كلمة «علي» آخر كلمة كتبها قبيل وفاته. واليوم، رأينا أن نجمع مؤلفاته الأربعة (علي والقرآن)، (امامة علي والعقل)، (علي والفلسفة) و(فضائل الإمام علي) في كتاب واحد أسميناه (موسوعة الإمام علي عليه السلام) وهي تحتوي علي كل ما ألفه محمد جواد مغنية في أمير المؤمنين عليه السلام. راغبين أن يكون هذا الكتاب الموسوعة ذخراً للمكتبة الإنسانية والإسلامية، هدى للقارئ، عوناً للطالب ومرجعاً للباحث علي حد سواء وتعميماً للفائدة أضفنا اليه ألف حكمة للإمام علي والله ولي الأمر والتوفيق.



علي والقرآن

الإسلام

وضربة علي يوم الخندق

أين نزل القرآن؟ وفي أي بيت ولد الإسلام ونشأ وترعرع؟
ومن الذي تعهده ورعاه حتى أصبح قوياً منيعاً؟ ومن الذي كدح في
سبيله، وتحمل الأذى، وضحى بالنفس والأهل والأولاد من أجله؟
ومن الذي فدى الرسول بمهجته، وسبق إلى دعوته؟ ومن الذي
قاتل الأقارب والأرحام، وشهر سيفه في وجوه الأبطال والشجعان،
ولم يدع بيتاً في العرب إلا ترك فيه ناعياً أو ناعية من أجل كلمة
«لا إله إلا الله محمد رسول الله» ومن الذي سبح أبناؤه في بحر
من دمائه، وذبحت الرضع من أحفاده في حجور الأمهات، وتقيأ
ولده البكر كبده قطعاً قطعاً من شدة السم، وسبيت بناته على
رؤوس الأشهاد يبتز العدو نقابها ورداءها، وأي شهيد أنجب من
الشهداء أولاداً وأحفاداً وأبناء أحفاد كما أنجب علي؟ ومن الذي
أحرق بيوته ومساكنه بعد السلب والنهب. كل ذلك من أجل
القرآن وإحياء مبادئه والعمل بتعاليمه.

إن هذه الصفات لم توجد مجتمعة إلا بالإمام علي بن أبي

طالب عليه السلام . . .

عاش محمد عليه السلام في نفس البيت الذي عاش فيه علي، حيث كفله
عمه أبو طالب، وزوجته فاطمة بنت أسد بعد أن توفي أبوه عبد الله

وجده عبد المطلب^(١) وكانت أم علي أبر الناس بالنبي بعد عمه أبي طالب، وأول هاشمية ولدت هاشمياً، وقد أسلمت وهاجرت وتوفيت بالمدينة وتولى النبي دفنها وأبسها قميصه واضطجع في قبرها، وبكى عليها، وقال جزاك الله خيراً من أم، ولما سئل عن ذلك قال: إنها كانت أحسن خلق الله صنعاً إلي بعد أبي طالب.

ولد علي في الكعبة، وفي نفس السنة التي تبهل فيها الرسول^(٢) واعتزل في جبل حراء، ومكث علي قليلاً في بيت أبيه، ثم انتقل، وهو طفل إلى بيت الرسول، وذلك أن قريشاً أصابتها شدة، وكان أبو طالب ذا عيال، فضم العباس جعفرأ، والنبي علياً ليخففا عنه، وبقي ملازماً له في جميع حالاته.

وأسلم علي قبل أن يمضي على نزول الوحي أربع وعشرون ساعة^(٣)، وشارك النبي في أول صلاة صلاها الله، وكان معه في حروبه من أولها إلى آخرها ما عدا غزوة تبوك، حيث استخلفه الرسول على المدينة، ليعلم الناس بأنها لا تصلح من بعده إلا بعلي، وأعلن ذلك بقوله للإمام: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، ويدل هذا الحديث دلالة صريحة على أن علياً

(١) لعبد المطلب عشرة أولاد ذكور، العباس، وحمزة والزبير وجعل، وهو الغيداق، والمقدم وضرار وهو نوفل، والحارث، وأبو لهب، وهو عبد العزي، وأبو طالب، وهو عبد مناف وعبد الله، وكانوا من أمهات شتى إلا عبد الله وأبو طالب والزبير، فإن أمهم فاطمة بنت عمرو بن عايد، ومحمد وعلي أبناء عم لأب وأم، ولم يعقب الزبير، وأعقب عبد الله محمداً، وأعقب أبو طالب جعفرأ وعقيلأ وعليأ، وكان كل واحد من أولاد أبي طالب يكبر أخاه بعشر سنين «بحار الأنوار للمجلسي».

(٢) قيل: ولد علي سنة ٣٠ لميلاد الرسول.

(٣) من طرائف الحيل والتلاعب بالألفاظ أن بعض القدامى لما لم يجد مفرأ من الإعتراف بأن علياً سبق إلى الإسلام لف ودار، ثم قال، أول من أسلم من النساء خديجة، ومن الرجال أبو بكر ومن الصغار علي!

يستوجب من محمد كل ما وجب لهارون من موسى مما نطقت به
الآية الكريمة:

﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِ ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ
أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي قَالَ كَتِيبُ سِحْحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٢﴾﴾
[طه: ٣٠ - ٣٣]

وكما استجاب الله لموسى بقوله:

﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ [طه: ٣٧].

فقد شهد لمحمد بأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي
يوحى».

استحق علي هذه المنزلة من الله والرسول لعمله لا لقربته من
محمد فقط فكما أن محمداً عظيم، لأنه على خلق عظيم لا بأعمامه
وأخواله كذلك علي عظيم بإخلاصه وجهاده وحسن بلائه مع الرسول
فقد كان يقتل من جيش المشركين النصف لوحده، ويقتل المسلمون
بكاملهم النصف، كما حدث يوم بدر، وفر جيش الرسول يوم أحد إلا
قليلاً، كان في طليعتهم أبو الحسين علي.

ويوم الخندق تجمعت الأحزاب، وتألبت قريش وغطفان وفزارة
واليهود وغيرهم، واتفقوا كلمة واحدة على غزو المدينة عاصمة النبي
والقضاء عليه وعلى الإسلام، حتى لا يبقى له عين ولا أثر، وتراكم
جيش الشرك من فوق المسلمين ومن أسفل منهم، وزاغت أبصار
الأصحاب وبلغت القلوب الحناجر، وما رجعت إليهم أنفاسهم إلا
بعد أن شهر سيفه كاشف الكربات وكافي المهمات.

وقصة قتل علي عمراً أشهر من أن تذكر ولكنني أود الوقوف
قليلاً عند كلمة الرسول الأعظم: «برز الإسلام كله إلى الشرك كله».

وليس من شك أن عمراً كان كل الشرك لأنه رأس المشركين وقائدهم وبه وحده مصيرهم حياة أو مماتاً، أما المسلمون فرئيسهم النبي، فهو الحامي والكفيل وبحياته يرتبط مصير الإسلام والقرآن إذن فما هو الوجه للتعبير عن شخص الإمام «بالإسلام كله» مع وجود الرسول الأعظم؟

والجواب: إن أحزاب الشرك تجمعت وتراصت كتلة واحدة، وهدفها الأول والأخير القضاء على الرسول، فهو المقصود دون غيره، لأن الإسلام قائم بشخصه وحده، حيث لم يقو بعد وينتشر في الأقطار، ولم تعتقه إلا هذه الشردمة القليلة التي التفت حول الرسول فالقضاء عليه تقطع لأوصال المسلمين جميعاً، وقضاء على الإسلام في المهدي، واستئصال له من الجذور بحيث لا تقوم له قائمة.

وبرز علي لعكس الغاية أي ليقطع رأس الشرك، ويقضي عليه القضاء الأخير حتى لا يبقى له من أثر في جزيرة العرب، ويزول العائق الأكبر من طريق الإسلام وانتشاره في كل مكان، لأن المشركين كانوا العقبة الأولى في سبيل الإسلام وامتداده لذا قال الرسول بعد أن قتل عمرو: «اليوم نعزوهم ولا يعزنوننا». برز علي لابن وُدّ لتتم رسالة النبي كافية وافية، وتخفق راية الإسلام في الشرق والغرب.

إذن مبارزة علي كانت نقطة التحول، وأشبه بمقابلة جيش وطني لجيش أجنبي فاتح في معركة فاصلة، والحد الفاصل هنا بين الشرك والإسلام قتال علي وعمرو، إما أن يقتل علي عمراً فيُمحى الشرك من بلاد العرب، ويُمحى معه كل معارض للإسلام وإمّا أن يقتل عمرو علياً، فيذهب الإسلام، وينتصر الشرك، وتكون كلمته هي العليا.

ويأبى الله إلا أن يكفي المؤمنين القتال بعلي، وإلا أن يتم نوره بضربته لعمرو، وإلا أن يكون له الفضل في إحياء الدين وتعاليم القرآن وانتشار الإسلام، وإلا أن يشارك كل عامل بخير في ثوابه وحسناته،

فما من مسجد يُبنى، ولا مأذنة ترفع ولا معهدٍ أسس للدين والشريعة، ولا من صوت يرتفع بأي الذكر الحكيم «ولا من صائم وقائم لله من يوم الخندق إلى قيام الساعة» إلا ويعود الفضل فيه إلى ضربة علي لابن ودّ، ولولاها لما كان الإسلام والقرآن، وبهذا نجد التفسير الصحيح لقول النبي: «ضربة علي يوم الخندق تعادل عمل الثقلين» وفي رواية أخرى «لمبارزة علي لعمره أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة»^(١) وبه أيضاً نعرف السر لقول الشيعة بأن علياً شريك القرآن في آثاره وتأثيره في تنوير العقول وإحياء العلوم، وفي انتشار العقيدة الحقة على هذا الكوكب من يوم الخندق إلى ما شاء الله، لأنه السبب للمحافظة على القرآن، ودفع العدوان عنه، واستمراره إلى يوم يبعثون. وكلنا يعرف «ان الساعي للخير كفاعله» «وان من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها».

نقول هذا مع الإيمان بأن علياً حسنة من حسنات النبي، وأن كل ما اتفق له من الخير كان بدعاء النبي وتوجيهاته. فالثناء على الإمام كالثناء على ضوء القمر المستمد من نور الشمس ولا شيء أدل على ذلك من قول الإمام مفتخراً: أنا خاصف النعل، أي مصلح نعل الرسول، وقوله:

«دخلت على رسول الله، وكانت له هيبة وجلال، ولما قعدت بين يديه أفحمت. فوالله ما استطعت أن أكلمه».

وقوله:

«وقد علمتم موضعي من رسول الله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وأنا وليد يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه ويمسني جسده، ويشمني عرقه، وكان يمضغ الشيء ثم

(١) في كتاب دلائل الصدق أن هذا الحديث ذكره صاحب المراقبت والحاكم في المستدرک ص ٣٢ ج ٣ حق السنة.

يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول ولا فعل، ولقد قرن الله به من لدن كان فطيماً أعظم ملك يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العلم ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه يرفع لي كل يوم علماً من أخلاقه، ويأمرني بالافتداء به ولقد كان يجاور بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله وخديجة، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة».

وبهذه المناسبة أذكر حواراً دار بيني وبين أحد الأدباء الذين درسوا الإمام درساً وافياً، وانتشوا عظمته وبلاغته، ولم يعرفوا شيئاً عن النبوة وجلالها.

قال: إن إنسانية الإمام تفوق إنسانية الأولين والآخرين، قال هذا، ولم يستثن!

قلت: لا بد من الاستثناء.

فأبى وأصر.

قلت: هذه دعوى تفتقر إلى الدليل.

قال: إن الإمام يرى إراقة الدم جريمة، مهما كان السبب.

قلت: لم تأت بالدليل، وإنما أتيت بدعوى ثانية تطلب الإثبات.

قال: أوصى بقاتله، وعفا عن مروان بن الحكم يوم الجمل. ولم يقتل عمراً بن العاص يوم صفين، وقد ظفر به، وكانت النتيجة أن انتصر معاوية، ثم قتل الإمام.

قلت: ولكنه قتل الكثير في بدر وأحد والأحزاب وخيبر وغيرها.

قال: كان في هذه الحروب جندياً مأموراً، ولم يكن آمراً.

قلت: كان في حرب الجمل وصفين والنهروان، أمراً، مع ذلك قتل العشرات.

قال: قاتل مدافعاً لا مهاجماً.

قلت: كل الأنبياء والصلحاء يدافعون ولا يهاجمون، ويستعملون العنف للقضاء على العنف يقتلون واحداً، ليسلم المئات.

قال: أجل، ولكن لم يعرف التاريخ ولن يعرف إنساناً أرحم من علي.

قلت: لو قلتها من الأول لأرحت واسترحت.

وأى شيء أدل على رحمة الإمام وإنسانيته من قوله: «إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدره عليه». قد يكون الإنسان رحيماً بالكائنات كلها، وقد يتغلب على غضبه في حالات شتى، وقد يتنازل عن الكثير من حقه، أما الرحمة بالعدو والشفقة عليه فلن يفعلها إلا من جعله الله مصباحاً يهتدي به التائبون.

وكم تمنيت أن يتعظ بهذه الحكمة بعض المنتمين إلى الدين الذين يحاولون الانتقام بطريق الدس والنفاق على المخلصين الأبرياء، لا لشيء إلا لأنهم لا يتبعون سياستهم الحزبية وأغراضهم الشخصية.

القرآن والفلسفة

قال بعض الجدد من رواة الغرب: ليس للمسلمين فلسفة مستقلة، وان فلاسفتهم رواة لسقراط وأفلاطون وأرسطو، وغيرهم من فلاسفة اليونان.

وقد تصدى للرد على هذا القول جماعة أثبتوا بالدليل القاطع جهل قائله، وتجنیه على الحقيقة، وما رأيت - فيما قرأت - من وفی المقام حقه، كالأستاذ قذري حافظ طوقان في كتابيه اليتيمين: «الخالدون العرب» و«تراث العربي العلمي».

قال المتحذلقون:

أنى يكون للمسلمين فلسفة، ولم يكن لهم - قبل أن يتصلوا بالأمم - إلا القرآن والحديث.

وهذا حق وصدق، لقد أتى على المسلمين حين من الدهر لم يكن لهم إلا القرآن والحديث. ولكن نسأل: هل القرآن كتاب «أبو معشر الفلكي» والحديث قصة «أبو زيد الهلالي» وقد يجاب بأنه في الإمكان أن نرجع العلوم العربية والفقہ إلى القرآن والسنة، أما البحوث الفلسفية، كتقسيم الموجودات إلى جواهر وأعراض، وقدم العالم أو حدوثه، وأقسام التقابل، والحواس الباطنية، وما إلى ذلك من الموضوعات الفلسفية يمكن إسنادها إلى آية أو رواية، لقد اعتمد القرآن في مخاطبة العرب على فطرتهم وعاطفتهم ولم يعتمد على

البراهين وتأليف المقاييس المنطقية، لأن العرب كانوا أمة أمية لا يعرفون أصول الجدل والموازنات الفلسفية، وإذا لم يكن القرآن كتاباً فلسفياً فمن أين تأتيهم الفلسفة؟!

الجواب:

١ - إن القرآن لم يكن لجيل دون جيل، ولا لأمة دون أمة، وإنما هو لجميع الأمم والأجيال، هو للإنسان أينما كان، هو للحق والإنسانية التي لا تحد بوقت أو مكان، ولا بفئة أو جنس، وإذا كان القرآن للأمم المتقدمة والمتخلفة على السواء كان من الضروري أن يخاطب الفطرة والعقل، ثم إن العرب الذين خاطبهم القرآن كانوا على عقائد شتى، فمنهم الدهريون الذين أنكروا الخالق والبعث ومنهم المشركون عبدة الأوثان، ومنهم أهل الكتاب، وقد ناقش القرآن هؤلاء جميعاً، وقال كلمته الفاصلة فيما كانوا فيه يختلفون، وأثبت الحق بالأدلة المنطقية والبراهين العقلية والشواهد الوجدانية، وهل للفلسفة معنى أو هدف غير ذلك؟!

٢ - إن الفلسفة كسائر العلوم لها موضوع وغاية، وموضوعها طبيعة الوجود كما هو، أي أنها تبحث عن حقائق الوجود في هذا الكون، أما غايتها فمعرفة الحقيقة، والقرآن تكلم عن الكون وحدوثه وأصله ومصيره، وعن السماء وأجرامها، والأرض وآياتها، وعن الإنسان وحقيقته وأفعاله، وما إلى ذلك مما أصبح أساساً لكثير من العلوم.

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [الفحل: ٨٩].

وقد وضع العلماء كتباً خاصة في علوم القرآن، منها منهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني والتبيان لابن قيم الجوزية والإتقان

للسيوطي ومباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي صالح، وغيرها. أجل لم يكن للعرب إلا القرآن، وكفى به مصدراً للعلوم وبحورها، وبه وحده أصبح العرب آباء العلم الحديث - كما قال نهرو - لا بما نقلوه من الفلسفة اليونانية، وبالقرآن دون سواه كان العلم يثب قائماً على قدميه في كل أرض وطأتها أقدام العرب - كما قال العلامة الإنكليزي ولز - لا بآراء أفلاطون وأرسطو.

لقد نقل العرب عن اليونان، كما نقل اليونان عن مصر وبلاد ما بين النهرين، وإن دل هذا النقل على شيء فإنما يدل على حضارة العرب وتفاعلهم مع الغير، وانهم يرغبون أن يجمعوا إلى علمهم علوم الناس، ولا يقفون بالحضارة عند حد ويطلبونها أنى تكون، ويأخذون الحكمة من أي وعاء خرجت، كما أمرهم النبي العظيم والقرآن الكريم.

وإذا قال أجنبي جاهل أو متحامل بأن المسلمين ليسوا فلاسفة فقد كتب قادة الفكر في الغرب عن حضارة المسلمين وفلسفتهم المجلدات، وأثبتوا بالأرقام أن الفضل في حضارة هذا العصر يعود إلى الإسلام؛ ولولاهم لتأخرت مئات السنين. إن العرب ترجموا فلسفة اليونان إلى لغتهم، ولكن ما أتوا به من النظريات يجعل الموازنة بين الفلسفة الإسلامية واليونانية، كالموازنة بين المركب الشعاعي والمركب البخاري، إن الأمة التي أنجبت الرازي والبستاني والبيروني وابن الهيثم والشيرازي والطوسي والغزالي وابن حيان والفارابي وابن سينا والكندي وغيرهم لا يصح فيها القول بأنها لا فلسفة لها. ونذكر بعض ما ابتكر هؤلاء من النظريات على سبيل التمثيل لا الحصر.

سبق الرازي نيوتن إلى نظرية الجاذبية، حيث علل سقوط الجسم نحو الأرض بأن فيها قوة قاهرة تحكم على الأشياء بالانجذاب،

والحسن بن الهيثم أول من وضع علم البصريات الذي يبحث سقوط الأشعة والضوء على الأجسام، ووضع محمد بن موسى علم الجبر، وكان لجابر بن حيان في الكيمياء ما كان لأرسطو في المنطق. وقال هشام بن الحكم تلميذ الإمام جعفر الصادق وأستاذ النظام: إن الأصوات والأضواء أجسام، لا كصفات وأعراض. وسجل التاريخ لأبي الحسن الذي عاش في بداية القرن الثالث عشر للميلاد نظريات محكمة في قياس الوقت. ونصير الدين الطوسي أول من فصل المثلثات عن الفلك، وجعلها علماً مستقلاً، وكتابه «شكل القطاع» ترجم إلى اللاتينية والفرنسية والإنكليزية، وبقي قروناً عديدة مصدر العلماء في أوروبا. قال الأستاذ قدرى طوقان في «الخالدون العرب»: «لا يعتبر الطوسي متفوقاً في الهندسة على معاصريه فحسب، بل وعلى علماء الهندسة في هذا العصر أيضاً»: وقال محمد بن إبراهيم المعروف بصدر المتألهين^(١) بنظرية التطور وقررها على أساس متين وسبق دارون بثلاثمئة سنة. ولذا قال درويير الأميركي في كتابه: «المنازعة بين العلم والدين»: إن مذهب النشوء والارتقاء كان يدرس في مدارس العرب والمسلمين، وكانوا قد ذهبوا فيه إلى مدى أوسع وأبعد مما وصلنا إليه بتطبيقه على الجامعات والمعادن معاً. ويوجد في مدينة أصفهان بإيران مسجد اسمه «مسجد شاه» وضع تصميمه وأشرف على بنائه بهاء الدين العاملي، فإذا تكلم إنسان بكلمة تحت قبته تكرر صدى الكلمة سبع مرات، وإذا تكلم في طرفه سمعه من في الطرف الآخر، على ما بينهما من البعد، حتى كأنه يتكلم في أعظم مكبر للصوت، وقد تبين أن السر في حجرتين بأرض المسجد صنعهما البهائي بشكل هندسي دقيق، وما زال المسجد قائماً إلى الآن يؤمه المسافرون والسائحون من كل صوب.

(١) رحلة «الإمام الزنجاني» ص ٤٠٠ طبعة ١٩٤٧، وصدر المتألهين من فلاسفة القرن السادس عشر الميلادي.

ومرة ثانية نؤكد أن الفضل في حضارة العرب يعود للقرآن وحده، ليس لأنه كتاب دين فحسب، وإنما هو كتاب دين وفن وتشريع وفلسفة وعلم وأخلاق واقتصاد وسياسة. وسائر المعارف البشرية، وإذا لم نجد فروع هذه العلوم ومسائلها مبوبة مفصلة في القرآن، كما هي في الكتب الموضوعية لهذه الغاية فإننا نجد فيه جميع أصولها وأسسها التي لا تشذ عنها مسألة واحدة يفرضها الواقع، وقد تجلت هذه الحقيقة شيئاً فشيئاً بمرور الزمن وتقدم العلوم، فكلما اكتشف جديد وجدنا له أساساً في القرآن، ومن هنا قال ابن عباس: في القرآن معان سوف يفسرها الزمن. وقال الإمام جعفر الصادق، إن في القرآن تأويلاً، منه ما قد جاء، ومنه لم يجيء، وقال: بأي شيء الحلال والحرام في جنب العلم، يريد العلم الذي في القرآن^(١) أي أن الفقه قليل من كثير بالنسبة إلى ما تعرض له القرآن من العلوم، وقدم الأستاذ نوفل في كتابه الله والعلم الحديث، والقرآن والعلم الحديث أرقاماً تشهد لهذا القول بالحق والصدق. قال رينورث: «يجب أن نعتز بأن العلوم الطبيعية والفلك والفلسفة والرياضيات التي أنعشت أوروبا في القرن العاشر مقتبسة من القرآن» وهل بعد هذا يقال ليس للمسلمين فلسفة ولا علوم؟! وهل بعد كتاب الله الخالد الذي لا ينضب له معين يستكثر على الإمام علي بن أبي طالب أن يصف النملة والخفاش والطاووس، وأن يتكلم عن تنزيه الخالق ودقائق العلوم، ثم يستنتج هذا المتحذلق أن نهج البلاغة مدهوس على الإمام لا لشيء إلا لأنه لا فلسفة للمسلمين وإلا لأنه فوق مستوى الإمام العقلي والثقافي؟!!

إن نفي العلم عن الإمام يستلزم أحد أمرين لا ثالث لهما، إما نفي العلم عن القرآن وعن محمد، وإما يكون الإمام جامعاً بعلوم القرآن وسنة محمد، ولم يجرؤ عاقل على القول بواحد منهما، هذا

(١) علم اليقين لمحسن الفيض ١٢٦ طبعة ١٣٠٣هـ.

إذا كان للفلسفة واقع تعبر عنه .

وقد يتساءل: ما هي العلاقة بين القرآن ومحمد من جهة وعلي من جهة ثانية حتى جزمت وحكمت بأن نفي العلم عن علي يستلزم نفي العلم عنهما؟

والجواب على هذا التساؤل يعرفه كل مسلم، وكل من ألم بتاريخ الإسلام ان القريب والبعيد يعلمان علم اليقين أن علياً ترجمان القرآن، ولسانه الناطق وانه السبيل الواضح إلى علم الرسول، وأعلم الناس بسنته كما قالت عائشة، وإذا كان علي جاهلاً بالقرآن والسنة فمن هو العالم من الأصحاب؟! وهذه العلوم الإسلامية التي أقيمت وتقام لها الجامعات، ووضعت فيها آلاف المجلدات وكيف انتشرت في أقطار المعمورة؟ أو من أين وصلت إلى المسلمين ما دام علم الكتاب والسنة محجوباً عن علي أخص الناس بالرسول وأخلصهم لله وأسبقهم إلى الإسلام؟!!

قال الرسول الأعظم: علي مني بمنزلة رأسي من جسدي^(١) وعن أبي بكر أنه سمع الرسول يقول: علي مني بمنزلة من ربي^(٢) وقال النبي: ليهنك العلم يا أبا الحسن، لقد شربت العلم شرباً، ونهلته نهلاً، وقال: أنا مدينة العلم وعلي بابها^(٣) وقال ابن عباس: أعطي علي تسعة أعشار العلم، وشارك الناس بالعشر العاشر، وقال عمر بن الخطاب: كان النبي يغزو علياً بالعلم غزاً، ومعنى الغز الغزارة والكثرة، وقال سعيد بن المسيب: لم يكن من أصحاب الرسول أحد يقول سلوني إلا علياً وقال: لو شئت أوقرت سبعين بعيراً من سورة الفاتحة^(٤).

(١) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ص ٦٤.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) المصدر السابق ص ٧٩، وكتاب «حياة علي بن أبي طالب» للشيخ الشنقيطي ص ٤٦ وبعدها طبعة ١٩٣٦.

ولا ينتهي الحديث عن فضل علي ومكانه من العلم ولا يستطيع
الكاتب أن يأتي بجديد بعد أن ألف علماء الشرق والغرب من
المسلمين وغير المسلمين في ذلك المجلدات الطوال.

غاية الفلسفة عند الإمام

إذا كانت الفلسفة مقياس صورية، وتقسيم الموجودات إلى ذهنية وخارجية وجواهر وأعراض، وكليات لا وجود لها إلا في الوهم، وإذا كان الفيلسوف هو الذي يجلس في غرفة مظلمة يفكر في حقيقة العالم وطبيعة الوجود، وينزع بفكره إلى التحليق فوق حياتنا هذه التي نحياها، ويتخذ من عقله مختبراً يصنع له المبادئ والقواعد، ثم يملئها على الناس ألغازاً وطلاسم، إذا كانت هذه هي الفلسفة فالإمام أبعد الناس عنها وعن الفلاسفة.

وإذا كانت الفلسفة توضيح الأفكار، ثم عرضها على العقل، ليحاكمها ويميز بين سليمها وسقيمها، ويدعم الصحيح بالحجة والمنطق، ثم إيمان القلب بما أرشد إليه العقل إيماناً لا تزحزحه القوى مجتمعة، ثم العمل بإخلاص على طبق هذا الإيمان، إذا كانت هذه هي الفلسفة فالإمام سيد الفلاسفة ومعلمهم الأكبر.

الفلسفة عند الإمام:

ولست أحاول في هذا الموجز أن أتكلم عن فلسفة الإمام غير أنني عثرت على كلمة له يمكن أن تحدد الاتجاه الفلسفي، أو الغاية من الفلسفة عند الإمام. قال:

«العقول أئمة الأفكار والأفكار أئمة القلوب، والقلوب أئمة الحواس، والحواس أئمة الأعضاء».

- مثلاً - إذا عرض للإنسان فكرة أن الديمقراطية أفضل، أو الدكتاتورية فعليه أن لا يسرع إلى التسليم والجزم بشيء قبل أن يحاكمه بعقله، ويستعرض ما للحرية والاستبداد من حسنات وسيئات، ويقارن بينها مقارنة دقيقة، فإذا ترجح عنده أحد الأمرين بمقياس معقول آمن به، وسلّم له، وهذا هو دور القلب، ومتى آمن الإنسان بمبدأ إيماناً صادقاً يصبح مثله الأعلى، ويعمل له ويضحى من أجله بالغالي والشمين، لا يهتم بالنقد ولا يبالي بالعقبات، وهذا هو دور عمل الحواس والأعضاء.

وبعد أن اتضح مراد الإمام يمكننا أن نستخلص من قوله هذه النتائج التالية:

١ - ان وظيفة العقل هي التمييز وغربلة الأفكار، ولكن للعقل حدوداً لا يستطيع مجاوزتها، كما يأتي.

٢ - ان العقيدة، أية عقيدة، لا تكون حقاً وصواباً إذا رفضها العقل وتصادمت مع حكم من أحكامه.

٣ - ان النظرية التي تطابق الواقع، ويحكم العقل بصوابها، وإن تكن حقاً من وجهة النظر العلمية، ولكن لا فائدة منها إذا لم توضع في حيز التطبيق.

وخلاصة ذلك أن الفكر يجب أن تتحول إلى عقيدة، والعقيدة يجب أن تتجسم بالعمل الملموس، وهذا ما أراده بقوله: «الإيمان والعمل أخوان توأمان، ورفيقان لا يفترقان لا يقبل الله أحدهما إلا بصاحبه».

الإمام والماديون:

إن قلت: إن هذي هي الفلسفة المادية بعينها التي تجعل القيمة للعمل وحده، وعلى أساسها يوفق الماديون بين الإنتاج والتوزيع،

وينظمون العلاقات الاجتماعية بين الناس . وكلنا يعلم أن الدين يتبرأ من الماديين ويرفض فلسفتهم .

قلت أجل ، إن الدين ينكر فلسفة الماديين الذين لا يتقبلون سوى وجود المادة ، ويقولون هي الأصل ، والروح فرع عنها ، وعارض من عوارضها ، وينكر الدين أيضاً فلسفة المثاليين القائلين بأن الفكر هو الأصل ، والمادة ظاهرة من ظواهره ، وإن الأرض والكواكب السماوية كلها روح في صورة المادة .

والسبب الباعث على حصر الوجود بالمادة فقط أو الروح فقط ان جماعة من الفلاسفة قالوا لو كانت حقيقة العقل غير حقيقة الشيء المدرك لاستحال عليه إدراكه ، لأن أحد المتباينين لا يمكنه أن يدرك المباين الآخر ، لعدم العلاقة بينهما ، ومن أجل التوفيق بين الاثنين أرجع الماديون العقل إلى المادة ، ووجدوا بينهما وقالوا : إن العقل اهتزاز في ذرات الدماغ والجهاز العصبي ، وعكس المثاليون الأمر فأرجعوا المادة إلى العقل ، واعتبروا وجود الطبيعة وجوداً عقلياً لا مادياً ، فهؤلاء «عقلوا» المادة ، وأولئك «مددوا» العقل إن صح التعبير^(١) .

وقال آخرون : إن كلاً من العقل والجسم متميز ومستقل عن الآخر في الوجود ، ومغاير له في الحقيقة ، ولا مانع من إدراك العقل للمادة ، لأن معنى إدراكه لها أن ترسم فيه صورتها ومثالها ، لا أن توجد بعينها في العقل ، حتى يستلزم ذلك الاستحالة والامتناع^(٢) .

أما الإسلام وسائر الأديان السماوية فتعترف بوجود حقائق

(١) أنظر كتابنا «الله والعقل» ص ٥٤ وما بعدها طبعة ثالثة .

(٢) قال البعض ، يستحيل أن توجد المادة في الذهن ، لأنه يتصور الأعوج والمستقيم ، والحر والبارد فيلزم أن يكون أعوجاً ومستقيماً ، وحراراً بارداً في آن واحد ، واجب بما ذكرنا من أن الموجود في الذهن صورة الشيء لا نفسه .

ثلاث: الله والعقل والمادة، وانها متأصلة في الوجود سوى ان الأخيرين يستمدان وجودهما من الله سبحانه، فأراء الإمام وأقواله تركز على هذا الأصل، وهو يتنافى مع مذهب الماديين والمثاليين، والمذهب الاثنيني الذي يعترف بتأصل الروح والمادة، وينكر وجود الله عز وجل.

إذا تمهد هذا تبين معنا أن الماديين يقدسون العمل على أساس أنه مادة، ولا شيء في الوجود غيرها، وان قيمة الإنسان بما ينتج من مأكلا ومسكن وملبس، وإذا قال الإمام: قيمة كل امرئ ما يحسن فقد قال أيضاً: لا شيء إلا ما شاء الله، وإذا قدس الإمام العمل المثمر الذي يعود على الإنسان بالنعف، فإنما يقدسه مع الإيمان بوجود كائن لا تدركه الحواس، لأنه فوق المادة، وهو أصل الموجودات، أو قل: إن الإمام ينهى عن اللغو والكلام لأغراض موهومة لا تمت إلى الحياة بسبب - مثلاً - يطلب منك الإمام أن تؤمن بوجود الروح لأنها حقيقة ثابتة متأصلة في الوجود، وفي نفس الوقت يطلب منك أن تقف عند هذا الإيمان، ولا تتجاوزوه إلى البحث والكلام عن كنهها وحقيقتها، وانها «جوهر بسيط» أو مؤلف من ذرات لطيفة شفافة، لأن بحثك هذا تماماً كبحث بعض المؤمنين ان الكبش الذي فدى به إبراهيم الخليل ولده إسماعيل كان يزن مئة كيلو غرام أو أكثر وان سفينة نوح كان طولها ثمانين ذراعاً أو دون ذلك، حيث لا جدوى من الكلام عن وزن الكبش وطول السفينة.

وبعبارة أخرى ان الماديين يحصرون الكائن بما يحس، ويعتبرون الكلام عما عداه كلاماً فارغاً لا يدل على معنى موجود، والإمام لا يحصر الكائن بالمحسوس، ولكنه يرى أن على العاقل أن يحصر تفكيره وكلامه بما يعود عليه بالنعف دنيا وآخرة، سواء أكان عن المحسوس أو غير المحسوس. وهذا ما أراده بقوله: «العلم مقرون

بالعمل. أوضع العمل ما وقف على اللسان». ولم يتجاوزه إلى الإيمان، ويظهر أثره في الأخلاق والأعمال. وصدق الله العظيم:

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ
بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾
[النساء: ١١٤].

العقل عند الإمام:

العقل عند الإمام أحد أسباب المعرفة، كالوحي والحواس والتجربة، ولكن الفرق كبير جداً بين الوحي من جهة وبين غيره من الأسباب من جهة أخرى، فالوحي سبب للمعرفة الحقة في كل ما يخبره به دون استثناء، فإذا أخبر عن أشياء الطبيعة، أو عما وراءها وعما كان ويكون فخبره حق اليقين^(١) أما التجربة والحواس فلا تتجاوز نطاق المادة المشار إليها بالحس. وكذا العقل فهو يدرك أن الأثر لا بد له من مؤثر، وأن التنظيم يحتاج إلى منظم، وأن العدل حسن، والظلم قبيح، وأن ما ينفع فهو خير، وما يضر فهو شر، ثم العقل والحواس والتجربة تتعاون فيما يعود إلى حياتنا اليومية، وما إلى ذلك من الاختراعات والاكتشافات، هذه هي مهمة العقل، وكفى. إذن أشياء لا يدركها العقل، ولا الحواس، ولا تقع تحت التجربة، ومع ذلك لا تفقد صحتها وقيمتها، كحقيقة ثابتة في نفسها.

(١) قال بعض المؤلفين: اليقين مراتب ثلاث: علم اليقين، وهو أن يحكم الإنسان بوجود الشيء من خلال آثاره دون أن يراه رأي العين. والثانية عين اليقين. وهو أن يراه ويشاهده، والثالثة حق اليقين، وهو أن يمارسه، مثال ذلك أن ترى ضوء النار من بعيد فهو العلم، فشاهدتها بالذات فهو العين، وإن أصابت جسمك فهو الحق. هذا بالنسبة إلى غير الإمام أما معرفة الإمام فكلها حق اليقين. لذا قال: لو كشف الغطاء ما ازدادت يقيناً.

الإمام والأخلاق:

ومن الحقائق التي نستفيدها من قول الإمام إن الخير والشر، والحسن والقبح صفات موجودة في نفس الشيء، وإن العقل يعبر بهذه الألفاظ عما هو ثابت ومتحقق، لا كما يذهب إليه أصحاب النظريات الذاتية من أن المتكلم يعبر بلفظ الحسن والقبح، والخير والشر عن ذات نفسه، وعن شعوره نحو الأشياء من حب أو كراهية بحكم بيئته وتربيته، فنظرية الإمام في هذا الباب موضوعية عملية، ويدل على هذه الحقيقة قوله: «يعرف الرجال بالحق، ولا يعرف الحق بالرجال.. اعرف الحق تعرف أهله». ولا يتم هذا القول إلا إذا كان حقاً الحق قائماً بذاته ومستقلاً عن كل اعتبار.

لقد جعل الإمام للعقل حداً إذا تعداه ارتطم بالجهل، وخبط خبط عشواء بخاصة فيما يعود إلى ذات الله وحقيقته قال: «كل ما يتصور في الأوهام فالله تعالى على خلافه» أي إن تصور العقل يقف عند أصل الوجود، أما تصور الذات على حقيقتها فتقصر عنه العقول.

الإمام وكانت:

ويقرب من هذا القول ما ذهب إليه «كانت» من أن العقل محفوف بالزمان والمكان، ومحاط بالشهوات، فيستحيل عليه، والحال هذه أن يدرك وجود الله الذي لا يحد بحد، ولا يتصف بشيء من صفات عالمنا الذي نحن فيه، فكانت يعترف بما يقول الإمام من أن الله موجود، وأن للعقل حدوداً لا يستطيع مجاوزتها دون أن يقع في الأوهام والتناقضات، ولكن الإمام يرى أن وجود الله يعرف بالعقل دون ذاته وحقيقته، ويقول «كانت» بل يعرف وجود الله بالقلب، أما العقل فلا يدرك أصل الوجود ولا حقيقة الذات.

ولا ندري أي شأن للقلب بالمسببات وأسبابها، والعلل ومعلولاتها، إن الإمام يستدل بالنظر العقلي على وجود الله لأن بديهته

العقل لا تتصور تدبيراً بغير مدبر ولا معلولاً بلا علة، وهذا أجنبي عن القلب وإحساسه.

ومهما يكن، فإن الإمام لا يحصر سبب المعرفة بالوحي بل يضيف إليه التجربة والمشاهدة والعقل، على أن يبقى كل في دائرة اختصاصه.

أستاذ الكل

لم يكن في عهد الرسول وخلفائه الراشدين مدارس ومعاهد للعلم، فكان الصحابة ينتشرون في الأرض يعلمون الناس ما سمعوه من الرسول، وما وعوه من القرآن، وكانت معرفتهم محدودة لا تتجاوز بعض الأحكام، كالعبادات والفرائض، وما إلى ذلك.

أما أسرار القرآن العلمية ومعجزاته الغيبية، أما علومه وفنونه وإحاطته بكل شيء، وسر ملاءمته ومناسبته لكل زمان فلا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم، وهم محمد وأهل بيته. أما غيرهم فلا يعرف شيئاً، أو تنحصر خبرته بمعارف أهل زمانه، كالعلم بأنساب القبائل والخييل، والخرافات والعيافة والقيافة، وتأويل الأحلام وحدي الإبل، وكفي المرضى بالنار والحديد وإذا كان لأحد الصحابة معرفة تجدي نفعاً فمصدرها محمد وآل محمد، والشواهد على هذه الحقيقة لا يبلغها الإحصاء، وإليك بعضها على سبيل المثال:

كان عمر بن الخطاب يدخل ابن عباس مع الكبار من شيوخ بدر، فاحتجوا على عمر، وقالوا له كيف تدخل معنا هذا الفتى؟ فدعاهم عمر ذات يوم، ودعا ابن عباس، وسألهم عن تفسير بعض الآيات، فسكت بعضهم، وقال آخرون: لا ندري. فأوضح لهم ابن عباس الحقيقة. فقال عمر: إنه من قد علمتم^(١).

(١) ذخائر العقبى للحافظ الطبري ص ٢٢٨ طبعة ١٣٥٦.

وإذا أفحم تلميذ أبي الحسن كبار الصحابة وشيوخ بدر فكيف بالمعلم الأكبر؟ قيل لابن عباس: أين علمك من علم ابن عمك علي، فقال: نقطة من بحر. وهذه النقطة من بحر علي هي البحر المحيط، فلقد كان المسلمون يسمون ابن عباس البحر، ويسمونه الحبر، وعن ابن صالح قال: رأيت الناس اجتمعوا على باب ابن عباس حتى ضاق بهم الطريق، كلهم طالب علم. وحج ابن عباس مع معاوية فكان لمعاوية موكب، وله موكب من طلاب العلم، وروى البغدادي عن عطاء: ما رأيت مجلساً قط أكرم من مجلس ابن عباس، كان أصحاب القرآن عنده يسألونه، وأصحاب النحو عنده يسألونه، وأصحاب الشعر عنده يسألونه، وأصحاب الفقه عنده يسألونه، كلهم يصدر عن واد واسع.

وكل هذه العلوم التي أفاضها ابن عباس إن هي إلا نقطة صغيرة من بحر أبي الحسن الذي لا يدرك مداه، ولا ينتهي إلى حد، ولم يكن ابن عباس التلميذ الوحيد للإمام، فقد كان أستاذاً لكل بعد النبي دون استثناء يستمدون العلوم من معينه، ويحتجون بأقواله، كما يحتجون بالقرآن، فقد صح عن الرسول: «علي مع القرآن، والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يرثي علي الحوض»^(١).

ونستنتج من الحديث الحقائق التالية:

١ - إن قول الله ومحمد وعلي واحد من حيث الحجة ووجوب الاتباع لقد دلت الآية ٧ من سورة الحشر:

﴿وَمَا ءَانِكُمْ الرَّسُولُ فَاخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ .

(١) «النصر والاجتهاد» ص ٧٨ طبعة ١٩٥٦ نقلاً عن كتاب معرفة الصحابة ص ١٢٤ من المستدرک ج ٣.

دلت على أن حديث الرسول بمنزلة القرآن، ودل حديث «علي مع القرآن» على أن قول علي بمنزلة القرآن أيضاً، والنتيجة الطبيعية لذلك أن علياً هو الوسيلة إلى الله، وحجته على الخلق، وإن الراد عليه راد على القرآن بالذات.

٢ - إن علياً عالم بحقائق القرآن ودقائقه، وإن عنده علوم القرآن بكاملها إذ لو كان جاهلاً بها أو بشيء منها لما كان أحدهما مع الآخر.

٣ - إن علياً كالقرآن لا يخطئ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٤ - إنه خالد بخلود القرآن، وإن هذا الخلود مستمر إلى يوم يبعثون.

٥ - إن القرآن مفتقر إلى علي، كما أن علياً في حاجة إلى القرآن، لأن معنى التلازم بين شيئين هو افتقار كل إلى الآخر، فعلي يرجع إلى القرآن كمصدر للعلم، والقرآن يفتقر إلى علي للبيان والتفسير، لذا قال الإمام: ذاك القرآن الصامت، وأنا القرآن الناطق.

إنه الفارق بين الحق والباطل، ومن أجل هذا قال له النبي: لا يبغضك مؤمن، ولا يحبك منافق، ومن أجل هذا أيضاً كان قسيم الجنة والنار، أي بحبه يعرف المؤمنون الذين خلقت لهم الجنة، وبيغضه يعرف أهل النار من المنافقين.

وبكلمة واحدة إن الحديث الشريف يدل دلالة واضحة أن علياً والقرآن سواء بسواء وأن كل ما للكتاب من فضل وعظمة فهو لعلي، لمكان التلازم والعلاقة بين الاثنين.

ثم إذا صرفنا النظر عن حديث «علي مع القرآن» ورجعنا إلى سيرة الإمام منذ ودلته إلى حين وفاته رأينا أن علياً قد أوقف حياته

كلها من أجل القرآن، تعلمه صغيراً من النبي، وقاتل معه الجاحدين على تنزيله، وحين خلافته قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين على تأويله، وبذل أقصى ما لديه من جهد، لبث تعاليمه في عهد الخلفاء الثلاثة. إذن فالحديث يعبر عن شيء واقع، وثابت في نفسه، وينطق عما أعطاه الإمام من ذات نفسه للقرآن صغيراً وشاباً وكهلاً.

وهذه حقيقة ناصعة لا يتعمى عنها إلا من عاند الحق، وإلا من شذ عن المألوف، وأنكر ما رآته الأعين، ولمسته الأيدي. قال الأستاذ علي الجندي عميد كلية دار العلوم بجامعة القاهرة.

«وأراد الله لعلي الخير، وأراد لأمته الخير به، فمهد النهج الأمثل، ووفقه إلى ما هو أشبه به، وأحجى وأفضل، وكل ميسر لما خلق له» فكان كما قال الشعبي: مثل علي في هذه الأمة مثل المسيح بن مريم في بني إسرائيل. وكما قال الحسن البصري: سهماً صائباً من مرامي الله على أعداء الله.. أعطى القرآن عزائمه، وعلم ما فيه وما عليه.

أما علي الحكيم فليس هناك بعد الأنبياء من أحق بهذا الوصف من أبي الحسنين، ولو لم يكن عليّ حكيماً لوجب أن يكون حكيماً، فجميع طرائف الحكمة مفضية إليه، وأسبابها مجتمعة لديه، كان نقي الجوهر وضاء النفس صافي الروح، لمام الخاطر، يستشف الغيب من ستر رقيق، وقد عزيت إليه نبوءات صادقة استرعت أنظار أتباعه، فقال له رجل: لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب، فضحك. وقال: «ليس هو علم غيب، وإنما هو تعلم من ذي علم»^(١).

(١) هذه الكلمات اقتطفها من تصدير طويل وقيم كتبه الأستاذ الجندي لكتاب «علي بن أبي طالب» لأحمد تيمور.

المغيبات

وقال الإمام: الكاهن كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار. وكلنا يعرف القصة المشهورة: حين أراد المسير إلى بعض أسفاره، وقال له بعض أصحابه: إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك، فأجابه الإمام: من صدقك بهذا القول فقد كذب بالقرآن. ورأى ذات يوم منجماً، فسأله منكرأ: أتدري ما في بطن هذه الدابة أذكر أو أنثى؟! من صدقك فقد كذب القرآن:

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ [لقمان: ٣٤].

وقال الإمام جعفر الصادق: المنجم ملعون؛ والكاهن ملعون،
والساحر ملعون.

وقال علماء الإمامية: من صدق منجماً أو كاهناً فقد كفر بما
أنزل على محمد.

وأطالوا الكلام في هذا الباب، وشددوا النكير على من سلك
غير طريق الحق والعلم واستعمل الغش والكذب والرياء والتدليس في
معاملاته وأقواله وأفعاله، وعللوا ذلك بأنه بدعة في الدين، وإخلال

في النظام وفساد للأخلاق الإنسانية، وأجمعوا على أن من عمل بالسحر يقتل إن كان مسلماً، ويؤدب إن كان كافراً^(١).

والآن يتجه هذا السؤال: إذا كان السحر والكهانة والأخبار بالغيب محرماً عند علي وشيعته فكيف أخبر بحوادث تقع بعد زمانه؟! فمن الجائز من الوجهة المنطقية أن يحدد العلماء وقت الكسوف والخسوف استناداً إلى قياساتهم لدوران الأرض، أما أن يتنبأ متنبئ بحدوث حريق في مكان معين بعد عشرات السنين، أو بقيام ثورة في بلد من البلدان، أو بأنه سيخلق الله من صلب فلان حاكماً أو عالماً، ما هذا التنبؤ وما إليه مما لا تناله الخبرة العلمية فمستحيل.

ويمكننا أن نستخرج الجواب عن هذا السؤال من قول الإمام: «من أفتى بغير علم لعنته الأرض والسماء..»

لا تقل ما لا تعلم، بل لا تقل كل ما تعلم.. ما من حركة إلا وتحتاج إلى علم». وما إلى ذلك، ولو جمعت أقواله في هذا الباب ل جاءت في كتاب وما كان الإمام لينتهي عن خلق ويأتي مثله. إذن لا بد أن يكون إخباره عما يقع في المستقبل تعلماً عن ذي علم كما قدمنا في الفصل السابق حين أجاب من قال له: لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب.

وذو العلم الذي عناه الإمام، وأخذ عنه هو النبي بالذات، فكل ما أخبر به مما لا يمكن معرفته بالنهج العلمي فقد تعلمه عن الرسول، وتلقاه الرسول وحيّاً من الله عز وجل:

﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦].

والرسول بدوره يطلع من ارتضى من ولي حسب ما تستدعيه المصلحة.

(١) كتاب الجواهر باب الحدود.

وقد أخبر النبي بمغيبات كثيرة تحقق قسم منها قبل زماننا، وقسم تحقق هذا الزمان، فمن القسم الأول قوله: إن المسلمين بعده يحكمون ويفتحون كنوز كسرى وقيصر، وقوله لأم الفضل حين ولدت عبد الله بن عباس: إذهبي بأبي الخلفاء، ومنها قوله لعلي: ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، وانه لا يموت حتى تخضب لحيته من هامته، ومنها إشارته إلى عائشة بأنها صاحبة الجمل، وينبها كلاب حوآب، ومنها قوله لأبي ذر: كيف بك إذا أخرجوك من مكانك هذا، مشيراً إلى قصته مع عثمان ونفيه إلى الربذة، ومنها قوله يوم بدر لعمه العباس: أين المال الذي استودعته زوجتك أم الفضل، وكان العباس ادعى أنه لا مال عنده، ومنها قوله لابنته فاطمة: إنك أول أهلي لحاقاً بي، فكان كما قال، ومنها قوله لعمار بن ياسر: تقتلك الفئة الباغية، وآخر زادك من الدنيا ضياح من لبن، فقتله جيش معاوية يوم صفين بعد أن شرب اللبن، ومنها إخباره عن قتل ذي الثدية رئيس الخوارج، فقتل يوم النهروان، ومنها قوله للزبير: ستقاتل علياً، وأنت له ظالم، فخرج عليه يوم الجمل، ومنها ما أخبر به عن بني مروان إذا بلغوا ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله بينهم دولاً وعباده خولاً، ودينه دغلاً، ومنها ان كسرى ملك الفرس أرسل رسله ليأتوه بالنبي حياً أو ميتاً، فلما وصلوا إليه أخبرهم بأن كسرى قتله ولده شيرويه، فجاء الحديث موافقاً، ومنها أخباره عن وقعة الحرة، ومنها قوله: إن زيدا بن صوحان أحد الصحابة سيسبق منه عضو إلى الجنة، فقطعت يده يوم نهاوند في سبيل الله، ومنها إشارته وتلويحاته المتكررة إلى ما حدث لأهل بيته من بعده^(١) وما إلى هذه مما لا يحصى عديدها، وهي

(١) قال الشيخ العبدى مفتي الموصل في كتاب «النواة» ص ١٠٩ أن حديث الثقلين الذي رواه مسلم والترمذي، وفي التكرار «أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» نقل في هذا التأكيد إشارة إلى ما حدث بعده لأهل بيته مما كان وصمة على المسلمين، وطعنة في صميم الإسلام نجلاء ما إن يزال يسيل دمها طرباً على مر الأيام وكر العصور.

مذكورة في أبواب شتى من كتب التفسير والحديث والتاريخ والسيرة
بخاصة صحيح البخاري ومسلم.

ومن القسم الثاني، أي المغيبات التي تحققت في هذا العصر ما
جاء عن النبي في صحيح البخاري الجزء التاسع صفحة ٧٣، طبعة
محمد علي صبيح: «يوشك أن ينحسر الفرات عن كنز من ذهب».
إشارة إلى البترول.

وفي الكتاب المذكور صفحة ٦١: «سيتقارب الزمان، وينقص
العمل» إشارة إلى سرعة المواصلات، والاستغناء بالآلات الفنية عن
اليد العاملة.

وفي مسند أحمد ج ١٢ ص ١٧٣ طبعة ١٩٥٣: «تتقارب
الأسواق، وتتقارب الأزمان»، ومن أبرز المظاهر في هذا العصر
تصدير الإنتاج إلى جميع الأسواق بأمد قصير.

وفي كتاب «مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية»
للشيخ أحمد الصديق الغماري:

روى أحمد بن حنبل في مسنده عن النبي: «لا تقوم الساعة حتى
تكلم الرجل عذبة سوطه، وشراك نعله». إشارة إلى الراديو الصغير،
وما إليه من آلات الالتقاط، أو الإرسال التي يحملها معه الإنسان،
كما يحمل عليه الدخان.

وجاء في الكتاب المذكور: «يخرج قوم يأكلون بالسنتهم كما
تأكل البقر»، إشارة إلى أرباب الصحف المأجورة الذين يعيشون على
الأكاذيب والشائعات.

وأعجب من ذلك كله قول النبي: «سيرى الناس أموراً يتفاقم
شأنها في نفوسهم يتساءلون بينهم: هل كان النبي ذكر ذلك؟». رواه
أحمد ابن حنبل في كتاب المسند، وقد مضى على وفاة ابن حنبل
.١١٣٨

ولم يكتف النبي بالخبر عن البترول في بلاد العرب، بل أخبر أن الذين يستخرجونه ويصفونه حتى يصبح حاضراً وصالحاً للاستعمال هم المستعمرون إشرار الناس وأراذلهم. فقد جاء في مسند ابن حنبل: «سيكون معادن يحضرها أشرار الناس»، وفي حديث آخر: «أراذل الناس».

وفي كتاب «الشجرة المباركة» للشيخ علي اليزدي حديث طويل نقله عن تفسير علي بن إبراهيم من علماء القرن الثالث الهجري جاء فيه عن النبي: «تتقارب الأسواق ويظهر الربا وتعامل الناس بالغبية والربا، وينفقه أقوام لغير الله، ويكثر أولاد الزنا، ويتغنون بالقرآن».

ولم يبق شيء من هذه إلا تحقق هذا العصر، ولكن الذي يبعث على الدهشة أكثر من أي شيء قوله، «يتعامل الناس بالغبية» بفتح الغين، وهو إخبار عما يجري الآن بين التجار، يبرق تاجر في الشرق الآخر في الغرب، فتتم الصفقة دون أن يشاهد أحدهما الآخر ودون أن يحصل بينهم السوم والأخذ والرد.

وفي الكتاب المذكور عن الإمام «ستخرج الأرض بركانها، وتؤكل ثمرة الصيف في الشتاء وبالعكس وتحمل الشجرة في كل سنة مرتين، ويزرع الرجل الحنطة والشعير فينتج الصاع مئة... وتكون السنة كالشهر والشهر كالأسبوع والأسبوع كالיום واليوم كالساعة».

وإذا أخبر النبي أصحابه بهذه المغيبات فأولى أن يطلع علياً على أمثالها ونظائرها، وأي إنسان أحق بعلم النبي من علي، وهو منه بمنزلة الرأس من الجسد، كما قدمنا.

إذن جميع إخباراته بالغيب تستند إلى الرسول، وتنتهي إليه، وليس للإمام إلا الرواية، فمن أنكر عليه الأخبار بالغيب فإنما ينكر على الرسول من حيث يريد أو لا يريد.

ومن الطريق أن بعض من أنكر واستكثر أن يخبر الإمام عن الرسول يؤمن ويعتقد أن شقاً وسطيحاً^(١) كانا يخبران الناس بالغيب، وبظهور النبي قبل زمانه.

قال الرازي في كتابه الكبير عند تفسير آية «عالم الغيب»: إنه كان في بغداد كاهنة في عهد السلطان سنجر بن ملك شاه، تخبر بالغيب، فيأتي على وفق كلامها، وانه رأى كباراً من المحققين في علم الكلام والحكمة يؤمنون بأقوالها، وان «أبو البركات» بالغ في كتاب «المعتبر» في شرح حالها، وانه قد تفحص عنها ثلاثين سنة حتى تيقن أنها كانت تخبر بالمغيبات خبراً مطابقاً.

امرأة لا يعرف لها أصل ولا حقيقة تقول الغيب فيصدقها العلماء المحققون.. بل حتى الرازي المشكك الكبير يقول: «ليس علم الغيب مختصاً بالأولياء، بل قد يوجد في السحرة أيضاً..» وبعد، فأى غرابة أن يحدث الإمام بالغيب عن النبي عن الله سبحانه؟!!

رب قائل بأن ما قدمته من الأدلة إنما يقنع، أو يجب أن يقتنع به المسلم الذي يؤمن بالله ونزول الوحي على محمد لأن كل ما ذكرته مبني على أساس التسليم بالقرآن وأصول الإسلام، أما الذي لا يؤمن بالله أصلاً، أو يؤمن، ولا يعترف بنبوة محمد فلا تلزمه الحجة، وبالتالي لا يجب عليه التصديق بشيء مما قلت.

وأجيب بأني لا أطلب ممن يشكك بمغيبات الإمام أن يغير دينه وعقيدته، كي يصدق ما أقول، ولكنني أخاطب عقله ووجدانه، إذا كن على شيء من التمييز والإنصاف وأوجه إليه هذا السؤال: إذا أخبرك مخبر بوقوع حادثة ما، وصدق قوله مئة بالمئة، فبماذا تفسر هذا الصدق، مع العلم بأن تلك الحادثة لا تمت إلى التنبؤات العلمية

(١) قال صاحب العقد الفريد في الجزء الأول: أن سطيحاً كان يخبر الإنسان بنبيته قبل أن يتكلم. وهكذا قال كثير من المؤرخين وأصحاب السير عن طبع وشق.

وخبرة الإنسان بسبب؟! . بماذا تفسر المغيبات التي نقلناها عن الرسول وعلي؟ وإلى أي شيء تسند قول الإمام: «إن في الطالقان كنوزاً ليست من ذهب ولا من فضة» إشارة إلى بترول إيران، نقل هذا القول عن الإمام أبو الغنائم الكوفي في باب الفتن، وقد مضى على وفاته مئات السنين .

بماذا تفسر قول الإمام جعفر الصادق حفيد الإمام علي: إنه يأتي على الناس زمان يرى ويسمع من في المشرق من في المغرب وكل قوم يسمعون الصوت بلغتهم، وإن العرب تخرج من سلطان الأجانب، وتملك نفسها بنفسها، وحينئذٍ تخلع أعتها، وإنه لا يبقى صنف من الناس إلا ويحكم الناس^(١) .

نطق الإمام بهذه الحقائق منذ أكثر من ألف ومئتي سنة، ودونت في الكتب منذ ألف سنة أو أكثر، وقد تحققت بكاملها، ونحن الآن نراها ونعيش معها، فنسمع أهل الغرب يخاطبون أهل الشرق بواسطة الراديو، ويوجهون الإذاعات إلى كل قوم بلغتهم، وعماً قريب نشاهد الأوربيين والأميركيين بالتلفزيون بعد أن وضع العلماء التصميم لأن يكون البعيد فيه كالقريب تماماً كالراديو. وسادت الديمقراطية في أكثر الشعوب، وأجهزت على أرستقراطية الأنساب والأموال، وحكم الناس كل فئة من الناس من نكروما إلى كاسترو إلى كل جنس ولون. وما أوشك أن سير العرب في طريق الاستقلال حتى خلعوا اللجام، وشم بعضهم بعضاً، فكأن مصيبة الاستعمار كانت تجمع كلمتهم، فلما استقلوا أو كادوا ألقى كل عربي بأسه على رأس أخيه .

(١) صفحة ١٣٥ و١٦٣ و١٦٨ من المجلد الثالث عشر من كتاب بحار الأنوار طبعة سنة ١٢٣٣ هجرية للعلامة المجلسي، وقد مضى على وفاته ٢٧٩، هذا مع العلم بأن المجلسي نقل عن كتاب الغيبة للشيخ الطوسي المتوفى ٤٦٠، وكتاب الإرشاد للشيخ المفيد المتوفى ٤١٣ وعن كتاب المعاني للصدوق المتوفى ٣٨١، وهذه الكتب مطبوعة ومتداولة، وتاريخ تدوين هذه الأخبار في كتب الإمامية يرجع إلى أكثر من ألف سنة.

هذه صورة طبق الأصل عبر بها الإمام عما سيقع قبل عشرات الأجيال ومحال أن يعلم بحدوثها قبل الأوان إلا علام الغيوب ومن ارتضى من عباده الصالحين .

ومرة ثانية نعيد القول بأن الإمام لا يعلم الغيب، بل يخبر به عن النبي عن الله، والفرق بعيد جداً بين العلم بالغيب، وبين الأخبار به، وإن كان الأخبار يستتبع العلم، ولكنه علم عن رواية لا عن رأي .

حلم الإنسانية:

إن للإنسانية حلمًا تنشده منذ وجدت فوق الأرض، وكل إنسان يود أن يتحقق هذا الحلم مهما كان الثمن، ولكنه يجد السبيل إليه، أو يظنه محال الوقوع، أما أهل البيت فقد أكدوا بلسان الجزم واليقين أنه سيتحقق لا محالة، ونجد وصف هذا الحلم في البشارة التالية:

جاء في كتاب الشجرة المباركة، والمجلد الثاني عشر من كتاب بحار الأنوار عن النبي وأهل بيته:

«لا تقوم الساعة حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة، ولا يظلم أحد، ولا يخاف شيء من شيء، ولا يراق محجمة دم وحتى تستوي الأرزاق بين الناس، ويقتسمون بالسوية، ويكون الجميع على أحسن حال، ومن أمن وأمان، ويرعى الذئب مع الغنم، وتلعب الصبيان بالوحوش والسباع، وتزيد الخيرات حتى تصبح كالتراب فإذا سافر مسافر إلى مكان بعيد لا يصحب معه زاداً ولا مالاً، فالسماء تنزل بركاتها، والأرض تخرج كنوزها وطيباتها ويستغني الفقير ولا يعلو بعض الناس على بعض، وتنزع، الحمة من الهوام - البرغث والذباب - والسّم من الحشرات».

لا يقسم ميراث، لأن الإنتاج كالتراب، فلا داعي إلى الميراث والتوريث ولا تراق الدماء، لأنه لا خصومة على حطام ما دامت

القسمة بالسوية، والناس في كفاية، وتنزل السماء بركاتها، وتخرج الأرض خيراتها، لأن العلم سيعم الأقطار جميعاً، ولا يختص ببلد دون بلد، وأينما وجد العلم وجدت الخيرات والبركات؛ وستنزع الحمة من الهوام، والسم من الحشرات، لأن العلم سيغير طبيعة الحشرات والحيوانات، بل وطبيعة الإنسان أيضاً، وسيوجه العلم كله للخير والبناء لا للهدم والفناء، ويحقق للإنسانية أحلامها وأهدافها، ولو قسنا الحياة في هذا العصر إلى ما كانت عليه قبل قرن لوجدنا الفرق بعيداً شاسعاً. ولا سر لهذا التطور إلا تقدم العلم، وما هذه المفاجآت والتغيرات التي تطرأ على أفكارنا وحياتنا لا نتيجة الاكتشافات والاختراعات المذهلة، والآتي أعظم بكثير من الماضي، وكلما أسرع العلم في سيره أسرعنا معه إلى الحياة المنشودة.

إن الشواهد تدل على أن الطبيعة ستكون أطوع للإنسان، من بنانه، وإذا أضفنا إلى ذلك رغبة الناس في التعايش السلمي، وفي حياة أفضل، وأن لا تكون حرب بعد اليوم كانت النتيجة الحتمية أن كل شيء سيتغير، وأن حلم الإنسانية سيتحقق تماماً كما أخبر به النبي وأهل بيته. وكل آت قريب.

علي في بعض خصائصه

لا يستطيع الإنسان، أي إنسان، أن يتجرد عن ذاته وانطباعاته، لا يستطيع أن يسند معلوماته وتصوراتهِ إلى الواقع بعيدة عن شخصه ومعطياته مهما حاول واجتهد، إلا إذا استطاع أن يوجد عالم بدون عالم، ورسماً بدون رسام، وهو مستحيل كاستحالة وجود القيام بلا قائم، والكتابة بلا كاتب.

وعلى هذا فإذا حصلت لنا المعرفة بشيء، وتحدثنا عنهما، فإنما نتحدث عن وعينا، وعن الصورة التي تمثلناها لذلك الشيء، وقد تأتي مطابقة، وقد تكون مخالفة، حيث لا تلازم بين الواقع والشعور الذي يعكسه، فالواقع عن الفكر كما أن الفكر لا يستدعي معرفة الواقع. وهذا المبدأ يطرد في الجميع إلا في الأنبياء الذين تلقوا الوحي من الله، وإلا في الأولياء الذين أحاطوا علماً بكتاب الله، وأخذوا عن الأنبياء بلا وساطة، كالإمام علي؛ فإن علمه عين الواقع لا ينفك عنه بحال. ومن هنا قال: «لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً» حيث لا جديد يوجب الزيادة، فالذي يحجج إلى مكة المكرمة لا يزداد معرفة بأصل وجودها بعد أن يصل إليها، وهكذا علوم الإمام تمثل الحقيقة تمثيلاً صحيحاً بعيداً كل البعد عن الخطأ والالتباس.

والإنسان الذي يعتمد كتاب الله، وما تواتر عن النبي فعلمه عن

الحق واليقين، وعلى هذا الأساس نتكلم في هذا الفصل عن صفات الإمام وخصائصه فما دل عليه الكتاب، والحديث المروي بطريق السنة والشيعه أثبتناه، ولا شأن لنا بغيره.

أخو الرسول:

قال ابن حجر في كتاب الصواعق المحرقة ص ١٢٢ طبعة ١٣٧٥ قال: النبي خير اخوتي علي، وخير أعمامي حمزة. وفي صفحة ١٢٠ أنه قال لعلي: أنت أخي في الدنيا والآخرة... علي مني وأنا من علي. وقال جماعة من المفسرين: إن علياً هو الشاهد في الآية ١٧ من سورة هود:

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ، وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾.

قال الرازي: في تفسير الشاهد وجوه، ثالثها انه علي، والمراد تتلوه محمد. وقال السيوطي في الدر المنثور، والطبري في تفسيره: رسول الله على بينة من ربه، وعلى شاهد منه^(١).

صاحب النجوى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰتِكُمْ صَدَقَةٌ ذٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [المجادلة: ١٢].

أجمع المفسرون السنة والشيعه على أن هذه الآية لم يعمل بها أحد إلا الإمام، وذلك ان المسلمين أكثروا السؤال على الرسول حتى شقوا عليه، فأمرهم الله بهذه الآية أن يتصدقوا قبل أن يسألوا،

(١) كتاب دلائل الصدق ص ١٦٠ ج ٣ طبعة ١٩٥٣.

فأحجوا إلا الإمام تصدق وسأل ثم نسخت الآية، وقال الإمام: كنت إذا سألت النبي أجابني، وإذا سكت ابتدأني.

سابق الأمة:

﴿وَالسَّيِّقُونَ السَّيِّقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمَقْرُبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠ - ١١].

قال الفضل بن روزبهان، وهو من كبار العلماء عند السنة، في كتاب «إبطال الباطل»: جاء في رواية أهل السنة: «سبّاقوا الأمم ثلاثة مؤمن آل فرعون، وحبيب النجار، وعلي بن أبي طالب، ولا شك أن علياً سابق في الإسلام، وصاحب السابقة والفضائل التي لا تخفى».

وجاء في الجميع بين الصحاح الستة أن طلحة بن شيبة قال مفتخراً: أنا أولى بالبيت لأن المفتاح بيدي. وقال العباس: أنا أولى، أنا صاحب السقاية فقال علي: «أنا أول الناس إسلاماً، وأكثرهم جهاداً. فنزلت هذه الآية لبيان أفضلية الإمام على الجميع:

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ
ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا
يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾
[التوبة: ١٩].

صاحب الأذن الواعية:

﴿وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَّعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢].

قال الفضل بن روزبهان في كتاب إبطال الباطل: «روى المفسرون - السنة - انه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله لعلي: سألت الله أن يجعلها اذنك قال علي، فما نسيت بعد هذا شيئاً، وهذا يدل على علمه وحفظه وفضيلته». وفي كتاب ذخائر العقبي ص ٦١

طبعة ١٩٥٦هـ: قال الرسول للإمام: يا علي ما سألت الله عز وجل شيئاً من الخير إلا سألت لك مثله، ولا استعذت الله من الشر إلا استعذت لك مثله.

مكتوب على العرش:

﴿هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِبَصَرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٣].

جاء في كتاب دلائل الصدق عن السيوطي في الدر المنثور عن أبي هريرة أنه مكتوب عز الله أنا وحدي لا شريك لي محمد عبدي ورسولي أيده بعلي.

بازل الأموال سراً وعلانية:

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِخْفِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: ٢٧٤].

ذكر المفسرون من أهل السنة أن الآية نزلت في علي، كما قال الفضل بن رزبهان وقال المذكور أن الآية نزلت في علي، كما قال الفضل بن رزبهان. وقال المذكوران الآية ١٨ من سورة السجدة:

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾.

إن المراد بالمؤمنين علي.

وفي كتاب ذخائر العقبي لأحمد الطبري ان هاتين الآيتين:

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الزمر: ٢٢].

و:

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَلِقِيهِ﴾ [القصص: ٦٣].

نزلتا بعلي وحمزة، وان معنى قوله تعالى:

﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

معناه أنه لا يبقى مؤمن إلا وفي قلبه ود لعلي وأهل بيته.
أخرجه الحافظ السلفي.

وارث الكتاب:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾
[فاطر: ٣٢].

قال الفضل: علي من جملة ورثة الكتاب، لأنه عالم بحقائق
الكتاب وهذا يدل على علمه ووفور توغله في معرفة الكتاب.

هادي القوم:

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٨].

قال النبي ﷺ أنا المنذر، وعلي، وبك يهتدي المهتدون.
وجاء في كتاب «دلائل الصدق»: نقل هذا الحديث بعينه
صاحب كنز العمال ج ٦ ص ١٥٧. وذكر السيوطي في الدر المنثور
أربعة أحاديث في نزول الآية بعلي.

كلكم مسؤول عن ولاية علي:

﴿وَقَفُّوهُمْ^١ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصفات: ٢٤].

قال ابن حجر في الصواعق في الآية الرابعة من الآيات النازلة
في أهل البيت: أخرج الديلمي عن أبي سعيد أن النبي قال: وقفوهم
إنهم مسؤولون عن ولاية علي.

حسد الناس:

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ﴾ [النساء: ٥٥].

قال ابن حجر في الصواعق: أخرج أبو الحسن المغازلي عن الإمام الباقر أنه قال في هذه الآية نحن الناس والله.

مولى المسلمين:

﴿إِنَّا وَإَيْكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة:
٥٦].

في جميع التفاسير وفي الصحاح الستة أنها نزلت في علي حين تصدق بخاتمه على المسكين في الصلاة. بمحضر من الصحابة أما آية:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وآية:

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾
[الشورى: ٢٣].

فظهورهما بعلي وأولاده يغني عن الاستشهاد بالروايات والأقوال، كما أن هل أتى، ويطعمون الطعام على حبه يعرفها الجميع^(١).

(١) لم أبسط الكلام هنا فيما دل من العقل والنقل على فرض ولاية الإمام على كل من والى الرسول الأعظم، لأنني تعرضت لذلك في كتابي مع الشيعة الإمامية وأهل البيت.

وهذه الآيات جزء من كل، وقليل من كثير فقد جاء في كتاب الصواعق المحرقة نقلاً عن ابن عباس ص ١٢٥ طبعة ١٣٧٥هـ «إن ما من آية في القرآن إلا وعلي أميرها وشريفها، ولقد عاتب الله أصحاب محمد في غير مكان، وما ذكر علياً إلا بخير، وإن ابن عساكر قال: ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في علي، ولقد بلغت الآيات فيه ثلاثمئة آية».

ومن أراد التوسع في هذا الباب، والاطلاع على ما جاء في القرآن بحق علي من طرق السنة فليرجع إلى المجلد الثاني من كتاب دلائل الصدق للشيخ محمد حسن المظفر، فقد ذكر الآيات، وأسند أقواله إلى صحاح الستة، وكتبهم المعتمدة وبلغ هذا المجلد ٤٠٠ صفحة. ولو افترضنا أنه لم تنزل آية واحدة في علي بالخصوص فإن كل ما في القرآن من ثناء على عامل بخير من أي نوع كان فإنه يشمل علياً، ويدل عليه صراحة لأنه السابق إلى جميع المكرمات. ولقد أثار دهشتي ظاهرة فريدة في بابها فاجأتني وأنا أبحث وأنقب في مصادر هذه الصفحات، وهي أن ابن حجر صاحب الصواعق، وكثير غيره من شيوخ السنة مع اعترافهم بفضائل علي وإعلانها فضيلة ومنقبة منقبة يتحاملون على شيعة الإمام بما فيهم الإمامية، ويعدونهم من أهل البدع والزيغ، ونقدم مثلاً واحداً من هذا التحامل، لأن المقام لا يتسع للمزيد.

قال الفضل بن رزبهان في كتاب «إبطال الباطل»: كل ما ذكره الشيعة من الفضائل والمناقب لمولانا علي بن أبي طالب فنحن لا ننكره، لأن فضائل أهل البيت لا تحصى ولا ينكرها إلا منكر نور الشمس والقمر. ولكنه في نفس الكتاب المذكور قال: إن كتب الشيعة من موضوعات يهودي كان يريد تخريب بناء الإسلام، فعملها وجعلها وديعة عند الإمام جعفر الصادق، فلما توفي حسب الناس أنها كلامه...

كنا نظن أن مبدأ «اكذب، واكذب، ثم اكذب فلا بد أن تجد من يصدقك» مبدأ حديث من مخترعات الغرب والاستعمار، وإذا به قديم، وربما نقله الغربيون من الشرق عن ابن روزبهان وأمثاله فيما نقلوا من فلسفات وحضارات.

وإن الشيعة اتصلوا بالإمام جعفر الصادق مباشرة، ونقلوا عنه مشافهة، وكل راو من رواتهم يقول، سألت الإمام وحدثني الإمام، ولم يدع واحد من الشيعة أنه وجد عند الصادق بعد وفاته كتباً أو أوراقاً له ولا لغيره، وهذه كتب الشيعة في الحديث والفقه والتفسير مشرق لكل بصير.

قال المرتزقة هذا القول منذ مئات السنين بغية الكيد والدس، ونقله أحمد أمين واضرابه من قبل جهلاً أو تحاملاً، ونقله من بعد عن هذا «الأمين» الدكتور خليل الجبر، والأب حنا الفاخوري اللبناني اللذان يعيشان في عصر الفضاء والسماء، نقلا هذا الدس والكذب في كتاب «تاريخ الفلسفة العربية» الذي بلغ أكثر من ٩٠٠ صفحة في مجلدين^(١).

وغريب الغرائب أن كل شيء في الدنيا قد تغير إلا الكذب على الشيعة والافتراء على مذهب التشيع، منذ زمن مضى وانقضى كتب شيخ سوء أو فقيه شر أن الشيعة بما فيهم الإمامية يغالون بعلي، وأنهم

(١) في هذا الكتاب أخطاء عدا الافتراء على الشيعة منها ما في ص ٣١ ج ١ إن «للإسلام ثلاثة أسس هي القرآن والسنة والحديث» مع أن المعروف عند علماء المسلمين أن السنة والحديث شيء واحد، ومنها ما في ص ٨٤ ج ١ «الكلي ما يقال أو لا يقال موضوع كلي، والجزئي ما يقال على موضوع كلي». وهذا أشبه بقول القائل بأن في بطن هذه الدابة ذكراً أو لا ذكراً.. إن تعريف الكلي عند الفلاسفة وأهل المنطق هو ما يصدق على الكثرة بعكس الجزئي الذي لا يصدق إلا على الواحد، والمؤلفان جمعا بين تعريف الكلي والجزئي، وعرفا به الكلي، ثم عرفا به الجزئي.

أخذوا دينهم عن ابن سبأ اليهودي، رمى هذا المفتري رميته ومضى، ولكن بعد أن شق طريق الضلال والتضليل. وإليك ملخص القصة لهذا الافتراء، والسبب الباعث عليه:

كان الشيعة يثورون على حكام الجور إخلاصاً لدينهم وأمتهم، وكان هؤلاء ينعتون بالزندقة والمروق من الدين، لأنهم لا يدينون لهم بالولاء تماماً كما يتهم بعض حكام هذا العصر القوي التحررية بالشغب والتخريب. وإذا وجدت السلطات المعتدية في عصر النور صحفاً مأجورة تساندها، وتنعت الحزب المعارض بأقبح النعوت تزلفاً وطمعاً، فبالأحرى أن تجد في عصر الظلمات من يضع لها الكتب والمؤلفات في تفكير الشيعة. هكذا فعلوا تماماً كما يفعلون اليوم.

لقد اشترى السفاكون من أرباب الأقلام دينهم وضمايرهم، ليتقولوا على الأبرياء ويعلم كل من البائع والمشتري أنه مفتر كذاب، وجاء المتأخر فرأى الكلمة المطبوعة «للسلف الصالح» فقدسها وركع لها وسجد دون تمحيص وتحقيق، وأخذ يرددتها فكرة وأسلوباً، بل نقلها بالحرف الواحد، كأنها وحي منزل.

إن العالم المنصف إذا تكلم عما تدين به طائفة من الطوائف اعتمد على الكتب المعتمدة عندها، وما ثبت من مذهبها، أما النقل عن خصومها، وبخاصة خصوم العقيدة والمذهب فهو تماماً كالحكم على المدعى عليه بمجرد إقامة الدعوى وقبل الاستماع إلى الشهود والبيانات.

ومن الصدق أني كلما قرأت افتراء على الشيعة تذكرت كلمة لسيبويه: اجتمع هذا النحوي الشهير بنفر من نحاة الكوفة فناظروه في مسائل نحوية، وطال بينه وبينهم الجدل والنقاش، ولكن على غير طائل، فسأله سائل عن سبب عجزه عن إقناعهم، فأجاب:

«أخطئهم على مذهب العرب، ويخطئونني على مذهبهم»، أي تكلم هو على مقاييس منطقية، وتكلموا على غير أساس.



الإناء ينضح بما فيه

كان الشيخ نصر الله بن مجلي من العلماء المعروفين بالأمانة والصدق عند أهل السنة، وقد نقل ابن خلكان الشافعي صاحب كتاب «وفيات الأعيان» أن هذا الشيخ الجليل رأى في منامه الإمام علياً، فقال له:

يا أمير المؤمنين تفتحون مكة، فتقولون من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ثم يتم على ولدك الحسين يوم الطف ما تم؟!.

فقال له الإمام: أما سمعت أبيات ابن صيفي في هذا؟
فقال الشبي: لا.

فقال الإمام: اسمعها منه.

فاستيقظ الشيخ، وبادر إلى دار ابن صيفي الشاعر المعروف بحيص بيص^(١) وأخبره بالرؤيا، فشق وأجهش بالبكاء، وحلف بالله أنه نظمها هذه الليلة، ولم تخرج من فمه إلى أحد، ثم أنشد هذه الأبيات:

(١) رأى هذا الشاعر الناس في ذات يوم في حركة مزعجة، فقال: ما للناس في حيص بيص، فغلب عليه هذا اللقب، وكان فقيهاً وشاعراً معروفاً، له رسائل فصيحة بليغة، وكان من أعرف الناس بأشعار العرب، توفي سنة ٥٧٤هـ.

ملكنا فكان العفو منا سجية فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتهم قتل الأسارى وطالما غدونا عن الأسرى نمن ونصفح
فحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح

وقد نضح بيت علي بما فيه من القداسة والعلم والعفة والزهد،
نضح باستشهاد الحسين، وعبادة زين العابدين؛ وعلوم الباقر
والصادق، ونضح بيت خصومه بالخمور والفجور والغدر وسفك
الدماء. قال الشاعر أبو فراس يقابل بين أهل البيت ومناوئهم:

لا يغضبون لغير الله إن غضبوا ولا يضيعون حكم الله إن حكموا
تبدو التلاوة من أبياتهم أبدأ ومن بيوتكم حكم الأوتار والنغم
ما في منازلهم للخمر معتصر ولا بيوتهم للشمر معتصم
ولا تببت لهم خنثى تنادمهم ولا يرى لهم قرد، له حشم
الركن والبيت والاستار منزلهم وزمزم والصفاء والحجر والحرم

تقاضى في الجاهلية عبد المطلب جد علي، وحرب بن أمية جد
معاوية نفيل بن عدي فقضى لجد علي، وقال لجد معاوية:

أبوك معاهر وأبوه عف وذاد الفيل عن بلد الحرام

وقد ورث كل ابن وحفيد نصيب من ينتمي إليه، ويتقرب به.

قال الأستاذ جورج جرداق في الجزء الرابع من كتاب «الإمام علي».

«إن أبرز الأمويين تمثيلاً لخصائص أمية هو معاوية بن أبي
سفيان، وأول ما يطالعنا من صفاته أنه لم يكن على شيء من الإنسانية
والإسلام».

أما بعده عن الإسلام ففقد شهد هو بنفسه على نفسه. رآه أبو
الدرداء يشرب في آنية الذهب والفضة، فقال له يا معاوية: سمعت
رسول الله يقول: إن الشارب فيهما لتجرجر في جوفه نار جهنم.

فقال معاوية: أما أنا فلا أرى بذلك بأساً.

ولا يختلف هذا القول عن قول عثمان، يقول الرسول الأعظم: «ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر». ويقول عنه عثمان: «أشيروا عليّ في هذا الكذاب، إما أن أضربه أو أحبسه أو أقتله».

ومن قرأ تاريخ الأمويين يجدهم جميعاً من معدن واحد، لا يختلف أحدهم عن الآخر إلا في الأسلوب والمظهر، حاشا عمر ابن عبد العزيز. معاوية قتل الحسن سبط الرسول، ويزيد ابنه قتل الحسين سبط الرسول، فالأب والابن قتلا ریحانتي النبي وسيدي شباب أهل الجنة، ولكن ذاك قتل سراً بالسـر وهذا قتل جهراً بالسيف، وهكذا الأشرار في كل عصر يختلفون في المظهر ويتحدون في الجوهر.

أما براءة الإنسانية من معاوية وأعماله فقد شهد هو أيضاً على نفسه بأنه لم ينصف ولم يعدل، قال المغيرة بن شعبة:

قلت لمعاوية، وقد خلوت به: إنك قد بلغت سنأ. وقد كبرت، فلو أظهرت عدلاً، وبسطت خيراً مما يبقى لك ذكره وثوابه. فقال معاوية: هيهات هيهات، أي ذكر أرجو بقاءه! ملك أبو بكر فعدل، فلما هلك هلك ذكره، وملك عمر عشر سنين، فاجتهد وشمر، فما أن هلك حتى هلك ذكره، وان ابن أبي كبشة - يعني محمداً ﷺ - ليصاح به كل يوم خمس مرات أشهد أن لا إله إلا الله، وان محمداً رسول الله، فأني عمل يبقى، وأي ذكر يدوم، لا أبا لك.

ويشهد على براءة الإنسانية منه قوله، بعد أن دس السم بالعسل للحسن: «ان لله جنوداً من عسل» وقوله للمجرم بسر ابن ارطاة حين جهزه للسلب والقتل بالسلاح والجنود: «سر حتى تمر بالمدينة، فاطرد الناس، واخف من مررت به؛ وانهب أموال كل من أصبت له مالا».

وقوله لسفيان ابن عوف، وقد سيره إلى العراق، لنفس الغاية التي سير إليها بسراً للحجاز: «اقتل من لقيته ممن ليس على مثل رأيك، واخرب كل ما تمر به من القرى».

أما حلم معاوية فقد كان يضيق عن الضعفاء الذين لا حيلة لهم ولا وسيلة، كما رأينا في وصيته لجلاوزته وشياطينه، ويتسع للذين يخشى خطرهم على عرشه وسلطانه، كحلمه عن جارية ابن قدامة.

وفد جارية على معاوية، فقال له معاوية:

أنت الساعي مع علي بن أبي طالب، والموقد النار في شيعتك تجوس قرى عربية تسفك دماءهم.

قال له جارية: دع عنك علياً، فما ابغضنا علياً منذ أحببناه، ولا غششناه منذ صحبناه.

قال معاوية: ويحك يا جارية، ما كان أهونك على أهلك، إذ سموك جارية.

فقال له: أنت يا معاوية أهون على أهلك، إذ سموك معاوية (معاوية كلبة عاوية).

فقال له: لا أم لك.

قال جارية: أمي ولدتني، وإن قوائم السيوف التي لقيناك بها في صفين لفي أيدينا.

قال: إنك لتهددني.

قال: إنك تملكنا قسرة، ولم تفتحنا عنوة، ولكن أعطيناك عهداً وموathيق فإن وفيت لنا وفينا، وأن ترغب إلى غير ذلك فقد تركنا وراءنا رجالاً مدداً وأذرعاً شداداً، وألسنة حداداً، فإن بسطت إلينا فتراً من غدر دلعنا إليك بباع من ختر.

فقال له معاوية: لا أكثر الله في الناس أمثالك.

أجل، لجارية وأمثاله كان يتسع حلم معاوية، أما لأطفال عبيد الله بن العباس، وأصحاب حجر بن عدي، وأهل القرى الآمنين فقد ضاق عنهم حلمه وكرمه ودينه وضميره.

وعلى الشواهد على حلم معاوية سجوده «لله شكراً» حين بلغه موت الحسن ابن علي ربحانة الرسول وسيد شباب أهل الجنة. فبلغ ذلك عبد الله بن عباس، وكان يومئذ بالشام، فدخل عليه، وقال له: يا معاوية بلغني الذي أظهرت من الفرح والسرور لموت الحسن، أما والله ما سد جسده حفرتك، ولا زاد نقصان أجله في عمرك «ولقد مات، وهو خير منك، ولئن أصبنا به فقد أصبنا بمن هو خير منه جده رسول الله، فيجبر الله مصيبتته، وخلف علينا من بعده أحسن الخلافة، ثم شهق ابن عباس، وبكى فبكى من كان حاضراً.

فقال معاوية: بلغني أنه قد ترك بنين صغاراً. فقال ابن عباس: كان صغيراً فكبر. فقال معاوية: كم أتى له من العمر، قال ابن عباس: أمر الحسن أعظم من أن يجهل أحد مولده (يشير إلى أن مولد الحسن كان في سنة الأحزاب يوم كان معاوية وأبوه وأخوه يقاتلون رسول الله).

فقال له معاوية: أصبحت سيد قومك يا بن عباس من بعد الحسن. فقال له: أما مع وجود الحسين فلا. فقال له معاوية: الله أبوك ما استنبأتك إلا وجدتك معداً.

قتل معاوية الحسن الزكي، وكبر وسجد لله، لأنه وفق للغدر بالإمام، وقتل ولده يزيد الحسين، ووضع رأسه بالطشت يعبث به بقضيب مكتوب عليه «لا إله إلا الله محمد رسول الله» حتى إذا سمع الأذان نهض، وصلى بالناس جماعة!...

هكذا فعلوا بالأمس، وهكذا يفعلون في كل عصر.

ويتسع هذا الباب لمجلدات، نختمه بالمقارنة التالية:

رأى عبد الملك الإمام زين العابدين، فاستعظم ما رأى أثر السجود، فقال له: يا أبا محمد علام هذا الاجتهاد، وقد سبق لك من الله الحسنى، وأنت بضعة من رسول الله قريب النسب وكيد السبب، وإنك لذو فضل على أهل بيتك، وذوي عصرك، ولقد أوتيت من الفضل والعلم والدين والورع ما لم يؤته مثلك ولا قبلك إلا من مضى، وأقبل يشني عليه ويطريه.

فقال له الإمام: كل ما ذكرته ووصفته فهو من فضل الله سبحانه وتوفيقه وتأيدته فأين شكره على ما أنعم؟ كان رسول الله يقف في الصلاة حتى تتورم قدماه، ويطأ في الصوم حتى يعصب فوه، فقيل له يا رسول الله ألم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر؟ فقال: أفلا أكون عبداً شكوراً؟ على ما أولى وأبلى، وله الحمد في الآخرة والأولى.

ثم قال الإمام لعبد الملك: والله لو تقطعت أعصابي وسالت مقلتي على صدري لا أقوم لله بشكل عشر العشير من نعمة واحدة من جميع نعمه التي لا يحصيها العادون... والله لا يشغلني شيء عن شكره وذكره في ليل ولا نهار، ولا سر ولا علانية.

ثم بكى الإمام، وبكى عبد الملك، وقال: شتان بين عبد طلب الآخرة، وسعى لها سعيها، وبين من طلب الدنيا من أين جاءته، ماله في الآخرة من خلاق.

وكما أن الإمام لا يشغله شاغل عن ذكر الله وذكره في ليل ولا نهار، كذلك خصوم أهل البيت لا يشغلهم عن معصية الله شاغل في ليل ولا نهار، يفسقون ويفجرون سراً وعلانية.

كان عبد الملك الذي وصف نفسه وأهله بقوله طلب الدنيا من

أين جاءته كان يقول: لا يأمرني أحد بتقوى الله إلا ضربت عنقه.
وطرب يوماً ولده يزيد، وعنده جاريتان: حبابة، وسلامة القس،
فقال: دعوني أطير فقالت له حبابة: على من تدع المسلمين. فقال:
عليك.

وكان الوليد بن يزيد حفيد عبد الملك مولعاً بالخمير شب عليه
ونشأ، فعمل حوضاً في بستان، وملاه خمراً فكان يفسق ويزني، ثم
يلقي بنفسه في حوض الخمير يعب منه، ثم يخرج إلى الزنى والفسق،
إلى أن يدخل وقت الصلاة فيلبس العمامة، ويؤم الجماعة!

وكل واحد من الأئمة الأطهار هو زين العابدين، وكل عدو لهم
هو يزيد.

مناظرة المأمون

مع العلماء^(١)

قال صاحب «البحار» في أول الجزء الثالث من كتاب الإيمان: إن صاحب كتاب «البرهان» ذكر أن الخليفة العباسي المأمون اختار أربعين عالماً من الذين يفهمون ويحسنون الجواب، فاحضرهم في مجلسه وقال لهم.

إني أدين لله عز وجل بأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب هو خير الخلق بعد رسول الله، وأولى الناس، وأحقهم من بعده بالخلافة، فماذا تقولون؟

فانبرى له أعلمهم، وهو اسحاق بن حماد، وجثا على ركبتيه، وقال له:

لسنا نعرف ما ذكرت من أمر علي وقد دعوتنا للمناظرة، ونحن مناظرونك على ذلك.

فقال له المأمون: تسألني أو أسألك؟

اسحاق فقال: أنا أسألك.

فقال المأمون: سل ما شئت.

(١) المناظرة طويلة جداً وقد أوجزتها بتصريف.

قال اسحاق: أين دليلك على دعواك؟

قال المأمون: بأي شيء يتفاضل بعض الناس على بعض؟

قال اسحاق: بالأعمال الصالحة.

قال المأمون: لو افترض أن شخصاً كان أفضل من صاحبه في عهد الرسول، لأن عمله أحل وأفضل، ثم أراد المفضول الذي كان متأخراً في عهد الرسول أن يلحق بالفاضل، فعمل وأكثر من الخير بعد عهد الرسول فهل يستطيع اللحاق بالفاضل الأول؟

قال اسحاق: كلا، بكل تأكيد. إن الأفضل في عهد الرسول لا يلحق أبداً.

وقال المأمون إن أصحابك الذين أخذت دينك عنهم، وجعلتهم قدوة لك قد رووا لعلي فضائل، فأنسب هذه الفضائل التي يسلم بها أصحابك إلى فضائل غيره، فإن رأيت أنها تشبه فضائل علي، ولو من بعيد، فقل بأن غيره خير منه وأفضل.

ثم قال المأمون: والآن يا اسحاق، أخبرني أي الأعمال كانت أفضل يوم بعث الله محمداً، ولم يكن معه أحد؟

قال إسحاق: الإخلاص بالشهادة، والسبق إلى الإسلام.

قال المأمون: هل علمت أن أحداً سبق علياً إلى الإسلام؟

قال إسحاق: أجل، إن علياً سبق إلى الإسلام، ولكن عندما أسلم كان حدثاً صغير السن، وأسلم غيره من بعده، وكان كبيراً قد تكامل عقله.

قال المأمون: هل أسلم علي من تلقائه، ودعاه الرسول إلى الإسلام؟

قال إسحاق: بل دعاه الرسول.

قال المأمون: هل كانت دعوة الرسول لعلي بأمر من الله أو فعلها الرسول دون أمر الله؟

قال إسحاق: حاشا الرسول أن يفعل شيئاً إلا بأمر الله ومرضاته.

قال المأمون: لقد أمر الله نبيه أن يدعو علياً للإسلام، وهو يعلم أنه صبي، فدعاه الرسول امتثالاً لمرضاة الله سبحانه، ولم يدعو أحداً سواه من الصبيان، لأن الله لم يأمره بدعوتهم، لعلمه بأن الصبي لا يؤتمن على الدين فقد يؤمن الساعة، ثم يريد بعدها تلبية لطلب أهله وغيرهم، إذن، لقد اختار الله علياً بدعوة الإسلام من بين الصبيان ليبين فضله على الناس أجمعين، كي يعرفوا مكانته وعظمته، وإن هذه فضيلة لم يشاركه بها أحد، وأنه لم يشرك بربه طرفة عين. فبهت إسحاق ولم يستطع جواباً.

ثم سأله المأمون أي الأعمال كان أفضل بعد السبق إلى الإسلام؟

قال إسحاق: الجهاد في سبيل الله.

قال المأمون: صدقت، فهل تجد لأحد من الجهاد ما كان لعلي! وكم كان قتلى يوم بدر؟ وهو أول فتح ونصر للإسلام؟

قال إسحاق: وكانوا نيفاً وستين رجلاً من المشركين.

قال المأمون: كم قتل علي منهم؟

قال إسحاق: نيفاً وعشرين رجلاً، وأربعون لسائر الناس.

وقال المأمون: يكفي يوم بدر شاهداً على أن جهاد علي فوق كل جهاد، ولا أطيل عليك في أمر الجهاد بأكثر منه. ولكن أريد أن أسألك يا إسحاق عن حديث «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» هل ترويه؟

قال إسحاق: نعم أرويه جيداً.

قال المأمون: إن هارون كان أخاً لموسى لأبيه وأمه وكان نبياً، وعلي ليس نبياً، ولا أخاً للنبي، إذن، ما معنى قول الرسول: أنت مني بمنزلة هارون من موسى؟

قال إسحاق: لقد أراد النبي بقوله هذا أن يطيب نفس علي، لأنه تألم من قول المنافقين بأن الرسول استخلفه استثقلاً له.

فابتسم المأمون من قول إسحاق، وقال له:

أين أنت عن كتاب الله؟ إن معنى الحديث في القرآن بالذات.

قال إسحاق: وكيف ذلك؟

قال المأمون: إن الله أخبر عن موسى بأنه قال لأخيه: اخلفني في قومي وأصلح، ولا تتبع سبيل المفسدين، وهكذا أراد محمد أن يكون علي في قومه، وأن يصلح شأنهم، ولا يتبع أهواءهم.

قال إسحاق: إن موسى استخلف هارون موقتاً، ريثما يعود من مناجاة ربه، كذلك استخلف محمد علياً على المدينة ريثما يعود من غزوته.

قال المأمون: كلا، ليس الأمر كما ذكرت. إن موسى ذهب إلى ربه وحده، ولم يذهب أحد معه من قومه، فاستخلص هارون عليهم، ومحمد ذهب معه قومه، ولم يبق في المدينة إلا النساء والصبيان، فتعين أن يكون علي خليفة في قوم محمد، كما كان هارون خليفة في قوم موسى، وقد بين النبي ذلك بقوله إلا أنه لا نبي بعدي، وهذا يكشف بأن محمداً قد استخلف علياً على كل حال إلا النبوة، لأن محمداً خاتم النبيين، وما كان قول النبي ليبتل أبدأ.

فقال العلماء الحاضرون للمأمون: الحق ما تقوله، ونحن نعتقده، وفقك الله.

وسواء أكانت هذه المناظرة قد حصلت، أم هي من وضع
واضع، فبان فيها من العلم ما يعبر عن الواقع، فإن لم ينطق بها مقال
فقد حدث عنها لسان الحال.

الشيعة

لكي نعرف شيعة علي علينا أن نعرف أولاً من هو علي؟ أما المعرفة بشخصيته فلا تحتاج إلى الدرس في المعاهد والجامعات، أو قراءة ما ألف فيه من المجلدات، وما على الراغب إلا أن يقرأ كلمة من كلماته المأثورة المشهورة، فسيجدها كافية وافية في الدلالة على عظمته، وبالرغم أنها كعظمة الكون لا تحدها نهاية وهنا موضع الإعجاز.

وحسب الذين لا يعرفون الإمام أن يقرأوا قوله:

«والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت».

يا للحنان والرفقة. يا للعلم والصدق... علي يقسم بالله، وهو العارف به والصادق من غير إيمان: انه لو خير بين أن يسلب نملة قشرة شعيرة لا شعيرة، ويملك الكون بشمسه وقمره بأرضه وسماؤه، بإنسانه وحيوانه، بذهبه ومعدنه، وبين أن يترك للنملة قشرتها، ويحرم من كل شيء، بل يجرف في القيود والأغلال لاختار الحرمان والآلام مع العدل، على ملك الكون بأسره مع الظلم، وأي ظلم: سلب قشيرة صغيرة لنملة حقيرة؟.

إن فناء علي في جنب الله هذا الفناء أخرجته عن أفراد الناس العاديين، وجعله مبدأً وعنواناً للحق، حتى أصبح اسمه مرادفاً لاسم

الحق، ومن هنا انقسم الناس فيه إلى محبين ومبغضين، تماماً كما انقسموا في الحق إلى وموالين ومعاندين.

سئل الإمام الصادق: بماذا صار علي قسيم الجنة والنار؟ فقال: لأن حبه إيمان وبغضه كفر، وإنما خلقت الجنة لأهل الإيمان، وخلقت النار لأهل الكفر.

وكما بلغ الإمام من التقى والتضحية لأجل الحق أقصى ما يمكن أن يصل إليه إنسان كذلك هو في علمه وصدقه وشجاعته وسماحته بلغ مرتبة ليس فوقها إلا الله والرسول، وإذا كان كلامه فوق كلام الناس ودون كلام الله، كما قيل، فكل صفاته كذلك دون استثناء، وهذه نتيجة طبيعية لشخصيته المنسجة المتماسكة، وإذا كان معنى الإعجاز خرق العادات فإن كل صفة من صفاته خارقة للعادة.

هذا هو الإمام، فمن أراد أن ينتمي إليه، ويكون في عداد شيعته فعليه أن يقتدي به، أو قل عليه أن يلتزم الشروط التي حددها أهل البيت، واعتبروها أساساً للدخول في حزبهم، والانتساب إلى شيعتهم.

قال الإمام زين العابدين: «أبغض الناس إلى الله من يقتدي بسنة إمام ولا يقتدي بأعماله». ومحال أن يكون أبغض الناس إلى الله سبحانه، من شيعة أحب الخلق لديه. وقال الإمام الصادق: «حق على كل مسلم يعرفنا أن يحاسب نفسه في كل يوم وليلة، فإن رأى حسنة استزاد منها، وإن رأى سيئة استغفر منها». وقال الإمام الباقر: «والله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه». إذن الشيعي حقاً هو المسلم القرآني الذي يحمل روح أبي ذر وعمار ابن ياسر، وإلا فهو شيعي بالإسم، وكفى.

حين يذهب الشيعي إلى زيارة قبر الإمام في النجف يتجه إليه، ويقول: «السلام عليك يا أمير المؤمنين، وإمام المتقين وقائد الغر

المحجلين» فإذا لم يكن هذا القائل من أهل الإيمان والتقوى فقد شهد على نفسه بأن الإمام بريء منه ومن أعماله، تماماً كالذي يقرأ القرآن، والقرآن يلعنه - كما جاء في الحديث - لأنه فاسق منافق، والقرآن يلعن الفاسقين والمنافقين.

ومن الطريف أن بعض الذين يدخلون البرلمان باسم التشيع زوراً وبهتاناً لا يقف عند الدعوى بأنه شيعي، لأن مأمور الإحصاء كتب في هويته «مسلم شيعي» اعتماداً على شهادة المختار والناطور، بل يزعم أنه يمثل الطائفة الشيعية، ويحتج بها كلما أراد السلب والنهب، كأن مذهب التشيع قائم على الفوضى والظلم، والفسوق والفجور، والتحريض على اغتيال الأبرياء كما فعل ويفعل هذا «الآثم» الذي يزعم التمثيل عن الشيعة. وأراهن إذا كان يعرف شيئاً عن مذهب التشيع، أو يستطيع أن يعد أسماء أئمة الشيعة الإثني عشر على الترتيب، بل أراهن إذا كان قد صام يوماً واحداً، أو أدى فريضة واحدة، إنه يسخر من المصلين والصائمين، وممن يدين بالحب والولاء للنبي وأهل بيته. وبالرغم من كل ذلك يصبح نائباً ووزيراً باسم الشيعة، ومن قبله نكث يزيد بن معاوية ثانياً الحسين بقضيب كتب عليه «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

ومنذ انتسب هذا وأمثاله إلى الشيعة أصبحوا لقمة سائغة لكل طامع، وصدق عليهم قول الإمام: «لا تنفك هذه الشيعة حتى تكون بمنزلة الماعز لا يدري الخابس - أي الآخذ - على أيها يضع يده، فليس لهم شرف يشرفونه ولا سناد يستندون إليه في أمورهم^(١)، أي بلغوا من الضعف حداً أصبحوا معه كقطع الماعز المعد للذبح، يأخذ الجزار منه ما يشاء، حيث لا راعي يمنعه ولا زعيم يردعه.

(١) بحار الأنوار، المجلد الثالث عشر، باب «ما ورد عن الإمام في المهدي».

وقال أيضاً: «كأنني بكم تجولون جولان الإبل تتبعون مرعى، لا تجدونها يا معشر الشيعة»^(١).

صور من الإبل والماعز يرسمها سيد الأولياء للشيعة لا تختلف في شيء عما هم عليه الآن. انظر إلى الشيعة في كل مكان فهل تجد لهم قائداً يعمل بوحي من حلال الله وحرامه؟! هل تسمع صوتاً لمتزعم أو متقدم إلا بدافع من أهوائه وسفه أبنائه؟! فإن تولي أحدهم الرياسة الدينية استحال في حقه أن يفكر بضعف الطائفة وبؤسها ومستقبل أبنائها، وأن يقوم بأي عمل للتخفيف عنها وتحسين حالها، لأن هذا سياسة، ولا ينبغي لرجل الدين التدخل بشيء من السياسة، ويحصر كل همه واهتمامه بكثرة المقلدين والأتابع، وبأية وسيلة تأتيه الحقوق والأموال؟ ومن أين، وإن تولي الرياسة الزمنية أضاف إلى سيئاته سيئات بعضها فوق بعض؟ فلا بدّ إذن إذا أصبح الشيعة ضالة تجول ولا تهتدي إلى خير، وماعزاً تساق إلى المسلخ!

لقد لاقى الشيعة ألواناً من التنكيل والاضطهاد منذ عهد الأمويين إلى آخر عهد العثمانيين، حتى إذا ذهب هؤلاء، وسيطر الاستعمار الغربي من بلاد العرب كان نصيب الشيعة من ظلمه وبغيه أكثر من نصيب أية طائفة من الطوائف، وبعد أن ولّى الإنكليز والفرنسيون، واستقلت البلاد العربية بقيت حقوق الشيعة نهياً لمن يشاء، وبخاصة في لبنان.

جاء الرئيس الأول سنة ١٩٤٣ فقرب بعض زعماء الشيعة، وأبعد آخرين فلم تنل الطائفة حقوقها، ثم جاء الثاني فأبعد القريب وقرب البعيد، فكانت الحال أدهى وأمر. ورددنا مع الشاعر:

يا ليت جور بني مروان دام لنا وليت عدل بني العباس في النار

(١) المصدر السابق.

ثم جاء الثالث، وأعلن سياسة الحياد وعدم الانحياز، ولكن ما زال المتشيع ينشد الحق فلا يجده، لقد مررنا بكل عهد، والحال هي الحال. إذن هناك سر... إنه في الداخل لا من الخارج... إنه الداء الذي وصفه الإمام «ليس لهم شريف يلوذون به، ولا سناد يستندون إليه في أمورهم».

وصدق شيخنا الشيبلي:

أيها المصلح من أخلاقنا أيها المصلح الداء هنا



إننا نجني على أنفسنا حين نجني ثم ندعو من جنى؟

مولد الإمام وأولاده

ولادة الإمام:

ولد علي في قلب البيت الحرام بمكة يوم الجمعة ١٣ رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة، وأبوه عم الرسول، وأمه بنت عم والده، وكان النبي يسمي السنة التي ولد فيها الإمام سنة الخير، وسنة البركة، وكان يوجره اللبن عند شربه، ويصب عليه الماء وقت غسله، ويحرك مهبه عند نومه، ويئاغيه في يقظته، ويحمله على صدره.

كناه وألقاه:

سمته أمه باسم أبيها، وسماه أبوه علياً، وكان الحسن والحسين في حياة الرسول لا يناديانه «يا أبانا» لأنهما لا يريان أباً إلا رسول الله ﷺ، فلما قبض جدهما ناديا الإمام بيا أباه، أما ألقابه فلا يبلغها الإحصاء، منها أمير المؤمنين، ويعسوب الدين، والمرضى، وأخو الرسول، وزوج البتول، وقاتل الفجرة، وقسيم الجنة والنار، وصاحب اللواء، وسيد العرب، وما إلى ذلك، أما أمير النحل فقال صاحب البحار في آخر المجلد الثالث: روي أنه وجد في غار نحل، فلم يطق أحد الوصول إليه، لشدته، فقصده علي، واستخرج منه عسلاً كثيراً؛ فسماه الرسول أمير النحل.

أزواجه وأولاده:

تزوج فاطمة، وهو ابن خمس وعشرين سنة، وهي بنت عشر. ولدت فاطمة بمكة بعد النبوة بخمس سنين، وزوجه إياها الرسول في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة، وبنى بها الإمام في شهر ذي الحجة من السنة ذاتها، وتوفيت ولها من العمر ثماني عشرة سنة، وخمسة وسبعون يوماً، وجاء في الحديث «لولا علي لم يكن لفاطمة كفؤ». وولدت له الحسن والحسين، وزينب الكبرى، وزينب الصغرى المكناة بأم كلثوم.

وتزوج بعدها بنساء كثيرات، منهنّ:

١ - أمّة بنت أبي العاص، وأمها زينب بنت الرسول وولدت له محمد الأوسط. قتل في كربلاء.

٢ - خولة بنت جعفر بن قيس الحنفية، ولدت محمد الأكبر المعروف بابن الحنفية.

٣ - أم حبيبة بنت ربيعة، ولدت عمر ورقية.

٤ - أم البنين بنت حزام الكلابية، ولدت العباس وجعفر وعبد الله وعثمان قتلوا في كربلاء.

٥ - ليلى الدارمية، ولدت محمد الأصغر المكنى بأبي بكر، وعبد الله قتلوا في كربلاء.

٦ - أسماء بنت عميس الخثعمية؛ ولدت يحيى وعون.

٧ - أم مسعود الثقفية، ولدت أم الحسن ورملة. وتزوج غير الذي ذكرناه، رزق منهن بنات وهن نفيسة وأم هاني، ورقية الصغرى، وأم الكرام، وجمانة، وأمّة، وأم سلمة، وميمونة وخديجة وفاطمة.


ومجموع أولاده ٢٧، منهم ١٤ ذكور، والباقي إناث وكان عنده يوم قتله من النساء اثنتان وعشرون، منهن أربعة زوجات: أمامة بنت أخت سيدة النساء فاطمة، وليلى بنت مسعود، وأسماء بنت عميس، وأم البنين الكلابية، و١٨ أمهات أولاد.

صفة الإمام:

كان ربعة، ليس بالطويل ولا بالقصير أسمر الوجه، أصلع، يحف الشعر بالصلع، كأنه إكليل، رقيق الحاجبين مع طول فيهما وامتداد، أسود العينين في سعة تزين لحيته ووجهه وصدرة، حسن الوجه واضح البشاشة، أغيد كأن عنقه إبريق فضة، عريض الصدر، طويل الظهر، كبير البطن، مستوي المتن حتى كأنه قطعة واحدة لا مفاصل فيها، غليظ الكفين، ضخم الأعضاء ليس عليهما كثير لحم، لا يستبين عضده من ساعده، عبل الذراعين عظيم المرفقين والكعبين والركبتين، رقيق الساقين.

قال المغيرة بن شعبة كان علي على هيئة الأسد، يغلظ من أعضاء الأسد ويسترق ما استرق.

وكانت مشيته كمشية رسول الله ﷺ، وكان إذا أقدم على حرب هروا لا يلوي على شيء، وكان يرفع الفارس بيد واحدة، ويجلد به الأرض من غير جهد وعناء، وإذا أمسك بذراع إنسان احتبست أنفاسه، وكان لا يبالي بحرّ ولا برد، فربما لبس ثياب الصيف في الشتاء، وثياب الشتاء في الصيف.



إمامة علي والعقل

أكثرهم للحق كارهون

لا إمام سوى الحق:

كلنا يقول: «لا إمام سوى الحق». ولكن الكثرة الغالبة تقول هذا، وفي الوقت نفسه ترفض الحق، ولا تعمل به!..

وإليك هذا المثال: إن الحق يقول أنت مسؤول عن خطئك قبل أن تكون مسؤولاً عن خطأ غيرك. وأيضاً يقول الحق: كل خطأ يجوز على غيرك فإنه يجوز عليك من غير تفاوت.. لأن الخطأ قد ينشأ عن هوى في النفس، أو يكون أثراً من آثار البيئة والتربية، أو نتيجة لبحث ناقص. وكل هذا، وما إليه جائز عليك، تماماً كما هو جائز على غيرك.. ولست في عصمة من الخطأ دون سواك.

فإذا نظرت إلى نفسك على أنك مصيب ومحق مئة بالمئة، وغيرك مخطيء مبطل مئة بالمئة دون أن تنظر إلى أدلته، وتبحثها بحثاً وافياً، إذا كان كذلك فقد اتخذت إماماً سوى الحق، وبالتالي فأنت كاذب في دعواك بأن الحق وحده هو مثلك الأعلى، ورائدك الأول.

أجل، إن ما يعتقده غيرك قد يكون خطأ، ولكن احتمال العكس قائم فمن الجائز أن يكون لاعتقاده أساس من الواقع، فإذا جازمت بأنه مخطيء على كل حال صح الحكم عليك بأنك أنت المخطيء لاستعجالك وتسرعك أما هو فلا يحكم عليه بشيء إلا بعد البحث والدرس.

ولكي تتجنب الخطأ، ولا تُوقع نفسك بالتهافت والتناقض.. عليك أن تتوقف عن الحكم، حتى على من خالف آباءك وأجدادك في العقيدة؛ ثم تبحث عن الطريق الصحيح الذي يؤدي بك إلى اليقين سلباً أو إيجاباً.. ويختلف هذا الطريق باختلاف طبيعة الشيء الذي تريد معرفته، فقد يكون الطريق النظر أو اللمس إذا كان الشيء المشكوك فيه مما يرى بالعين، أو يلمس باليد، وقد يكون العقل إذا كان من القضايا العقلية، وقد يكون السمع، كما لو قرأت أو سمعت أن محمداً ﷺ نص على علي بن أبي طالب بالخلافة فإن أبسط قواعد العلم تفرض عليك أن تشك في قوله، ولا تجزم بصدقه ولا بكذبه، ثم تبحث عما يزيل شكك هذا في كتب الحديث المعتبرة عندك^(١).

وتسأل: إن الطريق إلى معرفة الحق والصواب موجود، ما في ذلك ريب، ولكن ليس كل من أخطأ يشعر بخطئه، كي يرجع إلى مقاييس الحق، ولا كل من شعر بالخطأ رجع عنه.. إذن، ما هو الطريق الذي يجب أن نتخذه تجاه من يصر على الخطأ عن قصد، أو غير قصد؟.

الجواب: أما من أصر على الخطأ عن قصد فلا دواء له، ولا أمل في شفائه، لأنه لا يريد الرجوع عن خطأه، وإن أتيت به بألف دليل ودليل، وما حاول إقناعه أحد إلا اصطدم معه اصطداماً عنيفاً.. وأما من أصر على الخطأ عن غير قصد فعلياً أن نبين له، ونكرر محاولين إقناعه على قدر الإمكان.

(١) ألف الشيعة العديد من الكتب في هذا الموضوع، منها كتاب الشافي للمرتضى، ودلائل الصدق بأجزائه الثلاثة للمظفر، والجزء الثالث من أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين، والمراجعات لشرف الدين، والغدير للأميني، ومع احترامي الشديد لهذه الكتب فإنني لم أذكرها كدليل على ثبوت النص، بل على أنها ترشد الشاك إلى المصادر السنية التي يثق بأصحابها، ويؤمن بصدق رواياتها.

لا إمام سوى العقل:

لا إمام سوى العقل . . هذه حقيقة نزل بها القرآن الكريم، وصدع بها الرسول العظيم ﷺ، وخاطب بها النوع البشري بكامله؛ وأمر كل إنسان أن يتخذ العقل إماماً؛ ورائداً له في كل شيء، حتى الغيث ما هو بشيء إذا لم يأمر العقل باتباعه والإيمان به، فقد جاء في الحديث: «أصل ديني العقل».

وبديهية ليس العقل شيئاً نراه بالعين، ونسمعه بالأذن، وإنما هو قوة خفية فينا نحسها ولا نلمسها . . ومعنى إمامة العقل هو إمامة الحق الذي يأمر العقل باتباعه وطاعته، فكل من كان دائماً مع الحق، والحق معه فهو إمام بحكم العقل والدين.

وتسأل؟ هل يوجد رجل بهذا الوصف؟.

أجل؛ ان رسول الله ﷺ على هذا الوصف؟.

سؤال ثانٍ: وهل يوجد غير محمد بن عبد الله ﷺ على هذا الوصف؟

أجل، من شهد محمد ﷺ بأنه دائماً مع الحق، والحق معه فهو على هذا الوصف.

والمعروف بين المسلمين جميعاً أن محمداً شهد بذلك لعلي بن أبي طالب^(١). ومعنى علي مع الحق، والحق معه يدور معه كيفما دار، انه العالم الذي لا يخطيء أبداً؛ والعاقل الذي لا يظلم أبداً، والمطيع الذي لا يعصي الله أبداً . . وإذا لم يأمر الدين والعقل بطاعة من هذه صفاته لم يبق للإنسانية من معنى ولا وزن.

(١) جاء في الجزء الثاني من كتاب دلائل الصدق للشيخ المظفر ص ٣٠٣ طبعة ١٩٥٣: إن هذا الحديث رواه الترمذي في صحيحه باب فضائل علي، والحاكم في مستدركه أيضاً باب فضائله، وابن حجر في صواعقه الفصل الخامس من الباب الأول.

من الطريف:

ومن الطريف قول من قال: إن الخلفاء الذين تقدموا علياً هم على حق، لأن الحق مع علي بشهادة الرسول الأعظم ﷺ، وعلي مع الخلفاء، فالنتيجة أن الحق مع الخلفاء، قالوا: هذا، وفي الوقت نفسه قالوا بتصويب عبد الرحمن بن عوف الذي قال لعلي: أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه، وطريقة الشيخين، مع العلم بأن علياً رفض السير على طريقهما.

أرأيت إلى هذا التهافت؟... حديث علي مع الحق كما يدل أنه على حق يدل على أن الشيخين على حق أيضاً، لأن علياً معهما... ومع ذلك لا يكون على حق إلا إذا تابع الشيخين... وهل هذا المنطق إلا كقول القائل جميع ما عند خليل ورثه من أبيه إبراهيم، وكل ما كان عند إبراهيم ورثه من ابنه خليل...

ومن التهافت ما جاء في صحيح البخاري، أول كتاب الفتن ما نصه بالحرف الواحد: «قال النبي ﷺ أنا فرطكم على الحوض، ليرفعن إلي رجال منكم، حتى إذا أهويت لأناولهم اختلفوا دوني - أي أخذوا - فأقول: أي ربي أصحابي... يقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك».

وفي صحيح مسلم القسم الثاني من الجزء الثاني ص ٦١ طبعة ١٣٤٨ هـ. قال النبي ﷺ: إني على الحوض أنتظر من يرد عليّ منكم، فوالله ليقطعن دوني رجال، فأقولن: أي ربي مني ومن أمتي... فيقول: لا تدري ما عملوا بعدك؟ ما زالوا يرجعون على أعقابهم.

وهذا يتفق تماماً مع الآية ١٤٤ من سورة آل عمران:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
أَفَايُنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾

ومع ذلك قالوا: إن جميع الصحابة عدول لا تطلب تزكيتهم...
وفي اعتقادنا أنه لا سبب لهذا الإصرار إلا أنهم لا يريدون شكاً في
صحة خلافة الخلفاء، ولا إصغاء إلى الدليل الصحيح، حتى ولو كان
القرآن الكريم، وصحيح مسلم والبخاري... كيف؟ وهل يجوز
الشك في عقيدة الآباء والأجداد، وهي الأساس والمقياس لصدق
الآيات القرآنية، وصحة الأحاديث النبوية؟!...

صلة الإمامة بالعقل

الداخل والخارج:

إذا سألت العقل: هل يوجد إبراهيم في الدار، أو في خارجه أجابك بأن هذا، وما إليه ليس من اختصاصي في شيء. وإذا أردت أن تعرف أين هو، أو تعرف ما في بطن الأرض من كنوز ومعادن، وما أشبه فعليك أن تبحث وتجرب، وأنا معك أضيء لك الطريق، كي تهتدي إلى ما تريد.

إن هذا النوع من المعرفة لا يستمد من العقل، بل من خارجه بمعونة منه، حتى الأدلة السمعية لا بد لنا من معونة العقل، لأن الإنسان بلا عقل مجنون لا يهتدي إلى خير، ولكن استقلال العقل بالدلالة شيء، والاستعانة به على معرفة الدليل شيء آخر.

وإذا سألت العقل: هل من الممكن أن يوجد إبراهيم في البيت يجيبك على الفور؛ أجل لأن هذه المعرفة تستمد من العقل، لا من خارجه... فالطريق إلى المعرفة لا ينحصر في العقل وحده، ولا في التجربة وحدها، بل ينظر: فإن كانت الحقيقة نظرية بحث كإمكان الشيء وامتناعه في ذاته فالطريق إلى معرفتها العقل، وإن كانت مادية طبيعية كمعرفة المواد التي يحتوي عليها هذا الجسم فالطريق إليها التجربة.

وتسأل: هل الطريق إلى معرفة الألوهية، والنبوة والإمامة

العقل ، أو شيء خارج عنه؟

ويستدعي الجواب التفصيل التالي :

الألوهية :

لا طريق إلى معرفة الخالق سوى العقل ، لأن التجربة فيما وراء الطبيعة محال . والاستدلال على وجود الله بوحى منه استدلال على ثبوت الشيء المدعى به بمجرد الدعوى ، وعلى أن هذا حق لا لشيء إلا لأنه حق ، فتعين أن يكون العقل هو الطريق إلى معرفته سبحانه . . . ومن هنا طالب القرآن الكريم أن يتثبت العاقل من وجود خالقه بالدليل العقلي . . .

وإذا سألنا العقل : ما الدليل على وجود الخالق أجاب انظروا إلى الكون وما فيه من حركة وتماسك ونظام ، ثم افترضوا لتفسير ذلك ما شئتم من فروض وتقادير فستجدونها جميعاً كاذبة يرفضها الوجدان والعلم إلا تفسيراً واحداً ، وهو وجود عليم قدير مختار ، وبتعبير أهل المنطق أن المحال ما يراه العقل محالاً ، كاجتماع النقيضين معاً ، أو ارتفاعهما معاً ، فإذا صدقت إحدى القضيتين مثل الماء في الكون موجود كذبت القضية المناقضة لها ، وهي الماء في الكون غير موجود ، بدهة أن الشيء الواحد لا يتصف بصفة وبنقيضها في آن واحد ، والأمر هنا كذلك فإذا كذب قول من قال : وجد النظام صدفة صدق قولنا وجد النظام عن إرادة وتصميم .

وإليك هذا المثال : إذا رأيت في الأفق اسمك مكتوباً بأحرف من نور ، ثم بحثت في كل جهة فلم تر أحداً فلا بد أن تفترض أن إنساناً عاقلاً يوجد في مكان ما يملك آلة يمكنها أن ترسم أحرفاً في الفضاء من نور متماسكة منسجمة . . . وأي فرض غير هذا لا بد أن يجرك إلى الأخطاء ، وعلى الأقل لا يركن إليه عقلك .

وتقول: من الجائز أن يقع اصطدام بين سيارتين، أو قطارين، أو يحدث بركان، وما أشبه، فيتولد منه أحرف من نور منسجمة صدفة واتفاقاً.

الجواب: أجل، إن هذا محتمل «ولكنه احتمال موهوم لا يضعه العاقل في اعتباره، تماماً كاحتمال بأن الإنسان السليم إذا مشى خطوات تعثر وسقط ميتاً، وإذا أكل لقمة غص، وجاءت منيته... إن هذا الاحتمال موجود ما في ذلك شك... ولكن وجوده وعدم سواء عند العقل والعقلاء لا يدخله في حسابه إلا مجنون.

وتسأل: ولماذا هذا الافتراض؟. وأية ضرورة تدعو إليه ما دمنا لا نرى بالعين، ولا نلمس باليد الشيء الذي افترضنا وجوده؟.

الجواب: وأية ضرورة تستدعي أن نفرض لك عقلاً ما دمنا لا نراه بالعين، ولا نلمسه باليد؟... حتى علماء الطبيعة يسلمون بمبدأ الافتراض كبدية لا تحتاج إلى دليل، فقد أيقنوا بوجود الذرة، وتعاملوا بها على أنها شيء ثابت قطعاً، بل حددوا شكلها وخصائصها، وتكلموا عن الأحداث التي تجري حولها معتمدين في ذلك كله على عقولهم وبصيرتهم، لا على عيونهم وأبصارهم؛ ولو اعتمد العلماء على الحواس الظاهرة، ورفضوا مبدأ الافتراض لانسدت أبواب العلوم... وصدق من قال: «إن أكثر الأشياء دلالة على حقيقة هذه الدنيا هو جانبها المحجوب الخفي الغائب عن حواسنا، الحاضر في عقولنا ووجداننا»^(١).

(١) في سنة ٥٩ ألف مصطفى محمود كتاب الله والإنسان، أنكر فيه الخالق، لأنه لا يؤمن إلا بالتجربة والمشاهدة، وألفت كتاب الله والعقل للرد عليه، وطبع أربع مرات، ثم ألف المذكور ١٣ كتاباً، وتبعته في جميع ما كتب، وإذا به يعدل عن رأيه الأول في كتاب يوميات بعد نصف الليل، ويقول فيه هذه العبارة التي نقلناها من فصل السر، وأيضاً قال في هذا الفصل: «إن التجربة لا تفي بأغراض البحث

النبوة:

النبوة سفارة بين الله وعباده تأمرهم بالخير، وتنهاهم عن الشر، وتبين لكل إنسان ما عليه من واجبات تجاه نفسه وغيره، وما له من حقوق على سواه... وقال كثيرون من فلاسفة العقيدة الإسلامية: إن العقل يدرك أن الله أحكاماً يجب على المكلفين امتثالها والعمل بها، ولا طريق إلى معرفتها إلا النبوة «فيكون وجود النبي واجباً لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب».

أما نحن فننظر إلى النبوة من خلال سيرة محمد بن عبد الله ﷺ وصفاته وتعاليمه وشريعته، وهذي النظرة تؤدي بنا حتماً إلى وجود النبوة فعلاً ويقيناً... وذلك أن أي فرض نفترضه لتفسير شريعته وتعاليمه بغير النبوة فهو تفسير غير معقول... أمي عاش في بيئة جاهلية لا شيء فيها من أسباب العلم والمعرفة يأتي بشريعة وتعاليم ونظريات في شتى العلوم والفنون لا عهد للإنسانية بمثلها منذ وجودها، وتخرج العالم من الظلمات إلى النور، وتخضع العقول لسموها وعظمتها... إن هذه المعجزة لا تفسير لها سوى اللجوء إلى ما فوق الطبيعة...

لقد تحدى محمد ﷺ الجاحدين لنبوته بالقرآن الكريم، ونحن نتحدى أهل الاختصاص أن يفسروا لنا تفسيراً معقولاً - بغير النبوة - كيف استطاع رجل أمي أن يؤلف كتاباً في التشريع، أو في الأخلاق، أو في الطب، أو في الهندسة، دون أن يقرأ كتاباً، أو يسمع شيئاً من العلوم وأهلها... أبداً لا تفسير لهذه الحادثة التي خرقت الطبيعة، وتجاوزتها إلا الوحي والنبوة، تماماً كما لا وجه لتفسير نظام الكون

إنها مجرد خطوة.. أنا أوؤمن بالعلم، ولكني لاأكتفي به، وأؤمن بالحواس ولكني لا أوؤمن بها.. وهذا إذا تقدم الإنسان في مداركه يهتدي إلى الصواب ويؤمن به إذا تجرد وأنصف.

إلا بوجود منظم ومهندس قادر مختار... وهكذا كل مشكلة تواجه العلم، ويستعصي تفسيرها عليه بما هو علم ولا يمكن تفسيرها إلا بما فوق الطبيعة، كالعلم من غير دراسة، وكإحياء الموتى من غير علاج، وما إلى ذلك من الحوادث التي يستحيل أن تعثر على سببها في العيان والتجربة.

الإمامة:

المراد بالإمامة هنا تولي السلطة التي كانت للنبي دون استثناء، وهي بهذا المعنى منصب إلهي، تماماً كالنبوة... ولذا تُسمى بخلافة النبي، وتجب طاعة الإمام على الأمة كافة كما تجب طاعة النبي كذلك.

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام في الصحيفة السجادية يصف الإمام بأسلوب الدعاء له:

«اللهم... أقم به كتابك وحدودك وشرائعك وسنن رسولك صلواتك اللهم عليه، وأحيي به ما أماته الظالمون من معالم دينك، وأجل به صدأ الجور عن طريقك، وأبِنْ به الصراط من سبيلك وأزل به الناكبين عن صراطك، وامحق به بغاة قصدك عوجاً، وألن جانبه لأوليائك، وأبسط يده على أعدائك، وهب لنا رأفته، ورحمته، وتعطفه، وتحننه، واجعلنا له سامعين مطيعين».

وقال جده الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «ليس على الإمام إلا ما حمل من أمر ربه لإبلاغ في الموعظة، والاجتهاد في النصيحة، الإحياء للسنة، وإقامة الحدود على مستحقها، وإصدار السهمان على أهلها».

وبهذا يتبين معنا صلة العقل بالإمامة، وانها نفس الصلة بين إقامة كتاب الله وحدوده وشرائعه، وسنن نبيه، وإحياء ما أماته

الظالمون من معالم الدين، وإنارة الطريق إلى الله سبحانه، وإزالة الناكبين عن قصده... وبكلمة ان صلة العقل بالإمامة، وحكمه بها هو عين حكمه بحسن العلم والعدل والطاعة، وقبح الجهل والظلم والمعصية.

من الطريف:

ومن الطريف أن السنة يعيبون ويستنكرون على الشيعة الذين قالوا: لا تجب طاعة الإمام، بل لا يكون إماماً إلا إذا كان معصوماً عن الخطأ في علمه، وعن الخطيئة في عمله، يستنكر السنيون هذا على الشيعة، لا لشيء إلا لأنهم أوجبوا طاعة الحاكم الجاهل الفاسق، وحرموا مخالفته... قال الشيخ أبو زهرة في كتاب المذاهب الإسلامية، فصل «الحاكم إذا خرج عن الشروط» ما نصه بالحرف الواحد: «أما أهل السنة فقالوا: الاختيار أن يكون الإمام فاضلاً عادلاً محسناً، فإن لم يكن فالصبر على طاعة الجائر أولى من الخروج عليه».

وجاء في كتاب الأحكام السلطانية لأبي يعلي الفراء (ت ٤٥٨هـ) ص ٤ طبعة ١٩٣٨:

«إن الفسق لا يمنع استدامة الإمامة، سواء أكان - أي الفسق - متعلقاً بأفعال الجوارح، وهو ارتكاب المحظورات، وإقدامه على المنكرات اتباعاً للشهوات، أو كان متعلقاً بالاعتقاد، وهو المتأول لشبهة تعرض يذهب معها إلى خلاف الحق».

ومعنى هذا أن الجاهل الفاجر يجوز أن يكون إماماً للمسلمين، وأن يحكم باسم الله والدين... ولا أدري كيف يرشد الناس إلى الحق، ويحملهم عليه جاهل يرتكب المنكرات، وينتهك الحرمات؟... ويا ليتهم أجازوا ذلك لمن يحكم باسم الذين

اختاروه، وارتضوه إماماً، لا لمن يحكم باسم القرآن، وشريعة الإسلام.

شيء آخر، قال تعالى:

﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

وجاء في الجزء التاسع من صحيح البخاري، كتاب الفتن: أن النبي ﷺ قال: «من كره من أميره شيئاً فليصبر». فإما أن يكون كلام النبي ﷺ مناقضاً لكلام القرآن الذي نزل على قلب محمد ﷺ، وإما أن يكون هذا النقل عن الرسول الأعظم كذباً وافتراء... والأول محال، فتعين الثاني عند الشيعة، ومن أجل هذا لم يقولوا بعدالة الصحابة جميعاً، والأمر عند السنة على العكس... فإنهم آمنوا بعدالة الأصحاب جميعاً، وأخذوا بما نقله البخاري قولاً وعملاً... والنتيجة الحتمية لذلك أن كلام النبي ﷺ يناقض كلام القرآن. تعالى الله ورسوله علواً كبيراً.

من العدالة الإلهية

الكون العجيب:

كل ما في الكون دلائل وشواهد على علم الله وقدرته، وقد كنا نعرف كلا من شواهدهما - قبل العلوم والمكتشفات الحديثة - ما يبدو للعيان من اختلاف الليل والنهار؛ وما ينبت في الأرض مما نأكل ونلبس، وقليل مما غاب عن البصر دون البصيرة... ولما تقدمت وسائل العلم وأدواته عرفنا الطاقة التي في الذرة الصغيرة الصغيرة تهدم عدداً من المدن والجبال، وتهلك الملايين من الأحياء في ثانية واحدة.

وأيضاً عرفنا أن في الكون من النجوم ما يفوق على حبات الرمل عدداً وأن أصغر نجم أكبر حجماً من الأرض بأكثر من مليون مرة، وأن كل مجموعة من النجوم تؤلف مدينة عظمى، اسمها المجرة، تضم أكثر من مئة مليون نجمة، وأن عدد هذه المدن أكثر من مليوني مدينة، تبعد الواحدة عن الأخرى مسافة رسالة لاسلكية لا تصل إليها إلا بعد ثلاثة من السنين أي أن نسبة هذه المدن بمجموعها إلى الفضاء الخالي، تماماً كنسبة ذبابة تاهت في الكرة الأرضية... وكل هذه النجوم والمجرات تسير بتوازن وانتظام... هذا مثال واحد من ملايين الملايين على قدرة الله وعظمته، اكتشفها العلم الحديث.. وما زالت الآية الكريمة تخاطب عباقرة العلماء المكتشفين، وتقول لهم بلسان عربي فصيح:

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٦].

﴿فَاعْتَبِرُوا يٰٓأُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢].

العقل أعجب:

ولا تنسَ عقلك... إنه فوق ما قرأت وسمعت عن الكون العجيب... إن الكون ملموس، وله قطر يحد ويقاس بالمقاييس، وقد حدده إنشتين بسبعين مليون سنة ضوئية... أما العقل فهو بئر لا قعر لها، وسماء لا سقف لها، وأجواء لا نهاية لها... إنه يسع كل شيء ولا يسعه شيء... إنه العالم الأكبر الذي أشار إليه الإمام علي عليه السلام بقوله:

وتزعم أنك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الأكبر
أجل، إن العقل أعظم من الكون... ولا شيء أعظم من العقل إلا خالق العقل، وما نسبة العقل إليه إلا كنسبة الكلمة إلى المتكلم أو دونها.

من العدالة الإلهية:

العدالة الإلهية، تماماً كالقدرة الإلهية لا يحيط بها سوى علمه جل وعلا... ولها مظاهر ودلائل في الكون، وفي الإنسان، وفي شريعة الله وأحكامه ونرسم شيئاً من بعض جوانبها للتقريب فقط.

الحجة:

إذا كان لك دين على غيرك، فمن العدل أن تطالبه بما تستحق، ولك إن امتنع عن الوفاء أن تقتص من ماله قهراً عنه مثلاً بمثل دون زيادة أو نقصان... وإن سامحت وأحسنيت فإن الله يحب المحسنين.

والله جلت عظمته عادل كريم، وله بموجب كرمه ورحمته أن يعفو عن المذنب، بل ويثيبه، حتى ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر... قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ
 اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبِّحَانَكَ مَا
 يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ
 فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ
 إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي
 بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا
 دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ
 تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

[المائدة: ١٦ - ١٨].

وشاهدنا في قوله:

﴿وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

حيث دل على أن الله أن يغفر، حتى لمن اتخذ غيره إلهاً... أما العقاب والعذاب منه سبحانه فمحال على عدله وسلطانه إلا بسبب موجب من العبد نفسه، ولا يتم هذا السبب إلا بعد توافر الشروط التالية:

التبليغ:

الشرط الأول لإتمام الحجة التبليغ التام الصريح بوساطة الرسول الأمين تماماً كما يبلغك موظف الدولة بأن عليك أن تدفع مبلغ كذا من المال من ضريبة الدخل، أو ديناً عليك لزيد، مع الإمهال أمداً معيناً لتهيئة المال المطلوب مع الإنذار بأنك إذا تأخرت عنه تحبس، وتحجز أموالك... وكما أن الدولة لا تحبس أو تحجز إلا بعد

الإندار والإمهال، حتى ولو كانت على يقين بأن الإندار لا يجدي نفعاً، فإن الله لا يعاقب لمجرد علمه بتمرد العبد وعصيانه لو أمر... بل يأمره أولاً، ويلقي الحجة عليه قبل كل شيء، وبعد التمرد والعصيان يؤاخذه على مخالفة الأمر الذي سمعه ووعاه، ولم يمتثل، قال سبحانه:

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾ [طه: ١٣٤].

وقال:

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وقال:

﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

الأسلوب والانسجام:

الشرط الثاني أن يكون التبليغ مقنعاً بطبعه ووضعه بحيث يقتنع الإنسان بالرسالة إذا تجرد عن الميول والتقاليد... ومن وسائل الإقناع أن يبسط الداعي الحقيقة إلى المدعو بأسلوب هين لين من شأنه أن يشوق المدعو ويجذبه وأن يضرب له الأمثال للشرح والتوضيح، ويدعوه إلى التفكير والتأمل، وأن يزن الأمور بروية وأناة، ثم يحكم بنفسه على الدعوى، ولا يفرضها المدعو عليه فرضاً، ولا يشعر بالتفوق عليه علماً وقداًسة، ومنزلة ومكاناً، قال سبحانه:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٧].

أي فوقها في الصغر:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ
وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا
مَثَلًا﴾ [البقرة: ٢٨].

وقال مخاطباً نبيه الأكرم محمداً ﷺ:

أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجَدِّ لَهُمُ الْيُسْرَىٰ هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال مخاطباً موسى وهارون ﷺ:

﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا
لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

ولا شيء أحوج من الحق إلى سياق جميل، وأسلوب متواضع
يخفف من ثقله على النفس وأهوائها.

ومن أهم الشروط الأساسية للاقتناع الذي لا يبقى معه أثر من
آثار الريب والشكوك أن ينسجم صاحب الرسالة والداعي الأول مع
رسالته، وليس معنى انسجامه معها أن يطبقها بالفعل وكفى، بل معناه
أن تبنى شخصيته فيها، وتمتزج بروحه ولحمه ودمه، حتى كأن الرسالة
مجسمة فيه، ولا شيء سواها، فإذا تكلم كانت هي المتكلمة، وإذا
عمل كانت هي العاملة.

أما من يقول: «إن لي شيطاناً يعتريني أحياناً»^(١) أما هذا فما هو

(١) جاء في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١ ص ٦ طبعة سنة ١٩٥٧: أن أبا بكر قال: «إعلموا أن لي شيطاناً يعتريني أحياناً». وابن قتيبة من أوثق المصادر عند السنة، توفي ٢٧٦هـ ومثله في الجزء الأول من تاريخ الطبري. ومن الطريف

بخليفة النبي الذي لا ينطق عن الهوى، وإنما هو حاكم زمني دنيوي، تماماً كحكام اليوم وقبل اليوم، يتكلم باسم من اختاره وارتضاه فقط، وإذا ما انتحل لنفسه خلافة الرسول الأعظم ﷺ؛ وزعم أنه يحكم باسم الله والقرآن فإن زعمه هذا جاء بوحى «ما يعتريه أحياناً».

وتسأل: وهل ينسجم مع رسالة الإسلام بالمعنى الذي ذكرت غير محمد بن عبد الله ﷺ؟

أجل، من كان امتداداً لمحمد ﷺ قولاً وعملاً فهو منسجم مع رسالة الإسلام.

سؤال ثان: وهل يوجد من هو امتداد لمحمد ﷺ؟

وإدع الجواب عن هذا السؤال لمحدث لا يذكر منقبة لعلي وبنيه إلا إذا فرضت نفسها عليه فرضاً، ولم يجد منها مهرباً، على أنه لا يذكرها إلا محرفة مشوهة... ادع الجواب لمحدث لا يثق السنة بأحد كثفتهم به إطلاقاً.

قال في الجزء الخامس من صحيحه، باب مناقب علي بن أبي طالب:

«قال النبي ﷺ لعلي: أنت مني وأنا منك» وبديهة أن محمداً ليس أباً أو إبناً لعلي، وإنما صح أن يقول له: أنت مني لأن محمداً غرس روحه بروح علي، وقلبه بقلب علي، وعقله بعقل علي، وعلمه بعلم علي وإيمانه بإيمان علي، وشمائله بشمائل علي، وإلا لم يصح قوله: أنت مني وأنا منك، لأن محمداً لم يكن أباً ولا إبناً لعلي،

قول بعضهم أن هذا من وضع الشيعة فكل ما يرويه الطبري وغير الطبري في سب الشيعة والتشنيع عليهم فهو حق، وكل ما يرويه الطبري وغيره في مثالب غيرهم فهو من وضع الشيعة.. وللشيعة أن يقولوا: كل ما يرويه الطبري وغير الطبري في سبهم والتشنيع عليهم فهو من وضع السنة.. والفرق تحكم.

أجل قد اختاره لإخوته من دون أصحابه أجمعين بعد أن صاغه كما يريد، وهنا يكمن سر اخاء، جاء في مسند أحمد: أن علياً قال لرسول الله ﷺ: آخيت بين أصحابك وتركتني!... فقال: إنما تركتك لنفسى، أنت أخي، وأنا أخوك، لا يدعيها بعدك إلا كذاب.

وقال الإمام: لقد كنت أتبعه اتباع الفصيل اثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالافتداء به.

سؤال ثالث وأخير: كيف قلت: إن البخاري لا يروي في كتابه حديثاً في فضل علي وأهل بيته إلا إذا لم يجد منه مهرباً، مع العلم بأنه أعظم المحدثين وأوثقهم جميعاً عند السنة؟

وأجيب: أجل، وهذا هو بالذات سر عظمته، أو أعظميته عندهم... واضرب لك مثلاً واحداً على تعصبه ضد علي وبنيه. قال الحافظ العسقلاني في كتابه: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» ج ٨، طبعة سنة ١٩٥٩، ص ٧١ نقلاً عن جماعة من العلماء والمحدثين، ومنهم النسائي، نقل عنهم ما نصه بالحرف الواحد: «لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء في علي»: وقال في ص ٧٦ من الجزء المذكور ما نصه بالحرف الواحد أيضاً: «قال الإمام أحمد: ما بلغنا عن أحد من الصحابة ما بلغنا عن علي بن أبي طالب».

ورغم هذا وغير هذا لم يذكر البخاري من مناقب علي التي لا يبلغها الإحصاء إلا القليل، حتى هذا القليل - وإن كان قليل علي أكثر من كثير غيره - حتى القليل القليل لم يدعه البخاري على طبيعته... بل حرّف وشوّه وبدّل وغيره... فإن جميع المحدثين ورواة المناقب، ومنهم مسلم في صحيحه رووا حديث «الراية» بهذا اللفظ: «لأعطين الراية رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله... ثم أعطاها علياً».

كلهم رووا الحديث بلفظ «يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»
إلا البخاري فإنه حذف من الحديث: «يحب الله ورسوله ويحبه الله
ورسوله». ولا أدري لماذا حذف هذا البخاري؟.. هل لأن البخاري
لا يحب من يحبه الله ورسوله، أو لأن البخاري يريد أن يشرف كتابه
الصحيح النصيح بذكر معاوية وأمه آكلة الأكباد، فارغم كرهاً على ذكر
من لا بد من ذكره بعد أن ملأت مناقبه الخافقين.. ولكنه لم يعدم
الحيلة بحذف بيت القصيد، ونسي المسكين أنه مطبوع في أعماق
القلوب والعقول، تماماً كما هو مكتوب في اللوح المحفوظ..

وفي تعصب البخاري ضد علي وأبناء علي يمكن السر لثقة من
يثق به، والتعظيم له ولكتابه.

القدرة:

الشرط الثالث الذي لا بد منه لتبرير العذاب والعقاب أن يهب
الله سبحانه العبد المقدرة الكافية على ما أمره بفعله، ونهي ما نهاه
عنه، وإلا كان تكليفاً بما لا يطاق، وهو محال عند الشيعة على عدله
وحكمته، فإذا أمره وعصى مع القدرة استوجب العقاب بما جنته يداه.

وبالتالي، فإن حجة الله سبحانه على عباده لا تتم ولن تتم إلا
إذا كان صاحب الرسالة الأول فانياً في رسالته.. وأيضاً لا يكون،
ولن يكون أحد خليفة الرسول الأعظم ﷺ إلا إذا كان تماماً كالرسول
في جميع صفاته ما عدا نزول الوحي، كما هو الشأن في كل خليفة
وبديل حقاً، أما من صح القول فيه بأنه تأول فأخطأ، واجتهد فلم
يصب فلا يكون، ولن يكون خليفة للنبي، حتى ولو قلنا بصحة قياس
ما لا نص فيه على المنصوص عليه، بدهاة عدم وجود الجامع بين
الخطأ والصواب: وبين الناقص والكامل^(١).

(١) من المبادئ الأصولية المسلمة عند السنة القياس وهو إعطاء حكم الواقعة

من الظريف:

ومن الظريف قول السنة: إن الله لا يتصف بعدل ولا جور، لأن العادل من أطاع الأمر والنهي، والجائر من خالفهما، والله سبحانه أمر غير مأمور، وناه غير منهي... وهذا القول نتيجة حتمية لقولهم. إن الله لا يجب عليه شيء ولا يقبح منه شيء، وإن الحسن ما أمر به الشرع، والقبيح ما نهى عنه، وأنه لو أمر بما نهى لصار حسناً، ولو نهى عما أمر لصار قبيحاً.

(المواقف للايجي وشرحه للجرجاني ج ٨ ص ١٨١ و١٩. والكشف عن مناهج الأدلة لابن رشد ص ١١٣ المسألة الرابعة في العدل والجور).

وقد ذهبوا ان العدل بالقياس إلى الإنسان مكمل لذاته الناقصة، وانه بالقياس إلى الله سبحانه من آثار ذاته الكاملة ومقتضياتها بل هو هو، إلى أن الآيات والروايات التي أثبتت العدل لله، ونفت عنه الجور لا يبلغها الإحصاء. وقد تكلمنا عن ذلك مفصلاً في كتاب «معالم الفلسفة الإسلامية».

المنصوص عليها شرعاً لواقعة أخرى لم ينص الشارع عليها إطلاقاً لا بالخصوص، ولا بالعموم لمشاركة الواقعتين في علة يستنبطها الفقيه من تلقائه وعندياته، وأبطل الشيعة هذا القياس إلا إذا نص الشارع على علة الحكم صراحة أي أن علة الحكم عندهم تحتاج إلى النص من الشارع، تماماً كالحكم نفسه.

بين محمد وعيسى وعلي

الشخصية:

أصحيح ما يقال بأن لكل إنسان شخصية مستقلة تميزه عن غيره تماماً كبصمة إبهامه التي لا يشاركه فيها أحد؟

إن شخصية الإنسان هي نفسه ومشاعره وآراؤه، وليست هذه أشياء محسوسة، ينظر إليها من المكبر، كما ينظر إلى الأجرام والأجسام. إن حقيقة الشخصية في عالم الغيب المحجوب عن العيان. . . ولكن ليس معنى هذا أن الشخصية لا يمكن معرفتها بحال، فإن الكرم والشجاعة من صفات النفس، ومع ذلك تعرف الكريمة ببذله وعطائه، والشجاع بتضحيته وإقدامه. إن الطريق لمعرفة الشخصية، وتمييز نوعها عن غيره هي الخصائص والآثار المرئية للعيان. وبها نميز بين الكريمة والبخيل، وبين الشجاع والجبان، بل بها نميز بين بخيل وبخيل، وكريم وكريم من حيث الشدة والضعف - إذن - غير بعيد أن يكون لكل فرد من أفراد الإنسان شخصية مستقلة لا يشاركه فيها أحد، تماماً كما هو الشأن في بصمة الإبهام، وملامح الوجه، ورنه الصوت، بل لا حياة للإنسان إلا بمشاعره وأحاسيسه الشخصية الخاصة، وهذا التفرد سر من أسرار الله سبحانه التي اقتضتها حكمته وعظمته.

أجل، قد يحصل الشبه بين الشخصيتين في أكثر من وجه، بل قد

تلتقي الشخصيتان على صعيد واحد في طريقة التفكير، وفي أكثر الصفات الأساسية التي يقاس الإنسان بحسبها كالتقاء الإمام علي عليه السلام بالسيد المسيح عليه السلام وبالرسول الأعظم عليه السلام فيما عدا النبوة ونزول الوحي.

بين عيسى وعلي:

كلنا يعرف قصة الزانية التي أتوا بها إلى السيد المسيح عليه السلام وطلبوا منه أن يرحمها على خطيئتها.. وأيضاً كلنا يعرف أن روح الله قال لهم: من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر». وإنه بعد أن خاطبهم بهذا القول تسللوا مع الشيطان خجلين الواحد تلو الآخر. حتى لم يبق إلا السيد المسيح عليه السلام وتلاميذه.

وجاء في كتاب الوسائل، وكتاب الجواهر وغيرهما، باب الحدود امرأة أقرت بالزنا عند الإمام، فأمر مناديه أن ينادي بالناس، ولما اجتمعوا حمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إني خارج غداً بهذه المرأة، لأقيم عليها الحد، فأعزم عليكم ألا خرجتم.. ومعكم أحجاركم.. ولما أصبحوا خرج الإمام بالمرأة، وخرج الناس، ومعهم أحجارهم، وحين جاء وقت الرجم ركب الإمام بغلة، ووضع أصبعيه في أذنيه، ونادى بأعلى صوته: أيها الناس إن الله عهد إلى نبيه عليه السلام عهداً إليّ بأن لا يقيم الحد من كان لله عليه حد.. فمن كان عليه الله مثل ما على هذه المرأة فلا يقيم عليها الحد.. فانصرف الناس كلهم إلا علي والحسن والحسين، تماماً كما انصرف الناس إلا عيسى والحواريون من أصحابه.

عهد من الخالق لا من المخلوق أن الخطايا لا تغسل بالأيدي الملوثة القدرة.. وإن الأيدي النظيفة الزهية البارة هي وحدها الأمانة على أحكام الله وحدوده.. عهد سجله الله في القرآن الكريم والتوراة والإنجيل أن اليد الملوثة الباغية يجب أن تقطع، أو تغل بالقيود

والسلاسل . حتى لا تـدنس الطاهرين ، وتنتحل أوصاف الخيرين . .
عهد من العقل والعقلاء أن الأكفاء علماء وخلقاً هم امناء على البلاد
ومصالح العباد .

ومن أجل هذا انصرف المخطئون ، وبقي المبرثون عيسى
والحواريون ، وعلي والحسن والحسين . . وأبلغ ما في هذا العهد
الذي أوحى الله به إلى نبيه ، وعهد به النبي إلى وصيه ، وبلغه الوصي
إلى أمة محمد ﷺ ، أبلغ ما فيه أنه يخلق في الآثم شعوراً يؤنبه ويوبخه
على إثمه وجرمه ، ويجعل منه واعظاً لنفسه بنفسه ، وكارهاً منها ما
يكرهه من غيره .

وقال السيد المسيح ﷺ : أنا الطريق إلى الخلاص ، وإني بابه .

وقال الإمام ﷺ : إنما مثلي مثل السراج في الظلمة ، يستضيء به
من ولجها .

يشير الإمام بقوله هذا : إلى حديث الثقلين الذي رواه مسلم في
صحيحه ، القسم الثاني من الجزء الثاني ، طبعة ١٣٤٨ هـ ص ١٠٩ ،
باب فضائل علي بن أبي طالب وهذا نصه بالحرف الواحد : « قال
رسول الله : إنما أنا بشر ، يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ، وأنا
تارك فيكم الثقلين : أولهما كتاب الله ، فيه الهدى والنور ، وأهل
بيتي » .

وتسأل : ومن هم أهل بيته ؟ . أليسوا نساءه ؟ .

الجواب : قال مسلم في صحيحه ، ص ١١٦ من الجزء السالف
الذكر ، « قالت عائشة : خرج النبي ﷺ غداً ، وعليه مرط أسود - نوع
من ثياب اليمن - فجاء الحسن بن علي فأدخله ؛ ثم جاء الحسين
فدخل معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء علي فأدخله ، ثم قال :
إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » .

فأهل البيت هم أهل الكساء دون غيرهم بدليل فعل الرسول ﷺ .

سؤال ثان: ولكن في الناس من يقول: إن نساءه من أهل البيت، بل قال البعض: لا أهل لبيت الرسول إلا نساء النبي .

الجواب: إن هؤلاء قالوا أيضاً: إن مسلماً ثقة، وكتابه صحيح معتبر، أما التناقض الذي وقعوا فيه بسبب الجمع بين الثقة بمسلم، وتفسير أهل البيت بالنساء، أما هذا التناقض وغيره كثير من تناقضاتهم، فإنه نتيجة حتمية لأهوائهم وعدم موالاتهم لأهل البيت ﷺ .

وقال السيد المسيح ﷺ: ما ينفع الإنسان لو ربح العالم وخسر نفسه .

وقال الإمام ﷺ: ما ظفر من ظفر الإثم به .

وقال السيد المسيح ﷺ: ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان .

وقال الإمام علي ﷺ: اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً .

وقال السيد المسيح ﷺ: أحسنوا إلى مبغضكم .

وقال الإمام ﷺ: إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو شكراً للقدرة عليه .

وليس هذا القول من الإمام دعوة إلى التسامح، وكفى، بل وترغيباً في أسمى الطاعات . وأزكى العبادات . . إن التعبد والشكر لله سبحانه لا ينحصر بالصوم والصلاة، والحج والزكاة . . إن الصلاة شكر لله من العبد على نعمة الوجود والصوم شكر على نعمة العافية؛ والزكاة شكر على نعمة الغنى؛ فناسب أن يكون العفو شكراً لله على ما تفضل وتكرم من القدرة على الخصم . . ولا يدرك هذه الخبايا في أسرار العبادة إلا نبي أو وصي نبي وإلا من عبد الله لذات الله .

ونكتفي بهذا القدر من الأمثلة التي لو جمعت لاستوعبت مجلداً ضخماً.

محمد والشمس:

من الفضول أن يقول القائل: من اعتقد بأن أحداً يساوي محمداً في الشرف والمكانة عند الله فليس من الإسلام والمسلمين في شيء وكفى أنه ﷺ خاتم الأنبياء، وسيد الرسل، وأن الدستور الإلهي قد اكتمل بالكتاب الذي نزل على قلبه، حيث لا بلاغة وراء جوامع الكلم، ولا فضيلة وراء مكارم الأخلاق إلا خالق البلاغة والفضائل؛ تماماً كما لا شيء وراء الكون إلا خالق الكون.

وإذا قال قائل: لماذا كان محمد ﷺ خاتم الأنبياء؟. أجبناه بأن محمداً ودين محمد قد استوفيا جميع صفات الكمال، وبلغا الغاية والنهاية، تماماً كما بلغت الشمس الحد الأعلى من النور والضياء، فلا كوكب ولا كهرباء يمتليء الكون بنورهما بعد كوكب الشمس؛ ولا نبي يأتي بجديد لخير الإنسانية بعد محمد ﷺ. . . أجل، إذا غابت الشمس استفاد الناس بنور القمر، ولكن نوره هذا، ونور غيره من الكواكب مستمد من الشمس ذاتها، وإليها تنتهي أنوار الكواكب. . . وكذلك ترشد الإمامة إلى الخير بتعاليم النبوة إذا غاب النبي، وتوارى عن الأنظار. . . فمحمد ﷺ كالشمس، وعلي ﷺ كالقمر يستمد من فيضه، وهديه وكماله، والهدف واحد: الإرشاد للتي هي أقوم:

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكٰفِرُونَ إِنَّ هٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٩﴾

إِنَّ رَبَّكُمْ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ فِي سِتَّةِ اَيَّامٍ ثُمَّ اَسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْاَمْرَ مَا مِنْ شٰفِعٍ

إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ
 أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ
 حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ
 مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ
 الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ
 لِنَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ
 إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾
 [يونس: ٢ - ٥].

الصياغة القرآنية المحمدية:

قال الحافظ العسقلاني في الجزء الثامن من كتابه «فتح الباري بشرح البخاري» ص ٧١ طبعة ١٥٩٩: «علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي أبو الحسن ابن عم رسول الله ﷺ شقيق أبيه، ولد قبل البعثة بعشر سنين على الراجح، وكان قد رباه النبي ﷺ من صغره، فلازمه، ولم يفارقه إلى أن مات».

وهذه الملازمة لنجى الله وصفيه هي وحدها بلغت بعلي إلى الدرجات العليا التي لم يبلغها أحد سواه من الصحابة، حتى الذين أبلوا البلاء الحسن في نصرة الإسلام، ونبي الإسلام. . لازم علي محمداً ﷺ من المهد إلى الممات، يشم أنفاسه، ويضعه النبي في حجره، ويضمه إلى صدره، ويكتنفه في فراشه، ويمسه بجسده، بل ويمضغ اللقمة، ثم يلقمه إياها، تماماً كما تفعل الأم بوليدها.

ومن الثابت أن الله سبحانه قرن بمحمد من لدن إن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن الأخلاق

ليه ونهاره.. . وقد أنعم الله جل وعز على علي بملازمة محمد ﷺ منذ طفولته^(١) فكان يتبعه اتباع الفصيل أثر أمه يرفع النبي له في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمره بالاقتداء به، حتى صاغه في ندواته صياغة قرآنية إلهية محمدية.

وهنا نجد السر لقول الإمام ﷺ: ذاك القرآن الصامت وأنا القرآن الناطق.. . وقوله: سلوني قبل أن تفقدوني.. . وقوله: إن رسول الله علمني ألف باب من العلم، ويفتح كل باب ألف باب^(٢).

.. . وقوله: ما وجد رسول الله ﷺ لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل - أي خطأ في فعل -.. . وقوله: لم يكن لأحد فيّ مهمز، ولا لقائل فيّ مغمز. الدليل عندي عزيز، حتى أخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف، حتى أخذ الحق منه، رضينا عن الله قضاءه، وسلمنا لله أمره، أتراني أكذب على رسول الله ﷺ لأننا أول من صدقه فلا أكون أول من كذبه.

أما أقوال الرسول الأعظم ﷺ بعلي ومناقبه فقد امتلأت بها الصفحات والمجلدات من كتب الحديث والمناقب^(٣). ولو كان لغير علي واحدة مثلها لكانت هي كل شيء وما عداها ليس بشيء عند المنحرفين.

(١) قال عبد الرحمن الشرقاوي - أديب من أديب مصر الكبار، وله العديد من المؤلفات -: أن علياً، وهو في الثامنة من عمره يوم لا نبوة ولا وحي كان يتحدث عن ابن عمه وإنسانيته بما يجيب القلوب به ويبعثها على تقديسه وتعظيمه، أي أن علياً يمهد بذلك الدعوة للإسلام ونجاحها قبل الإسلام.

(٢) ذكرت في «كتاب علي والفلسفة» أن العلم الحديث قد أقر هذه النظرية بعد أن رأى العلماء أن العلم الواحد يفتح الباب لعلوم شتى واستشهدت بأكثر من عالم من علماء هذا العصر، فراجع.

(٣) منها كتاب الخصائص للنسائي أحد أصحاب الصحاح الستة، وكتاب لأبي نعيم الأصفهاني، وكتاب لأبي عبد الكريم السكري (أعيان الشيعة للسيد الأمين ج ٣).

محمد وعلي:

والآن تعال معي لنستعرض أمثلة من سيرة الرسول الأعظم ﷺ وتلميذه ووصيه علي بن أبي طالب عليه السلام .

قال رسول الله ﷺ ، والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ، حتى يظهره الله ، أو أهلك فيه ما تركته .

وقال تلميذه الإمام عليه السلام : والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة - أي قشر شعيرة - ما فعلت ، وأن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها .

قال خاتم الأنبياء : والله لو سرقت فاطمة لقطعت يدها .

وقال سيد الأوصياء لعامل من عماله اختلس من مال المسلمين : والله لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كان لهما عندي هوادة ، ولا ظفرا مني بإرادة ، حتى آخذ الحق منهما ، وأزيح الباطل من مظلمتهما .

وأذت قريش سيد المرسلين ، وأخرجته من دياره ، وجيشت الجيوش لحربه ، وحين ظفر بالذين آذوا وشردوا وحاربوا ، ونصره الله عليهم قال لهم : اذهبوا . . أنتم الطلقاء . . قد عفوت عنكم .

وفعل أصحاب الجمل مع علي ما فعلت قريش مع النبي ﷺ . . . وحين ظفر بهم ونصره الله عليهم عفا وصفح تماماً كما عفا النبي وصفح وأيضاً عفا وصفح عن ابن العاص وابن اوطاة ، وسقى أهل الشام الماء بعدما منعه منه .

وكفى علي عظمة وفخراً أن يكون الرجل الأول الذي أتم برسول الله ﷺ في جماعة إسلامية محمدية ، تقيم الصلاة لله يوم لا

بيت للإسلام على وجه الأرض إلا بيت محمد، ولا ناطق بلا إله إلا الله، محمد رسول الله إلا محمد وعلي وخديجة.

جاء في كتاب الخصائص للنسائي أحد أصحاب الصحاح الستة. «إن عفيف الكندي رأى الثلاثة للمرة الأولى يصلون، فقال للعباس بن عبد المطلب: هذا أمر عظيم. قال العباس: أمر عظيم.. لا والله ما على الأرض كلها أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة.

وقال الدكتور علي سامي النشاء في مقدمة الجزء الثاني من كتابه نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: «كان الفتى الصغير أول أصحاب الرسول الأعظم، وأول حواريه، لقد مد يده الصغيرة الجميلة في موالة حرة أبيه معاهداً محمد بن عبد الله على تفديته بالنفس، وبيعته بالموت، وتتابع الأحداث، والحواري الصغير يخطو للشباب، وحين هاجر الرسول ﷺ، وصاحبه كان الحواري الصغير صامتاً في فراش الرسول ﷺ وهو يعلم أن سيوف شياطين قريش ستنوشه بعد قليل، ولكنه لم يعبأ، ولم يكن يرتاع، بل كانت روحه في مسرى الرسول وصاحبه».

أجل لم يفكر الإمام بالموت، ولا بالسيوف تتلامع فوق رأسه، وإنما فكر مهتماً بحياة الرسول، وإنجاح رسالته، وانتصار دعوته ولذا حين طلب منه النبي المبيت على فراشه قال له الإمام: أتسلم أنت يا رسول الله؟. قال أجل، قال الإمام: مرحباً بالموت دونك. أما صلواته مع النبي فقد كانت الأولى في تاريخ الإنسانية كلها التي عبد بها الله بهذا الشكل من العبادة.. لا رابع لهم.. الإمام المتبوع محمد، والمأموم التابع امرأة لا ثانية لها في النساء، ورجل لا ثاني له في الرجال.. سبق لم يكتب إلا لعلي وخديجة فقط لا غير.

وقال المنحرفون: أجل، ولكن علياً كان غلاماً، واسلم غيره، وهو رجل كبير.

الجواب: وهنا يكمن السر لعظمة علي وفضله على الجميع، لقد صادفت الظروف أن ينشأ غير علي في حجر الشرك والرجس وعبادة الأصنام، وأن ينغمس في الجاهلية وأوزارها إلى الآذان، وأن لا ينطق بالشهادة إلا بعد أن عصى عوده، وبعد أن شبت الأصنام منه ومن سجوده لها. . . و شاء الله لعلي أن ينشأ في حجر النبوة والطهر والإيمان، وأن يؤمن بمحمد، وهو ندي طري ينزل الأصنام من على عرشها، ويضعها تحت أقدام الرسول الأعظم ﷺ شاء الله سبحانه أن يؤمن علي بمحمد منذ طفولته، ليكفيه وفقاً لإرادة الله وإرادته، ويهيئه لخلافته، وقديماً قيل: «من شب على شيء شاب عليه» . . . وعلى الأقل أن لا تتذبذب شخصيته وإيمانه بين ماضيه وحاضره.

هذا، إلى أن عيسى ﷺ حين تكلم كان في المهد صبياً، ومحمد ﷺ لمع نور النبوة في جبينه ساعة ولادته، وكره الكذب والزيف والخيانة وعبادة الأصنام في طفولته، وكانت هذه من مكارم صفاته، وأقوى الدلائل - عند جميع المسلمين - على أن ذاته القدسية تنطوي على سر النبوة من يومه الأول. . . وهكذا هو الشأن في علي وطفولة علي فإنها تحمل منذ وجودها وتكوينها بذرة الإمامة، وسر الخلافة من الرسول الأعظم ﷺ.

ومن أثبت هذه الكرامة لمحمد، ونفاها عن علي فقد أوقع نفسه في التهافت والتناقض من حيث يشعر، أو لا يشعر. . . وأشرنا فيما سبق أن السبب الأول لمثل هذا التناقض هو الأهواء، والانحراف عن الطريق القويم.

وبالتالي، فإن الحياة المضيفة الطاهرة منذ الطفولة إلى الممات هي وحدها تؤهل للقيام بعبء الرسالة والإمامة، أما من سجد لغير الله، ولو مرة واحدة في حياته فما هو للإمامة والخلافة عن الرسول بأهل، حتى ولو تاب وأتاب. . . وليس من شك أن الإسلام يجب ما

قبله، ولكن قبول الإسلام شيء، والمؤهلات للخلافة شيء آخر..
وإلا كان كل من قال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله أهلاً لها..

وبعد، فمن بحث وفحص ودرس سيرة علي وسيرة غيره من
الأصحاب، وتحاكم إلى العقل والفطرة فلا بد أن يخرج بهذه النتيجة،
إما أن يكون علي هو الحري وحده بخلافة الرسول وأما لا أحد جدير
بهذا المنصب على الإطلاق.. ولازم ذلك نفي الخلافة من
الأساس..

وإذا كان هذا هو حكم الفطرة فعلام الهجوم القاسي على من
آمن بفطرة الله التي فطر الناس عليها؟..

بقي سؤال واحد:

سؤال نلقيه على كل إنسان، ليجيب عنه بوحى من عقله
ووجدانه: مال لقاصر ورثه عن أبيه، ولا بد من ولي يحرص على مال
القاصر ومصالحته، دار الأمر بين رجلين: الأول لم يعص الله قط
مدى حياته لا صغيراً ولا كبيراً، والثاني عصاه أمدأ طويلاً، وهو بالغ
عاقل، ثم تاب وتاب، فأيهما نختار الأول أو الثاني؟.

﴿وَلَا الظُّلْمَتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٥﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الحُرُورُ

﴿٢٦﴾ وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلَا الأَمْوَاتُ إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَنْ

يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي القُبُورِ ﴿٢٧﴾ إِنَّ أَنْتَ إِلاَّ

نَذِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴿فاطر: ٢٠ - ٢٣﴾.

صدق الله العظيم وصدق نبيه الكريم.

الخليفة

الحاجة إلى قائد:

في اعتقادي أن حاجة الناس إلى قائد يسوسهم، ويدير دفة الأمور لا تحتاج إلى دليل، لأن طبيعة الاجتماع من حيث هي تستدعي ذلك، حتى في الحيوانات والطيور والنحل، بل حتى في الحشرات كالنمل.. وهذه الحقيقة يحسها ويدركها كل إنسان تلقائياً من غير قياس وبرهان، تماماً كما يحس ويشعر بحاجته إلى الطعام والشراب، ومن أجل هذا يكون الاستدلال عليها ضرباً من الفضول.. بصرف النظر عن شكل الحكم، وانه ديني أو زميني جمهوري أو ملكي.

والحاكم الزمني بشتى أشكاله لا يدخل في موضوعنا، وهدفنا الأول والأخير هو الحديث عن خليفة النبي، والصفة الأساسية التي تؤهله لمنصب الخلافة.

وظيفة النبي:

لو أردنا أن نرسم صورة لوظيفة النبي على أساس سيرة محمد بن عبد الله ﷺ ل جاءت كما يلي: الدعوة إلى الإيمان بالله واحد، واليوم الآخر، وبيان أحكام الله من الحلال والحرام، وحمل الناس عن العمل بها بالترغيب في ثواب الله، والترهيب من عقابه، وتأمين الحقوق الخاصة والعامة، والدفاع عنها بالقوة، إن لم تجد الحسنى،

وتأديب من يعتدي عليها بما يستحقه من العقوبة التي تردعه .

وهذه الوظيفة والسلطة يستمدها النبي من الله وحده، وهو الذي فرضها على الناس فرضاً، شاءوا، أم أبوا، ومن ردها، أو اعترض عليها فقد رد واعترض على الله سبحانه، لأن رسالته هي رسالة الله بالذات بعد العلم بأنه معصوم في كل ما يتصل بتبليغ هذه الرسالة الإلهية .

قال تعالى :

﴿التِّي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

وقال :

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال :

﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٦].

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي تدل بصراحة ووضوح على أنه لا مشيئة لأحد كائناً من كان مع مشيئة الرسول الأعظم، ولا سر لهذا إلا لأن النبي نطق بوحى الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه .

وتسأل : وماذا تصنع بقوله تعالى :

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقوله جلت كلمته :

﴿وَأْمُرُهُمْ شُورَىٰ يَتَّبِعُونَ﴾ [الشورى: ٣٨].

وأجاب العلماء والمفسرون عن الآية الأولى بأن النبي يشاور أصحابه في أمور الدنيا، كتنظيم الجيش وكيفية القتال، وأجابوا عن الآية الثانية بأنها خطاب للمكلفين لا للنبي، وظاهر الآية صريح في ذلك، وأنه يستحسن مشاورة أهل الرأي والتجارب في المصالح الدنيوية. . وفي ذلك أحاديث كثيرة عن الرسول الأعظم ﷺ. منها: ما من رجل يشاور أحداً إلا هدى إلى رشد. . وبديهة أن المسائل الدينية والأحكام الشرعية يرجع فيها إلى كتاب الله، وسنة رسوله، لا إلى الناس وآرائهم، وإلا كانوا في غنى عن الأنبياء والكتب المنزلة.

الخلافة:

هل يوجب الإسلام، ويحتم أن يكون للنبي خليفة ينوب عنه في الرئاسة الدينية والدنيوية، أو أنه لا خلافة في الإسلام، ولا يجوز لأحد كائناً من كان أن يضيفي على حكمه وسلطانه الصفة القدسية الإلهية، لأن ذلك مختص بالنبي وحده.

وعلى افتراض أن الخلافة واجبة في الإسلام، فهل وجبت بالعقل، بحيث إذا ورد نص من الشرع بلزومها يحمل على الإرشاد والتأكيد لحكم العقل لا على التأسيس، لأن وجود الخليفة ضروري، تماماً كوجود النبي، أو أن الخلافة وجبت بالسمع والشرع لا بالعقل؟ .

وأياً كان سبب الوجوب، فما هو الطريق لمعرفة الخليفة وتعيينه بأنه فلان ابن فلان دون غيره؟ . هل الطريق إلى ذلك النص عليه بالذات من النبي أو الانتخاب، أو العقل؟ . ثم ما هي الصفات التي تؤهل الإنسان لهذا المنصب الخطير؟ . .

وأيضاً إذا وجد في المسلمين أثناء كل منهما يتصف بصفة الكمال، ولكن أحدهما أفضل وأكمل، فهل يجوز أن يهمل الأفضل الأكمل، ويقدم عليه من هو دونه فضلاً وكمالاً.

وقد شغلت هذه الأسئلة الصفحات الطوال في كتب العقائد وعلم الكلام، وجرى حول أجوبتها الجدل والنقاش الحاد بين السنة والشيعه . . وفي الفقرات التالية أشير إلى الأجوبة بإيجاز مقتصرأ على اللباب ومحل الفائدة تمشياً مع وضع الكتاب، وإرفاقاً بالقارئ، وإيماناً بأن الاختصار مع التوضيح هو الطريق الوحيد لجذب القارئ، وإغرائه بالمتابعة لما أكتب . . وهذا كل ما أتمناه، وأصبوا إليه، لأن الكلمات المكتوبة وغير المكتوبة ليست بشيء، وإنما هي حروف ميتة إذا لم تجد من يقرأها، ويتجاوب معها وتترك أثراً في نفسه . . وبموتها ينتقل صاحبها إلى رحمة الله .

وجوب الخلافة:

اتفق السنة والشيعه على أن الخلافة واجبة في الإسلام، واختلفوا: هل تنصيب الخليفة واجب على الله، أو على المسلمين؟ .

قال الشيعة: يجب عليه سبحانه من باب اللطف، لأن الإمام يقرب الناس من الطاعة، ويبتعد بهم عن المعصية، فوجوده من الأسباب الداعية لفعل الخير، وترك الشر.

وقال السنة: لا يجب تنصيب الإمام على الله، لأنه لا يجب عليه شيء، ولا يقبح منه شيء وإنما يجب نصبه على المسلمين شرعاً، لا عقلاً، فإذا تركوه أثموا أجمعين.

ومهما يكن، فإن الأهم من هذا النزاع والاختلاف هو تعييننا لصفات التي تؤهل الإنسان لخلافة الرسول، وتعيين الطريق إلى معرفته، وتمييزه بعد الاتفاق على أصل الفكرة، وان الخلافة واجبة على كل حال.

الصفات وطريق الخلاص:

لقد أطال الشيعة والسنة الجدل والنقاش في صفات الخليفة والإمام، بخاصة العصمة.. وأيضاً أطالوا الجدل والنقاش حول الطريق إلى معرفته، وهل هو النص أو الانتخاب؟.

وفي اعتقادي أن الاختلاف في صفات الخليفة والإمام، وفي الطريق إلى معرفته، وما إلى ذلك من الاختلافات التي تدور حول الخلافة كلها أو جلّها يتفرع عن الاختلاف في شيء واحد هو: هل يجب أن يكون خليفة النبي معصوماً عن معصية الله، والجهل بحلاله وحرامه، بحيث لا تنفصل العصمة عن الخلافة أو يجوز أن يكون خليفة النبي الأقدس فاسقاً وجاهلاً.

وعلى الأول تثبت الخلافة حتماً لمن تثبت له العصمة، وتكون هي السبيل الوحيد لمعرفة وتعيينه، وإذا ورد النص عليه من الشارع يكون إرشاداً وتأكيذاً لكم العقل وعلى الثاني وهو أن العصمة ليست شرطاً في الخليفة فيتأتى الكلام حينئذٍ في أن الخليفة. هل يجب أن يكون عالماً عادلاً، أو يجوز أن يكون جاهلاً فاسقاً؟. وأيضاً يتأتى الكلام في أن الطريق إلى معرفته: هل هو النص أو الانتخاب؟.

فينبغي قبل كل اختلاف أن يتجه البحث إلى هذه النقطة، ثم ينطلق منها إلى غيرها، والذي نراه أن العصمة لا تنفصل بحال عن خليفة النبي، كما لا تنفصل بحال عن النبي نفسه.. وذلك أن العصمة لم تجب لشخص النبي من حيث هو، وإنما وجبت له من حيث أن المنصب الذي يشغله، والوظيفة التي يؤديها تستدعي العصمة، والمفروض أن الخليفة يتولى هذا المنصب بالذات - ما عدا تلقي الوحي - ويقوم بنفس المهمة التي قام بها النبي من الدعوة إلى الله، وقيام الحجة به على عباده، وبيان أحكامه، تماماً كما هي في علم الله وعلم النبي حقيقة وواقعاً، لا ظناً، واجتهاداً، فإذا لم تجب العصمة

للخليفة والحال هذي، فإن معنى ذلك لا تجب لمنصب النبوة، وإذا وجبت للنبي وجبت للخليفة بحكم المنصب والوظيفة، والفرق تحكم.

وتسأل: إن السنة استدلوا على عدم وجوب العصمة للخليفة بخلافة أبي بكر، مع العلم بأنه غير معصوم باتفاق المسلمين.

(المواقف للايجي ج ٨ ص ٣٥٠).

الجواب: إن هذا إثبات للمدعى به بمجرد الدعوى.. وبديهة أن هذه الدعوى ليست بأولى من القول بنفي الخلافة عن أبي بكر، لأنه غير معصوم بالاتفاق.

وتقول: لقد احتاج النبي إلى العصمة دفعاً للخطأ في تبليغ الوحي، وبديهة أن الخليفة لا ينزل عليه الوحي من الله، كي يحتاج إلى العصمة، وإنما وظيفته أن يبين الشريعة التي نزلت على محمد ﷺ ويستمد أحكام هذه الشريعة من كتاب الله، وسنة الرسول اللذين يرجع إليهما كل مجتهد، ومعلوم أن الرجوع إليهما، واستخراج الحكم منهما لا يستدعي العصمة، وإلا وجبت لكل مجتهد وعالم من علماء الدين.

والجواب: إن مجرد الرجوع إلى الكتاب والسنة لا يرفع الخطأ في تفهمهما واستخراج الحكم منهما، كما هو ثابت بالبديهة، وإلا لم يقع الاختلاف بين أئمة الفقه وعلمائه، ولم تنقسم أمة محمد إلى مذاهب يكفر أهلها بعضهم بعضاً.. وإذا كان وجود الكتاب والسنة لا يرفع الاختلاف من بين العلماء وقادة الدين فلا بد من وجود مرجع لا يخطئ أبداً يلجأون إليه، ويتحاكمون لديه، لبيان المخطئ من المصيب، ولا أحد ينبغي الرجوع إليه في بيان الحق الذي لا ريب فيه إلا النبي، أو من يقوم مقامه، ويتولى منصبه إذا غاب.. ولو افترض أن خليفة النبي يخطئ كما هو الشأن في غيره من العلماء والمجتهدين لبقى الاختلاف قائماً بدون رافع، ولا احتجاج الخليفة إلى مرشد يرده الصواب، وإذا كان هذا المرشد يخطئ احتجاج إلى مرشد، وهكذا

إلى ما لا نهاية.. وهو محال - إذن - لا مناص من الالتزام بأحد أمرين: إما أن يكون خليفة النبي معصوماً في فهم الشريعة وبيانها، وأما لا خلافة في الإسلام من الأساس، وعليه يبقى الخطأ والنزاع قائماً في أمة محمد ﷺ إلى يوم يبعثون.. أما القول بوجود خليفة يجوز عليه الخطأ في فهم الشريعة وبيان القرآن والسنة فإنه تماماً كالقول بوجود نبي يجوز عليه الخطأ في تبليغ الوحي وبيانه، والفرق تحكم.

وحيث إن وجود الخليفة واجب بإجماع المسلمين فتعين أن يكون معصوماً وبما أن أبا بكر غير معصوم بإجماع المسلمين أيضاً فيجب نفي الخلافة عنه، وصرفها إلى من ثبت له العصمة.

وسؤال أخير: وهل ثبتت العصمة لأحد من أصحاب النبي ﷺ؟

الجواب: أجل؛ لقد شهد الرسول الأعظم ﷺ بعصمة علي، حيث قال: «علي مع الحق، والحق مع علي يدور معه حيثما دار».. ولكن أكثرهم للحق كارهون، كما قال تعالى في سورة المؤمنون الآية ٧^(١) بل شهد السنة لعلي بالعصمة - ولكن بدلالة الالتزام - فإنهم قالوا: كل ما اتفقت الأمة عليه فهو الحق، لأنها معصومة عن الخطأ بحديث «لا تجتمع أمتي على ضلالة». وقالوا أيضاً: أجمعت الأمة على الاعتراف بعلي، واختلفت في أبي بكر وعمر، وقالوا أيضاً: ثبت عن علي أنه كان يرى نفسه أولى بالخلافة من أبي بكر - إذن - يكون علي معصوماً، لاعتراف الأمة المعصومة به، وهو على حق في قوله: إنه أولى بالخلافة من أبي بكر وعمر، وهما على باطل في ادعاء الخلافة لهما^(٢).

(١) انظر فقرة لا إمام سوى العقل، فصل أكثرهم للحق كارهون من هذا الكتاب.

(٢) انظر فقرة الإمام علي، فصل مع النشار من هذا الكتاب.

الفاضل والمفضول:

قال السنة: إذا اتصف اثنان بالفضل، وكان أحدهما أفضل وأكمل من الآخر يجوز إهماله، وتقديم من هو دونه كمالاً وفضلاً... وقد استمد السنة هذا المبدأ من قول أبي بكر: «وليتكم ولست بخيركم» كما استدلووا على عدم وجوب العصمة للخليفة بخلافة أبي بكر، فهم لا يثبتون الخلافة لأبي بكر بالحق، بل يثبتون الحق بخلافة أبي بكر وأقواله، أي أنهم يعرفون الحق بالرجال ولا يعرفون الرجل بالحق، كما هو الشأن عند الشيعة الذين استدلووا على خلافة علي بن أبي طالب بالكتاب والسنة والعقل وإجماع الأمة المعصومة التي اعترفت بعلي، واختلفت في أبي بكر وعمر... وليس من شك أن الطباع ترفض مبدأ تقديم المفضول على الفاضل حتى الحيوانات والحشرات تأبى أن يقودها الأدنى والأضعف، كما أثبت ذلك أهل الاختصاص، ولو صح هذا المبدأ لجاز أن يكون في عصر النبي من هو أفضل منه... ولا أحسب مسلماً يجرأ على التفوه بذلك.

المشابهة والمشاركة:

من تتبع سيرة الرسول الأعظم ﷺ ودعوته منذ بدايتها إلى أن فارق هذه الحياة يجد أن علياً ابن أبي طالب كان شريكاً له في كل ما حققه من انتصار وفي كل ما لاقاه من خطوب ومحن في سبيل دعوته، بحيث لا ينفصل محمد النبي عن علي المناصر والمؤازر، حتى في غزوة تبوك، فقد استخلفه على المدينة بعد أن قال له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، ولولا مشاركة علي لمحمد في جهاده لم يكن للإسلام عين ولا أثر.

هذا، إلى أن علياً أقرب الناس إلى محمد ﷺ، وأكثرهم تشابهاً به في كل ما خصه الله من خلال وصفات - ما عدا تلقي الوحي -، وهنا يكمن سر تأخي الرسول لعلي، فإذا كان الله سبحانه

أعلم حيث يجعل رسالته فإن محمداً أعلم حيث اختار علياً لاخوته من دون أصحابه أجمعين . . . وإذا كانت هذه المشابهة في الفضائل ، وتلك المشاركة في الجهاد ، والتضحية في سبيل المبادئ التي قامت دولة الإسلام على أساسها لا تجعلان علياً خليفة للنبي ، إذا كان كذلك فلا خلافة في الإسلام على الإطلاق ، وإذا كان لمحمد خليفة حقاً فعلي دون سواه هو الخليفة ؛ ومن ادعى خلافة محمد لنفسه - غير علي - أو لغيره فهو مصداق لقوله تعالى :

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود: ١٨].

تسأل: إذا كانت الخلافة حقاً لعلي بن أبي طالب فكيف أسرع عمر بن الخطاب إلى مبايعة أبي بكر قبل أن تبرد جثة الرسول الأعظم ﷺ .

الجواب أن عمر ابن الخطاب كان على يقين من أن الأغلبية الساحقة من المسلمين تتجه إلى علي ، فبادر إلى بيعة أبي بكر ، ليقطع الطريق على الإمام ، ويحكم المؤامرة على حقه . . . وقد أظهر الزمن والأبحاث العلمية هذه الحقيقة . فبعد مضي أكثر من ألف وثلاثمائة وسبعين سنة كتب الأستاذ أحمد عباس صالح الأديب المصري المعروف ، ورئيس تحرير مجلة الكاتب المصرية في عددها ٤٦ . . . كانون الثاني/يناير سنة ١٩٦٥ ، كتب مقالاً بعنوان : «الوسط يستولي على الحكم» . جاء فيه :

«كان علي وصحبه إلى جوار النبي يبكون ، ويعدون العدة لدفنه ، وعلى حد تعبير بعض المؤرخين كانت جثة النبي لم تبرد حين اندفع

عمر بأبي بكر إلى السقيفة؛ وليبتوا في أمر الخلافة، وحين أبلغ علي بالنبا ثار ورفض البيعة، ورفضها معه حزبه وأنصاره، واستمر علي وصحبه ممتنعين عن البيعة ستة شهور كاملة».

وأيضاً في هذا المقال: «وقد اعتبر علي بن أبي طالب اجتماع السقيفة في غيبته تأمر من جانب عمر، حتى ان الخصام استمر بينهما فترة غير قصيرة - ثم قال الأستاذ صالح - إن عمر بن الخطاب شخصية غريبة تستحق الدراسة والتأمل، ومع أن لدينا ثروة من الفكر الحديث الذي تناول هذه الشخصية فإنها ما زالت في حاجة إلى مزيد.. إن هذا الرجل قوي، ويملك المبادرة دائماً، ويتلازم التفكير والعمل عنده كأنهما يولدان في لحظة واحدة».

ومهما شك الباحث العارف المنصف فإنه لن يشك أبداً في التأمر على علي وطعنه بالظهر، وإلا كيف يبت في أمر هام كالخلافة في غيبته ودون مشورته؟ وقد أشار الإمام إلى ذلك بقوله مخاطباً أبا بكر:

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم فكيف بهذا والمشيرون غيب

مع النشار في نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام

التاريخ:

دُون التاريخ أول ما دُون على الأغراض والأهواء، أو من غير تحقيق وتمحيص.. ومن أراد أن يكون على بينة من هذه الحقيقة فما عليه إلا أن يقرأ ما تنشره اليوم صحف الشرق والغرب، فسينتهي به المطاف إلى الشك والريب في كثير مما يُكتب ويُنشر.. وهو شك في محله.. تقع حادثة في بلد من البلدان، وبعد ساعات تصدر صحف هذا البلد، وكل صحيفة تعرض الحادثة بشكل مباين لما تعرضه الصحيفة الأخرى.. ولا سر لهذا التناقض والتهافت إلا الهوى والجهل، وليس الهوى والجهل من الصفات المستحدثة في الإنسان، ولا من خصائص عصر دون عصر، أو مجتمع دون مجتمع.. فلقد ارتبط الهوى والجهل بوجود الإنسان منذ اللحظة الأولى لوجوده على وجه هذه الأرض.

فالوقائع التاريخية التي سجلها الأوائل، والعقائد الدينية التي نسبوها إلى غير طوائفهم ليست صادقة مئة بالمئة، بل فيها الكثير من التكهن والرجم بالغيب، والكذب والزيف، وبديهة أن أولى قواعد العلم أن يشك العاقل فيما يسمع ويقرأ، ثم يمحص ويدقق، ولا كتاب عند المسلمين يؤخذ بالتسليم كمصدر للحق إلا كتاب الله وحده، أما

من يتلقى بالقبول كل ما دونه وسجله المؤلفون من غير تحقيق وتمحيص - حتى ما ينسب إلى الرسول - أما هذا فإنه يفقد - ولا ريب - غريزة التأمل والتعقل، تماماً كمن يشك لا لشيء إلا من أجل الشك، ويرتاب، حتى في وجود الشمس والأرض.

أجل، إن كثيراً من القراء يصدقون الكاتب، ويؤمنون بأقواله تلقائياً، وبسرعة البرق، بل يجدون فيها اللذة والمتعة إذا نسب الخرافة والسخافة إلى طائفة لا يتمون إليها هم وآباؤهم الأولون.

المناهج والأهداف:

المنهج هو الطريق الذي يسلكه الإنسان في بحثه عن الحقيقة، وقد يكون هذا المنهج العاطفة، إن صح أن تكون العاطفة منهجاً، وقد يكون العقل، أو الشرح، أو قول السلف.. وقد لا يكون شيئاً سوى الظرف الذي يتكيف الباحث بحسبه من غير تصميم سابق، تماماً كالماء يتلون بلون الإناء.. وقد تبعت الذين كتبوا ونشروا عن الشيعة وعقيدتهم، ورددت عليهم بعد أن تأملت ملياً في المناهج التي اعتمدها لأقوالهم، فرأيتها تختلف بحسب الأهداف والدوافع.. فمنهم من اتخذ التشويه والتضليل مبدأً وأساساً لكل ما يكتب عن الشيعة، حتى كأن البغض والعداء قد جعلاً منه أفعى تنفث السموم والأحقاد، كمحب الدين الخطيب في خطوطه العريضة، والحفناوي في كتابه «أبو سفيان».. ومنهم من كتب ونشر بتأثير الوراثة، والتقليد الذي سيطر على عقله وقلبه، ورفض كل شيء لا ينسجم مع عقيدة الآباء والأجداد وهذا النوع أكثر عدداً من غيره.. ومنهم لا يعتمد منهجاً خاصاً فتراه في مورد يأخذ بقول مؤلف من السلف أو الخلف دون تحقيق وتمحيص.

وفي مقام ثانٍ يعتمد على مجرد الحدس والتخمين، وفي ثالث يعبر عن الواقع كما هو، وفي مكان آخر يقرر أشياء جازماً بها من غير

تردد. ثم يذهل عن نفسه وأقواله، ويقرر ما يناقضها بأسلوب الجزم أيضاً، حتى كأنه شخص آخر. كل ذلك يبرز جلياً واضحاً في كتاب «نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام» بجزئيه الأول والثاني للدكتور علي سامي النشار أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة الإسكندرية، وفي الفقرات التالية نذكر أمثلة من الكتاب للتدليل على ما فيه من تهافت، وتحرض، واعتماد على القيل والقال.

خرافة ابن سبأ:

تعلم الدكتور النشار في مدرسته، وأخذ عن أساتذته أن فكرة القداسة التي نسبت إلى علي سببها الأول عبد الله بن سبأ. . ولما أنهى النشار دراسته، ونال شهادة الدكتوراه لقن تلاميذه ما لقنه إياه أساتذته، قال في ج ١ ص ٤٦ طبعة سنة ١٩٦٥: «تكاد تجمع كتب العقائد الإسلامية على أن عبد الله بن سبأ هو أول من دعا إلى فكرة القداسة التي نسبت إلى علي كان يهودياً قبل الإسلام».

ولا أدري: لماذا تذكر الفيلسوف النشار ما تلقاه صغيراً عن أساتذته في ابن سبأ، ودونه كبيراً وألقاه على تلامذته، ونسي قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقوله:

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾
[الشورى: ٢٣].

نسي الدكتور الأستاذ أن تقديس علي وأهل بيت النبي سببه الأول والأخير هو الله ورسول الله، وأن آية التطهير نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين بشهادة مسلم في صحيحه، وأنهم المقصودون بآية المودة؟..

وهل يقدر السنة الإمام علياً تبعاً لابن سبأ، لا لأمر الله ورسوله. قال الدكتور علي سامي النشار في الجزء الثاني من كتابه نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ص ٢٨، طبعة ١٩٦٤ ما نصه بالحرف الواحد: «يعلن أهل السنة أن علياً عالم امسلمين وفقههم مصداقاً لحديث: «أنا مدينة العلم وعلي بابها». فقد القرآن كما فقه السنة - أي سنة الرسول - وغاص في أعماق كل منهما. . واحتل في عقائد السنة والجماعة المكان الأول في الحياة الروحية للمسلمين، رفعه أهل السنة والجماعة على جميع الصحابة بلا استثناء روحياً على مقام كل من أبي بكر، وعمر».

إذا قدس الشيعة علياً فإنما يقدسونه استجابة إلى ابن سبأ، لا إطاعة لأمر الله ورسوله، وإذا قدس السنة علياً ورفعوه على أبي بكر وعمر فإنما يقدسونه، لأنه غاص إلى أعماق كتاب الله وسنة نبيه ولأنه باب مدينة العلم بشهادة الرسول الأعظم: . . رأيت إلى هذا المنطق؟ .

لقد أثبت أهل العلم والتحقق أن ابن سبأ وهم وخرافة لا أساس لها ولا وجود إلا في خيال من افتعلها للدس على الشيعة والتكيل بهم، كما قال الدكتور طه حسين في كتاب «علي وبنوه»^(١).

وقال الأستاذ أحمد عباس صالح في مجلة الكاتب المصرية عدد آذار/مارس سنة ١٩٦٥، ص ٥٦ ما نصه بالحرف الواحد: «عبد الله بن سبأ رجل خرافي بغير شك، فأين هو من هذه الأحداث جميعاً. .

(١) ألف العلامة السيد مرتضى العسكري خلاصاً في عبد الله بن سبأ، وأثبت بالأرقام، والبرهان القاطع أنه خرافة مفتعلة وكتبت حوله كلمة في كتاب «مع علماء النجف الأشرف». حتى النشار بعد أن جزم في الجزء الأول بوجود ابن سبأ، وعاد وقال في الجزء الثاني ص ٢٣: «من المحتمل أن تكون شخصية ابن سبأ شخصية موضوعة».

وساذج بغير شك الذي يتجه إلى خلق شخصية خرافية كهذا، ليعطيها أثراً أي أثر فيما حدث من الأحداث.. . إنما كل ما حيك من قصص حول عبد الله بن سبأ هو من وضع المتأخرين، فلا دليل على وجوده في المراجع القديمة فضلاً عن سخافة التفكير في احتمال وجوده أصلاً».

فكرة الأئمة الاثني عشر:

قال النشار: إن فكرة الأئمة الـ ١٢ لا وجود لها في الإسلام (ج ١ ص ٤٤٨، وج ٢ ص ٢١٨).

ولو قال هذا أمي جاهل لعذرناه، وقلنا: يشفع به الجهل وحسن النية.

أما أن يقوله دكتور يحاضر في الفلسفة الإسلامية بالجامعة، ويؤلف كتاباً في نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، يتجاوز عدد صفحاته ألفين ومئتين.. . أما هذا فلا ندري ماذا نقول عنه.. . رغم أن فيه للفكرة من الأساس يكشف عما يكنه نحو الإمامية.. . إن هذه الفكرة إسلامية بحتة والذي جاء بها هو نبي الإسلام الذي لا ينطق عن الهوى.. . فلقد جاء في صحيح البخاري ج ٩، كتاب الأحكام، وصحيح مسلم الأول من الجزء الثاني كتاب الإمارة: إن الخلفاء اثنا عشر كلهم من قريش.

وتكلمت عن ذلك مفصلاً في الجزء السادس من دائرة المعارف اللبنانية بإدارة الأستاذ رئيس الجامعة فؤاد إفرام البستاني ونقلت عن كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ العسقلاني: إن السنة والشيعا اتفقوا على أن عدد الأئمة الأطهار الأبرار ١٢، وإنما اختلفوا في تشخيصهم وتعيينهم، وأن جماعة من السنة يعدون منهم يزيد بن معاوية قاتل الحسين، وهادم الكعبة، ومبيح المدينة المنورة، والوليد بن

يزيد المرواني الذي مزق القرآن، وقال له :

إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد

ميتة الجاهلية:

قال النشار ج ٦ ص ٢١٧: «إن حديث من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» هو حديث شيعي ليصححوا به مذهبهم في الإمامة... وكرر ذلك في مواضع من كتابه، وإن دل قوله هذا على شيء فإنه يدل على أنه أبعد الناس عن علم الحديث، فلقد روى السنة هذا الحديث عن معاوية أعدى أعداء الشيعة ومن السنة لآذين روه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد، وأبو داود الطيالسي في مسنده. «الغدیر للأمني ج ١ ص ١٥٨».

الاثنا عشرية:

جاء في مقدمة الجزء الثاني من كتاب النشار ما يلي :

كانت الفكرة السائدة أن أهل السنة والمعتزلة قاموا بالدفاع عن فلسفة الإسلام المعبرة عن أصالته تجاه أهل الفلسفات الأخرى من مسيحيين ويهود وثنوية وفلاسفة بينما كان عمل الشيعة أن تهاجم فقط المجموعة الإسلامية وأن تناقض آراءها... وهذا خطأ كبير كان علماء الشيعة في عصرهم الأول كما كانوا في عصرهم الأخير مشاعل مفسرة لروح الإسلام تجاه أعدائه، فوقفوا بالمرصاد للثنوية والمسيحية واليهودية والفلاسفة، وشاركوا علماء أهل السنة والمعتزلة في إقامة البناء العقائدي الإسلامي متكاملًا متناسقًا، ومن الثابت تاريخياً أن مدرسة جعفر الصادق وعالمها الكبير هشام بن الحكم قد قامت بالدور الأكبر في هذا السبيل؟

وأيضاً جاء في هذه المقدمة: «لقد عاشت الشيعة حتى الآن في التاريخ وما زال في العالم الإسلامي الملايين من الشيعة: الإثنا

عشرية، والإسماعيلية، والزيدية، ثم فرق الغلاة، وأكبر فرقها المعاصرة الأمامية الإثنا عشرية، وهي فرقة إسلامية بحتة، وهي لا تمثل أبداً المجتمع المغلق الذي تمثله فرق الشيعة الأخرى، ولا تكاد تختلف الإمامية المعاصرة في عقائدها عن عقائد الخلف من أهل السنة».

وقال النشار في الجزء المذكور ص ١١: «وعدد الشيعة الأمامية في العالم الآن ثمانون مليوناً».

وقال في صفحة ٢٢١: «إن هذا التطور إنما هو دليل على حيوية المذهب - أي مذهب الإمامية - ومرونته وقبوله التطور العقلي المستمر».

وهذا القول - كما ترى - يصور الإثني عشرية بأنهم فرقة إسلامية بحتة لا تكاد تختلف عقائدها عن عقائد السنة، وأنها فرقة متحررة، ومذهب يقبل التطور العقلي المستمر، وإنها كانت وما زالت مشاعل مفسرة لروح الإسلام تدافع عنه، وترد هجمات اليهود وغيرهم عليه.

ولكن النشار كثيراً ما يسجل أشياء، ويجزم بها، ثم يسجل ما يناقضها من غير تحفظ دون أن يشعر بتهافته وتناقضه... من ذلك قوله: «أثر الغلو حتى في المعتدلين، ودخل في أعماق المذهب الإثني عشري»... وقال في مكان آخر: «وسبب الغلو عند الشيعة اليهود»...

ولا أدري كيف جمع النشار بين غلو الإثني عشرية، وبين قوله إن عقائد الإثني عشرية لا تختلف عن عقائد السنة، مع العلم بأنه ينفي الغلو عن السنة؟... وأيضاً كيف دافع الشيعة عن الإسلام، وردوا عنه هجمات اليهود وغير اليهود، وفي الوقت نفسه أخذوا الغلو عن اليهود؟...

وليس هذا هو المورد الوحيد الذي يتهافت فيه النشار، ويناقض به نفسه . . .

فإنه بعد أن سجل في صفحة ٢٢١ أن مذهب الإثني عشرية مرّن يقبل التطور المستمر قال في صفحة ٢٢٨: «لا إجماع عند الإثني عشرية، ولا قياس، وإنما نص قرآني، أو حديث عن إمام من الأئمة أو اجتهاد أشبه برنين الأجراس».

ولا أدري ما الذي أوحى للنشار بهذا الرنين؟ . . . ولماذا عدل عن قوله الأول ولم يتعد عنه إلا خطوات؟ . . . وهل هذا من الفكر الفلسفي في الإسلام، أو منهج من مناهج فلسفته الحديثة؟ . . .

ولو نظر النشار في أي كتاب من كتب الأصول، أو فقه الإستدلال عند الإمامية لرأي أن مصادر التشريع: الكتاب والسنة والإجماع والعقل، وأن سنة الرسول ﷺ تثبت عندهم بخبر الثقة شيعياً كان أو سنياً، وقد اشتهر بينهم هذا المبدأ: «خذوا بما رووا، ودعوا ما رأوا» ونقلت ذلك عن أوثق المصادر، وأعلنته في كتاب «مع الشيعة الإمامية». وكتاب «الشيعة والتشيع». . . وفي الصحف مرات ومرات بمناسبة ردودي على الذين يكذبون ويفترون على الشيعة بلا مبالاة. . . ولكن ما الحيلة فيمن أبي إلا أن يقول هكذا، وأن لا يرى الحقيقة إلا في وهمه وخياله . . .

وكل الناس، حتى الأطفال والعجائز يعلمون أن الشيعة هم أهل الاجتهاد ومظهره^(١)، وأنهم فتحوا بابه، ولا يزال، ولن يزال مفتوحاً على مصراعيه، وهذي كتبهم في الأصول العقلية تعد بالعشرات، منها كتاب فرائد الأصول للشيخ الأنصاري والجزء الثاني من الكفاية للشيخ الخراساني المقرران للتدريس بجامعة النجف وغيرها من معاهد إيران،

(١) جاء في كتاب أسس الفلسفة للدكتور توفيق الطويل المعاصر للنشار ص ٣٩١ طبعة سنة ١٩٥٥: «وقد كان للشيعة فضل ملحوظ في اغناء المضمون الروحي للإسلام، فإن مثل حركاتهم الجامعة تأمن الأديان التحجر في قوالب جامدة».

وإذا لم ير النشار هذه الكتب فإنه - ولا ريب - رأى وقرأ كتب الفلسفة وعلم الكلام، لأنه دكتور في الفلسفة الإسلامية، وقرأ أكثر من مرة أن الشيعة يقولون بالحسن والقبح العقليين، ويؤمنون بأن الله سبحانه أمر هذا لأنه حسن، ونهى عن ذاك لأنه قبيح، وأن السنة ينفون الحسن والقبح العقليين، ويقولون بأن هذا حسن لأن الله نهى عنه، ولو أمر بما نهى عنه لصار حسناً، ولو نهى عما أمر به لصار قبيحاً.

أما القياس فإن الإمامية يوجبون العمل به إذا كان قطعياً، ويأخذون بجميع المبادئ والقواعد العقلية، حتى غير المنصوص عليها شرعاً، على شريطة أن تؤدي إلى العلم والجزم بالكم الشرعي، كي لا يقولوا على الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، ويحرمون العمل بالظن الذي لا دليل من الشرع على اعتباره، أما السنة فيعتمدون عليه، وهم يتلون كتاب الله، وقوله عز من قائل:

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦].

وعزف النشار معزوفة الرجعة والجفر والبداء والتقية والغلو ومصحف فاطمة والعصمة والمهدي المنتظر، عزفها تماماً كما عزفنا المئات منذ ألف سنة. أو تزيد، ولم يطور أو يعدل فيها شيئاً. لذا أحيله على كتاب «المهدي المنتظر والعقل» وكتاب «الشيعة والتشيع» الذي جمعت فيه كل نقد أو اعتراض ونقص قيل ويقال عن الشيعة، ودحضت الأقوال الطائشة وفندتها بالأرقام الصحيحة الثابتة، ولا أدري للإعادة سوى التطويل، وتضييع الوقت.

الإمام علي:

كتب فصلاً خاصاً في الجزء الثاني بعنوان «الفصل الرابع، صورة علي عند أهل السنة والجماعة والشيعة المعتدلة» جاء فيه:

«تولى أهل السنة والجماعة الشيخين أبا بكر وعمر، وأنكرهما الشيعة إنكاراً كاملاً. . أما علي بن أبي طالب فيدعيه أهل السنة لهم، ويدعيه الشيعة لهم. . أما أهل السنة فيعلنون أن أسلافهم الأول قد رأوا من علي بن أبي طالب أول غلام^(١) آمن، وقد عاش في حجر النبي العظيم، ورعاه الرسول العظيم قبل بعثته، كما رعته أم المؤمنين الأولى خديجة العظيمة برعايتها وحبها وحبها ووقف الطفل المكي العظيم منذ اللحظة الأولى للنبوّة بجانب صاحبها في الكبير وفي الصغير، ولا يقل إعجاب أهل السنة عن إعجاب الشيعة به حين تركه رسول الله على فراشه ليلة الهجرة العظيمة، تحرسه الملائكة وهو يواجه قريشاً العاتية، ثم هاجر إلى المدينة مع فاطمة الزهراء، وبدأت الحروب، وفتى بني هاشم يحمل بسيفه المنايا يحطم بها عتاة قريش، ويكلم كل بيت من بيوتهم، وكم فدى الرسول بنفسه في معظم مواقع القتال».

وقال النشار في هذا الفصل بالذات ص ٢٨: «يعلن أهل السنة أيضاً أن علياً عالم المسلمين وفقههم مصداقاً لحديث: «أنا مدينة العلم وعلي بابها» فقه القرآن كما فقه السنة، وغاص في أعماق كل منهما، وكان فقيه أبي بكر كما كان فقيه عمر - أي أنهما كانا يرجعان إليه في الفقه ويأخذان عنه - وقد عاش عيشة إيثار وإنكار لذاته في حياة كل من الشيخين. . وأخيراً انه الوحيد من بين الصحابة الذي احتفظ في كتب أهل السنة بكلمة إمام، ودعا الحسن البصري رباني هذه الأمة، وبرغم ما قام به الأمويون من دعاية، وما أعلنه النواصب من عداوة لعلي فقد احتل ابن عم الرسول وصهره في عقائد أهل السنة والجماعة المكان الأول في الحياة الروحية للمسلمين، ورفع أهل

(١) ذكرت في كتاب «علي والقرآن»: إن المتعصبين لم لم يروا وسيلة الإنكار أن علياً أول من سبق إلى الإسلام، وفي الوقت نفسه صعب عليهم الإعراف بهذه الحقيقة فلجأوا إلى التلاعب بالألفاظ، وقالوا أول غلام آمن بمحمد ولم يقولوا: أول من آمن الخ.

السنة والجماعة على جميع الصحابة بلا استثناء روحياً على مقام كل من أبي بكر وعمر».

وقال النشار في ج ٢ ص ٢٢٣ طبعة ١٩٦٤ ما نصه بالحرف الواحد: «إنه من المؤكد أن الإمام علياً ابن أبي طالب كان يرى أنه أحق بالخلافة بعد رسول الله ﷺ وكذلك أبنائه وأحفاده من بعده».

وقال في صفحة ٦ ما نصه بالحرف أيضاً: «كان أبو بكر يتذكر فاطمة، ويبكي، بل وأعلن حين موته ندمه إن اقتحم منزلها بالرجال وكانت فاطمة تؤمن بلا شك بالحق الإلهي لعلي في الخلافة».

وقال النشار في صفحة ٨: «عهد الرسول بالصلاة إلى أبي بكر، وهي الإمامة الصغرى ففاس المسلمون الأمر بأن تكون له الإمامة الكبرى أي الخلافة».

وقال في صفحة ٢١٧: «يعلن الأشاعرة - أي السنة - عصمة الجماعة للحديث المشهور: «لا تجتمع أمتي على ضلالة».

ونستلخص من مجموع هذه الأقوال القضايا التالية:

- ١ - إن المسلمين جميعاً السنة والشيعة قد اعترفوا بعلي، ولم يعترفوا كذلك بأبي بكر وعمر.
- ٢ - إن كل ما أجمع عليه المسلمون فهو حق، وإلا لما كان للعصمة من معنى^(١).

(١) قال الغزالي في كتاب المستصفي، الباب الثاني في بيان أركان الاجماع: «المعتمد أن العصمة إنما تثبت للأمة بكليتها، قال تعالى: ﴿وَمَا أَخْلَقْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]. وقد وردت أخبار تدل على قلة أهل الحق... وقال تعالى: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾، فالعصمة، إذن، على مبدأ السنة تلازم الإجماع فقط، أما الكثرة الغالبة فغير معصومة عن الخطأ، بل كثيراً ما يكون الحق بجانب القلة.

٣ - إن علياً كان يرى نفسه أحق بالخلافة من أبي بكر وعمر،
وإنه كان منكرراً لذاته في حياة كل منهما، وإن فاطمة بضعة النبي وإنها
كانت تؤمن وتعتقد إن الخلافة حق إلهي لعلي دون سواه.

٤ - إن أبا بكر قد آذى فاطمة^(١).

٥ - إن المبرر عند السنة لتقديم أبي بكر على علي في الخلافة
إمامته في صلاة الجماعة.

ولسنا بحاجة إلى المزيد على هذه القضايا الخمس التي آمن بها
السنة، ونقلها النشار عن كتبهم ومصادرهم... وإذا جمعنا هذه
القضايا بكلام واحد، وربطنا بعضها ببعض كانت البناء المنطقي
للحكم، والدليل الوافي الكافي على أن الخلافة حق إلهي، وأن غيره
غاصب لهذا الحق، ما دامت الأمة المعصومة عن الخطأ قد اعترفت
بعلي، واختلفت في غيره، وما دام الثابت قطعاً عن الذي اعترفت به
الأمة المعصومة أنه هو صاحب الحق دون سواه... إذن، لا شيء
وراء هذا إلا الضلال، والأفضل المعلول عن علته، والنتيجة الحتمية
عن أسسها ومقدماتها..

وهذا بالضبط ما فعله النشار في كتابه نشأة الفكر الفلسفي في
الإسلام.. آمن بالمقدمات، وجحد نتيجتها.. فكان شأنه في ذلك
شأن من اعترف بأن لك يداً يميني، ويداً يسرى، ثم أنكر أن تكون لك
يدان.. وهكذا يفعل التعصب بصاحبه.. يبعد العقل، ويحكم الهوى
الذي ينفي الشيء بأدلة الثبوت، ويثبتته بأدلة النفي..

وأغرب من هذا المنطق، أو مثله في الغرابة أن يؤمن النشار

(١) جاء في صحيح البخاري ج ٥ باب مناقب فاطمة: «قال رسول الله ﷺ: فاطمة
بضعة مني فمن أغضبها أغضبني». وفي صحيح مسلم القسم الثاني من الجزء
الثاني باب فضائل فاطمة: «قال رسول الله ﷺ: فاطمة بضعة مني، يربيني ما
رابها، ويؤذيني ما آذاها».

وغير النشار بأن الحق الإلهي لعلي في الخلافة قد نسخه ائتمام أبي بكر في الصلاة، مع العلم بأن القائلين بهذا النسخ يجيزون الصلاة خلف الفاجر، والفاسق والعاذل.. وان الكثير من أئمة المساجد لا يأتهم الإسلام ونبي الإسلام على عنزة جرباء من أموال المسلمين والصالح العام.

وبعد، فهذي بكل بساطة هي عقيدة الشيعة الإمامية بالخلافة - علي أولى بها من غيره - وهذا هو الفارق الجوهرى بينهم وبين غيرهم من الفرق الإسلامية.. وأقوال السنة تبرر هذه العقيدة. وتدل صراحة عليها، وتنتهي حتماً إليها.. إذن، كيف صارت هذه العقيدة غير معقولة، ولا مقبولة؟. لأن الخرافى ابن سبأ وضع أسسها وقواعدها في كتب السنة أو لأنها لا تعترف بغير علي بن أبي طالب؟.. وأي ذنب للشيعة إذا أجمعت الأمة المعصومة على الاعتراف بعلي، ولم تجمع على الاعتراف بغيره؟.. وهل يجب على الشيعة أن يكذبوا هذه الأمة المعصومة، لا لشيء إلا لأنها اعترفت بعلي، وإلا لأن علياً وفاطمة بضعة الرسول يعتقدان بأن الخلافة حق إلهى له؟.. وكيف لا يكون علي محقاً، في قوله: (إنه أولى بالخلافة)، وقد اعترفت به الأمة المعصومة، واختلفت في غيره؟.. وإذا كان محقاً وصادقاً في كل ما يقول، فكيف صار المعترفون بصدقه العاملون بقوله مبطلين مفترين؟.

كلا أنا لا أصدق أبداً أن الذين يثرون العجيج والضجيج حول عقيدة الإمامية ويكتبون وينشرون عنها مستنكرين، لا أصدق أبداً - مع هذه البراهين والإلزامات - إنهم يؤمنون بما يقولون.. بل هناك سر خفى، يفتح أفواههم، ويحرك أقلامهم.. وقد يكمن هذا السر في التعصب الأعمى، وقد يكون في الجيوب، لا في القلوب..

لا حد ولا أساس:

وهكذا يمضي النشار في كتابه الذي لا حد فيه ولا أساس لأحكامه، ولا لطرائق إثباتها.. فتراه تارة يرسل أقواله إرسالاً اعتماداً على قول مؤلف من غير تمحيص، كإيمانه بابن سبأ وغيره. وتارة يسترسل مع التخيل والتخرص، كقوله بأن فكرة الاثني عشر إماماً غير إسلامية وما إليه، وحيناً يقرر أشياء، ثم ينقضها، كقوله بتحرر الإمامية ومرونة مذهبهم، ثم الحكم عليهم بالتحجر والجمود، وفي مورد آخر تبدو أقواله قريبة من الواقع، كالتي كشف بها حقيقة العثمانية والأموية، وعن مكانة الإمام علي أمير المؤمنين.. ولكن أخطاءه تلك قد ذهبت بلفتاته إلى الحق والواقع، وكل ما بذله من جهود في كتابه.. وحيث قدمنا في الفقرات السابقة أمثلة من أقواله التي لا تقوم على أساس من الحقيقة نذكر فيما يلي أقواله التي كشفت عن الحق والصدق. لا لشيء إلا للتدليل على أن النشار يسير في كتابه الضخم بغير خطى ثابتة، وعلى طريق غير محدود المعالم، ولا يهدف إلى شيء معين.

العثمانية والأموية:

قال في ج ٢ ص ٢٢٨ طبعة ١٩٦٥: «كره العثمانية والأموية الإسلام أشد الكراهية، وامتلاأت صدورهم بالحقد الدفين نحو رسول الله وآله وأصحابه، كرهوا أبا بكر وعمر، كما كرهوا علياً سواء بسواء، ولكن الفرصة آتتهم فقط حين قتل عثمان، وباسم الشيخ الشهيد، وأمام جمهور الشام قاموا يعلنون أنهم إنما غضبوا لعثمان وخذع أهل الشام حقاً، وتابعوا الكذب والخداع، ولم يعلموا حينئذ أن من يتمسحون بالشيخين كانوا أشد أعداء الشيخين، وأنهم خضعوا خلال حكميهما خوفاً من سطوة المسلمين، وتمكيناً فقط لأقدامهم في المجتمع الجديد، وقد كانوا بالأمس الطلقاء، والمؤلفة قلوبهم».

وقال في ص ١٨٧ : «اعتنق أبو سفيان بن حرب الزندقة، ولم يتنبه الباحثون إلى سبب عداوته الكبرى، وضغنه المرير على الإسلام، سواء في الجاهلية، أو بعد أن أرغم على اعتناق الإسلام غداة فتح مكة، أما السبب في هذا فهو أنه كان في الجاهلية زنديقاً، ونحن نراه يشهد حيناً مع رسول الله ﷺ وكانت الأزمات معه يستقسم بها، وكان كهفاً للمنافقين، وكان يتشفى في المسلمين إذا كشفوا بعض الكشف يوم اليرموك، فلم يؤمن، حتى بعروبتة».

وقال عن عثمان بن عفان ص ٢٢٧ : «أخذت الخلافة من علي لكي تعطي لشيخ متهاوٍ متهالك، لا يحسن لأمر، ولا يقيم العدل».

وقال في ج ٢ ص ٣٣ : «تولى معاوية الطليق وابن آكلة الأكباد الخلافة بعد مقتل علي بن أبي طالب . . . ولكن معاوية لم يهدأ له بال، والحسن حي لذلك قرر قتله، وتخلص منه بالسم . . . ومات الطليق آخر الأمر بعد أن قتل جماعة من كبار الصحابة صبراً، كحجر بن عدي أصحابه، مات بعد أن بايع بالخلافة لابنه يزيد، وانتهى الأمر إلى ملك غاشم يتوارثه الأمويون واحداً بعد واحد».

وقال في مقدمة الجزء الثاني : «عاد الأمر إلى معاوية ابن أبي سفيان، ولم يكن المسلمون قد تناسوا أباه الثنوي المجوسي الذي لم يؤمن بالله أبداً، وسرعان ما أطلقوا - أي المسلمون - على معاوية الطليق ابن الطليق، والوثني ابن الوثني، ومهما قيل في معاوية، ومهما حاول علماء المذهب السلفي المتأخر وبعض أهل السنة من وضعه في نسق الصحابة فإن الرجل لم يؤمن بأبداً بالإسلام ولقد يطلق نفثاته كثيراً على الإسلام ولكن لم يكن ليستطيع أكثر من هذا، وبدأ أبناء فاطمة يكتبون بدمائهم أكبر الملاحم».

ويظهر أن النشار قد وجد وقتاً للتفكير والتأمل، وهو يكتب عن

أبي سفيان، وولده معاوية، وحفيده يزيد، وقد أدى به ذلك إلى الجزم واليقين بكفرهم وعدائهم للإسلام. . . ويا ليتة فكر وتدبر في كل ما سجله بكتابه. . . ولو فعل لخدم الإسلام، وعمل على توحيد المسلمين. . . ولكنه - يا للأسف - أقام بينهم الحواجز والعوائق التي لا يستفيد منها إلا أعداء الإسلام الصهيونية والاستعمار. . . وهل يجهد النشار، وهو دكتور في الفلسفة ان المشكلة الكبرى للمسلمين والعرب اليوم هي الصهيونية والاستعمار، وليست الشيعة والتشيع. ولا أدري: لماذا يستغل النشار؛ وغير النشار بعض الفوارق بين المذاهب الإسلامية ويؤلفون فيها الكتب الضخمة، ويخلقون منها الحدود والسدود بين أمة محمد ﷺ في هذا الوقت بالذات، وهم أحوج إلى التكاتف ووحدة الكلمة. . . وهل عجز النشار عن فهم هذه الحقيقة وإدراكها أو أنه لا يشعر بالمسؤولية اتجاه الإسلام والمسلمين، أو هو دائماً في حيرة محزنة؟ وبالتالي هل تريد الجمهورية العربية المتحدة أن تقود العرب والمسلمين بمؤلفات النشار وما إليها؟

من هو علي؟

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال لعلي بن أبي طالب: يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت، وما عرفني إلا الله وأنت، وما عرفك إلا الله وأنا.

وسواء أصحت هذه الرواية، أو لم تصح فإن كل ما يعرفه الناس عن علي أنه عالم وزاهد وشجاع، وهذا أقصى ما تدركه عقولهم. . . أما حقيقة علي فلا يعرفها إلا من كان فوقه أو نظيره. . . وقدماً قيل: لا يعرف الفضل إلا ذووه. . . وقال هو: «العالم يعرف الجاهل، والجاهل لا يعرف العالم». . . إن الإنسان يفسر الحوادث بإملاء من منطقته الخاص، وفي ضوء أخلاقه وعاداته، ولم يكن علي في شيء من هذه العادات والأخلاق التي عليها الناس، ومن هنا كان

خطأ التفسيرات والتقديرات بشتى أشكالها وألوانها لشخصيته وذاته،
وخصائصه وسماته .

ومن تتبع سيرته، ومحصها بروية، وتأملها بعمق لا بد وأن
ينتهي إلى هذه النتيجة: إذا كان علي إنساناً حقاً فغيره من أبناء هذا
البشر ليس من الإنسان في شيء، وإنما اصطلاح الناس على تسميته
بهذا الاسم، والتعبير عنه بهذا اللفظ، تماماً كما يحلو لمن يسمي ثورة
قمرأً أو غزالاً، وأمتة السوداء أو ثلجة . . وإذا كان غير علي إنساناً
فعلي فوق الإنسان .

ومما لا شك فيه أن أفراد الناس تتفاوت في الكسل والنشاط،
وفي البخل والجود، وفي الجبن والاقدام، والطيبة والخبث، والبلادة
والذكاء، وما إلى ذلك، كما تتفاوت أفراد الحبوب والخضار والفواكه
من نوع واحد . . ولكن مهما بلغ مدى هذا التفاوت تبقى نسبة الجميع
إلى الماهية والنوع واحدة، أما إذا كانت النسبة بين شيئين تماماً
كالنسبة بين الظلمات والنور، وبين الحياة والممات فمن الخطأ
والجهل القول بأنهما فردان لمفهوم واحد .

وأحسب بأني لست بحاجة إلى ضرب الأمثال من سيرة الرجال
والمقارنة بينها وبين سيرته، لأقنعك بأن علياً فوق الناس أجمعين . .
وإن كان لدي الكثير من سيرتهم وسيرته الدقيقة العميقة التي لا يعرف
أسرارها على وجهها وحقيقتها إلا من كان فوق علي، أو من هو في
منزلته وعظمته . لست بحاجة إلى هذا التطويل والتدليل فإن الإشارة
التالية كافية وافية بالغرض وتحقق القصد:

تصرخ عائشة، وهي على جملها، وتنادي محرصة على علي بن
أبي طالب: من يأتيني برأس الأصلع، فله هذه البدره . . حتى إذا
ظفر بها الأصلع، وأصبح حياتها بين شفثيه بجلها وكرمها، وأعطاهما
بدرأً، لا بدره واحدة . . ويضربه ابن ملجم ضربته القاتلة بتحريض

عاهرة فاجرة، فيطعمه الإمام من طعامه، ويسقيه من شرابه، حتى إذا شعر بدنو أجله أوصى بقاتله خيراً، قال لأبنائه: وإن تعفو أقرب للتقوى.

وتصدى لقتله وغد من الأشرار، فأخذ الإمام بتلابيبه، وألقاه على ظهره وجلس على صدره، ووجهه إلى وجهه، وحين رأى الوغد لمعان السيف، وأيقن أنه مقتولاً لا محالة بصق في وجهه، فقام عنه الإمام وأخلى سبيله.. ولما قيل له: لم تركته؟!.. قال: خشيت إذا أنا قتلته يكون ذلك غضباً لنفسي، لا لله.. وفي إحدى المعارك برز لقتاله بطل من المشركين يلعب بكبش الكتبية فصرعه الإمام، وألقى به على الأرض، ولما رفع السيف ليقطع الرأس قال له أتقتلني يا علي، ومن لصبتي الصغار؟! فقام عنه وقال: أنت لصبيتك.. لقد وهبتك لهم.

وفي موقعة أخرى شهر السيف على فارس ينازله، وقبل أن يهوي به على رأسه قال: يا علي هبني سيفك هذا فقال له الإمام: أجل، هو لك، فأعطاه السيف، ووقف أمامه أعزل.. ولهذه الحوادث مثيلات. وكلنا يعرف قصة ابن العاص وبسر ابن اوطاة، والكشف عن السيئات والسوات..

وما تفسير هذا؟.. هل هو كرم وأريحية، أو إنكار للذات بالكلية، أو ترجمة للإرادة الإلهية؟.. وهل يأبى الله القضاء على العنف بالعنف، ودفع القاتل بالقتل؟

الله أعلم.. ولكنني أعلم علم اليقين أن هذه الخصائص والسمات ليست في شيء من هذه الطبيعة التي عليها الناس.

علي إنسان، وهذا المخلوق الناطق إنسان؟!.. علي إمام، وهذا الذي ينافس ويبني له ولأولاده إمام؟!.. علي خليفة.. رسول الله، وذاك الغاصب المساوم خليفة رسول الله ﷺ.. أبدأ إما أن يكون

علي وحدانياً في ذاته وحقيقته ليس كمثله أحد من الأئمة والخلفاء ولا من غيرهم، وإما أن هذه المقاييس التي نقيس بها الفضيلة والرذيلة ضلال وأوهام..


وربما وجدت واحداً يرفض الحكم والسلطان زهداً، أو تهرباً من المسؤولية إما أن تجد من يكره السلطة والإمارة بفطرتة، ويأبى الظهور والتفوق بغريزته، ومع ذلك يستسلم لتولي الحكم مكرهاً، تماماً كما يستسلم المريض لعملية جراحية أما هذا فلم نعهده إلا من علي بن أبي طالب الذي قال: ما لعلي ولنعيم، يفنى، ولذة لا تبقى؟!.. قبل الإمام البيعة لنفسه، وهو يعلم ما تجره عليه من الأذى والمتاعب، قبلها لا لشيء إلا لإصلاح البلاد، وأمن العباد، وإلا ليدفع ظلامه عن مظلوم، وينفس كربة عن مهموم، فمن أقواله. «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا مُنافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلوم من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك».

هذا هو الهدف الأول والأخير لعلي بن أبي طالب من قبول الخلافة.. أمن العباد، والإصلاح في البلاد، أما الدنيا وحطامها، أما الشعور بذاته، والعمل لنفسه فلا وزن له في حسابه. وهل يشعر بذاته ونفسه من خاطب الله قولاً وعملاً: ما عبدتك طمعاً في جنتك، ولا خوفاً من نارك، وإنما وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك؟

من هنا، من عدم شعور علي بنفسه، واللامبالاة بها في هناء كانت أو بلاء وعدم الاهتمام بشيء إلا بالحق.. من هنا يفترق علي عن هذه الطبيعة البشرية التي من أبرز خصائصها الأنانية والشعور بالذات، والعمل من أجلها فقط أما الحق فكلام فارغ إلا بمقدار ما يجلب النفع، ويدفع الضرر.

وبالتالي، فأنا مسلم قرآني محمدي. أو من بأن الله وحده هو

الخالق الرازق، وهو وحده يحاسب غداً، ويعاقب، وأتبرأ من المغالاة والغلاة، واعتمد في كل ما أدين القرآن الكريم، والعقل السليم، واعلم بأن الله سبحانه قد أكد في كتابه العزيز بأن محمداً بشر يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق، وأعتقد بأنه الأستاذ والمعلم لعلي بن أبي طالب، ولكن ليس معنى هذا أن الله سبحانه لم يخص محمداً وعلياً بقوى ذاتية تميزها عن جميع الناس، وترتفع بهما إلى ما فوق الإنسان، ودون الخالق بما هو خالق. وأي محذور أن يخص الله واحداً أو اثنين من عباده بقوى وغرائز دون الكائنات جميعاً؟.. بل ان العقل ليدرك هذه القوى الخاصة الذاتية بمحمد وعلي دون سواهما بعد أن شاهد من أفعالهما وآثارهما ما لم يكن ولن يكون من غيرهما على الإطلاق.



ألف حكمة
للإمام علي عليه السلام

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

ترجمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

أول أئمة المسلمين وخليفة الله في العالمين بعد خاتم النبيين وسيد المرسلين، ابن عمه محمد رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام ابن عبد المطلب بن هاشم وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، ولد في الكعبة المشرفة يوم ١٣ رجب ولم يولد فيها قبله ولا بعده أحد سواه، وهذه فضيلة خصّه الله بها إجلالاً لمحله ومنزلته وإعلاءً لقدره وتربى في حجر النبي صلى الله عليه وآله ونشأ في بيته وتأدب بأدابه وتخلّق بأخلاقه وكان لا يفارقه لا ليلاً ولا نهاراً، فكان النبي صلى الله عليه وآله يحمله صغيراً ويطوف به جبال مكة وشعابها وأوديتها. ولما بعث النبي صلى الله عليه وآله بالنبوة كان أول من آمن به وصدقه وجاهد دونه الكافرين وقدم نفسه فداءً له ليلة الهجرة إذ نام بمكان النبي صلى الله عليه وآله واقياً له بروحه. ولقد خدم النبي صلى الله عليه وآله والإسلام خدمة لم يقم غيره بمثلها، شهد حروب النبي صلى الله عليه وآله وغزواته وأبلى في نصرته ونصرة الدين بلاءً حسناً حتى قوي الإسلام واشتد فكان النبي صلى الله عليه وآله يحبه حباً شديداً حتى زوجّه ابنته العزيزة (سيدة نساء العالمين) فاطمة الزهراء عليها السلام.

ولم يزل في خدمته حتى توفي صلى الله عليه وآله ولم يفتر عن نصرته الدين بعده، فقد كان باذلاً نصيحته للإسلام مستشاراً في جميع الأعمال

حتى إذا أفضت الخلافة إليه نكثت طائفة وبغت أخرى ومرق آخرون فحصل من جرّاء ذلك حرب الجمل وصفين والنهروان، وبقي في الخلافة خمس سنين.

وقد ضربه عبد الرحمن بن ملجم بالسيف على رأسه وهو يصلي في محرابه في جامع الكوفة ليلة ١٩ من رمضان، وتوفي ليلة ٢١ من شهر رمضان، سنة أربعين من الهجرة وعمره ثلاثة وستين سنة كعمر أخيه النبي ﷺ ودفن في النجف حمله إليه الحسنان وبقية أولاده وخاصته، وقبره اليوم معروف يقصده ملايين من الناس في السنة.

صفاته وأخلاقه:

امتاز ﷺ بالصفات الفاضلة التي لم يمتاز أحد بها وهي:

١ - الإيمان: هو أول من آمن بالله وصدق رسوله لم يشرك بالله طرفة عين ولم يسجد لصنم.

٢ - العلم: كان أعلم الناس بعد رسول الله وكان الصحابة يرجعون إليه في كثير من المسائل، وقد شهد له النبي ﷺ بالعلم بقوله: «أقضاكم عليّ». وقول النبي ﷺ: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها».

٣ - الزهد: كان أزهد الناس، قوته خبز الشعير، ولباسه الخام الغليظ، وحمائل سيفه ليف. وكانت الأموال تجبى له من الأقطار، ومات ولم يخلف شيئاً.

٤ - العبادة: لا خلاف أنه كان أعبد الناس، ومنه تعلم الناس، صلاة الليل والأدعية والمناجاة.

٥ - الشجاعة: أما شجاعته فلا تحتاج إلى دليل فإنه أشجع

الخلق ومواقفه في الحروب تغني عن شرح شجاعته.

٦ - **الجهاد:** هو سيد المجاهدين شهد غزوات النبي ﷺ كلها إلا غزوة تبوك فإن النبي خلفه نائباً عنه في المدينة وقال له: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» وأبلا فيها بلاءً حسناً.

٧ - **العدالة:** كان أعدل الناس لا يفرق بين رئيس ومرؤوس في الحق، وهو الذي ساوى بين الناس في العطاء وأخذ كأحدهم.

٨ - **الفصاحة:** هو إمام الفصحاء وسيّد البلغاء ويكفي دلالة على فصاحته كتاب نهج البلاغة.

٩ - **الكرم:** كان أسخى الناس يصوم ويطوي ويؤثر بزاده وفيه نزلت: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٨) إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نَزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا.

١٠ - **حسن الخلق:** كان لين الجانب شديد التواضع طليق المحيا كثير التبسم.

١١ - **الحلم:** كان أحلم الناس كثير الصفح، ظفر بعدوه مروان بن الحكم يوم الجمل فصفح عنه، ومنعه معاوية وأهل الشام الماء فلما ملكه أباحه لهم.

ألف حكمة

لأمير المؤمنين وسيد البلغاء والمتكلمين الإمام علي بن أبي

طالب عليه السلام

كان عليه السلام كثيراً ما يقول إذا فرغ من صلاة الليل:

أشهد أن السماوات والأرض وما بينهما آيات تدلّ عليك وشواهد تشهد بما إليه دعوات كل من يؤدي عنك الحجّة ويشهد لك بالربوبية موسوم بآثار نعمتك ومعالم تدبيرك علوت بها عن خلقك، فأوصلت إلى القلوب من معرفتك ما أنسها من وحشة الفكر وكفاها رجم الاحتجاج فهي مع معرفتها بك وولها إليك شاهدة بأنك لا تأخذك الأوهام ولا تدركك العقول ولا الأبصار. وأعوذ بك أن أشير بقلب أو لسان أو يد إلى غيرك لا إله إلا أنت واحداً واحداً فرداً صمداً ونحن لك مسلمون.



إلهي كفاني فخراً أن تكون لي ربّاً، وكفاني عزّاً أن أكون لك عبداً. أنت كما أريد فاجعني كما تريد.



ما خاب امرؤ عدل في حكمه، وأطعم من قوته، وذخر من دنياه لآخرفته.



أفضل على من شئت تكن أميره واستغن عن شئت تكن

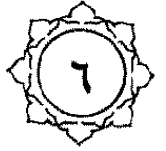


نظيره واحتج إلى من شئت تكن أسيره .

لولا ضعف اليقين ما كان لنا أن نشكو محنة يسيرة نرجو في
العاجل سرعة زوالها وفي الآجل عظيم ثوابها بين أضعاف
نعم لو اجتمع أهل السماوات والأرض على إحصائها ما
وفوا به فضلاً عن القيام بشكرها .



من علامات المأمون على دين الله بعد الإقرار والعمل
الحزم في أمره والصدق في قوله والعدل في حكمه
والشفقة على رعيته لا تخرجه القدرة إلى خرق ولا اللين
إلى ضعف ولا تمنعه العزة من كرم عفة ولا بدعوة العفو
إلى إضاعة حق ولا يدخله إلا عطاء في سرف ولا
يتخطى به القصد إلى بخل ولا تأخذه نعمة الله ببطر .



الفسق نجاسة في الهمة وكلب في الطبيعة .



قلوب الجهّال تستفزها الأطماع وترتهن بالأمانى وتتعلق
بالخدائع وكثرة الصمت زمام اللسان وحسم الفطنة
وإماطة خاطر وعذاب الحس .



عداوة الضعفاء للأقوياء والسفهاء للحكماء والأشرار
للأخيار لا يستطيع تغييره .



العقل في القلب والرحمة في الكبد والتنفس في الرئة .



إذا أراد الله بعبد خيراً حال بينه وبين شهوته وحجز بينه
وبين قلبه، وإذا أراد شراً وكله إلى نفسه .



الصبر مطية لا تكبو، والقناعة سيف لا ينبو .



رحم الله عبداً اتقى ربه وناصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته فإن أجله مستور عنه وأمله خادع له والشيطان موكل به .



مرّ بمقبرة فقال: السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع نزوركم عمّا قليل ونلحق بكم بعد زمان قصير. اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم، الحمد لله الذي جعل الأرض كفانا أحياء وأمواتاً والحمد لله الذي منها خلقنا وعليها ممشانا وفيها معاشنا وإليها يعيدنا طوبى لمن ذكر المعاد وقنع بالكفاف وأعد للحساب.



إنكم مخلوقون اقتداراً ومربوبون اقتساراً ومضمنون أجدائاً وكائنون رفاتاً ومبعثون أفراداً ومدينون حساباً فرحم الله امرءاً اقترف فاعترف ووجل فعقل، وحاذر فبادر وعمر فاعتبر وحذر فازدجر وأجاب فأجاب وراجع فتاب واقتدى فاهتدى وتأهب للمعاد واستظهر بالزاد ليوم رحيله ووجه سبيله ولحال حاجته وموطن فاقتته فقدم أمامه لدار مقامه فمهدوا لأنفسكم على سلامة الأبدان وفسحة الأعمار فهل ينتظر أهل غضارة الشباب إلا حواني الهرم وأهل بضاضة الصحة إلا نوازل السقم وأهل مدة البقاء إلا مفاجأة الفناء واقتراب الفوت ومشاركة الانتقال واشفاء الزوال وحفز الأنين ورشح الجبين وامتداد العرنين وعلز القلق وقيظ الرمق وشدة المضض وغصص الجرض.



١٦ ثلاث منجيات: خشية الله في السرّ والعلانية، والقصد في الفقر والغنى، والعدل في الغضب والرضى.

١٧ إيّاكم والفحش فإنّ الله لا يحبّ الفحش وإيّاكم والشح فإنّه أهلك من كان قبلكم هو الذي سفك دماء الرجال وهو الذي قطع أرحامها فاجتنبوه.

١٨ إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلاّ من ثلاث: صدقه جارية وعلم كان علمه للناس فانتفعوا به وولد صالح يدعو له.

١٩ إذا فعلت كل شيء فكن كمن لم يفعل شيئاً.

٢٠ سأله رجل: (بماذا أسوء عدوّي؟) فقال: بأن تكون على غاية الفضائل لأنّه إن كان يسؤوه أن يكون لك فرس فاره أو كلب صيود فهو لأنّ تذكر بالجميل وينسب إليه أشدّ مساءة.

٢١ إذا قذفت بشيء فلا فلا تتهاون به وإن كان كذباً، بل تحرز منه طرق القذف جهداً، فإن القول وإن لم يثبت يوجب ريبة وشكاً.

٢٢ عدم الأدب سبب كل شرّ.

٢٣ الجهل بالفضائل عدل الموت.

٢٤ ما أصعب على من استعبدته الشهوات أن يكون فاضلاً.

من لم يقبر جسده كان جسده قبراً لنفسه.



أحمد من يغلظ عليك ويعظك لا من يزكيك ويتملقك.



اختر أن تكون مغلوباً وأنت منصف، ولا تختار أن تكون غالباً وأنت ظالم.



لا تهضم من محاسنك بالفخر والتكبر.



لا تنفك الدنية عن شرّ حتى يجتمع مع قوة السلطان قوة دينه وقوة حكمته.



إذا أردت أن نحمد فلا يظهر لك حرص على الحمد.



من كثر همّه سقم بدنه، ومن ساء خلقه عذب نفسه، ومن لاحى الرجال سقطت مروءته وذهبت كرامته، وأفضل إيمان العبد أن يعلم أن الله معه حيث كان.



كن ورعاً تكن من أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن من أغنى الناس، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً، ولا تكثرن الضحك فإن كثرت تميت القلب، واحرس لسانك واجلس في بيتك وابك على خطيئتك.



إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر ولا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعمّا عمل فيما علم.



٣٤ في التجارب علم مستأنف والاعتبار يفيدك الرشاد وكفاك
أدباً لنفسك ما كرهته من غيرك وعليك لأخيك مثل الذي
عليه لك .

٣٥ الغضب يثير كامن الحقد ومن عرف الأيام لم يغفل
الاستعداد ومن أمسك عن الفضول عدلت رأيه العقول .

٣٦ اسكت واستر تسلم .

٣٧ وما أحسن العلم يزينه العمل ، وما أحسن العمل يزينه
الرفق .

٣٨ أكبر الفخر أن لا تفخر .

٣٩ ما أصعب اكتساب الفضائل وأيسر إتلافها .

٤٠ لا تنازع جاهلاً ولا تشايح مائقاً ولا تعاون مسلطاً .

٤١ الموت راحة للشيخ الفاني من العمل وللشباب المسقام من
السقم وللغلام الناشئ من استقبال الكد والجمع لغيره
ولمن ركب الدين لغرمائه وللمطلوب الوتر وهو في جملة
الأمر أمنية كل ملهوف مجهود .

٤٢ ما كنت كاتمه عدوك من سر فلا تطلعن عليه صديقك
واعرف قدرك تستغل أمرك وكفى ما مضى مخبراً عما
بقي .

٤٣ لا تعدن عدة تحقرها قلة الثقة بنفسك ولا يغرنك المرتقى

السهل إذا كان المنحدر وعرّاً.

٤٤ اتق العواقب عالماً بأن للأعمال جزاء وأجرّاً واحذر تبعات الأمور بتقديم الحزم فيها.

٤٥ من استرشد غير العقل أخطأ منهاج الرأي ومن أخطأته وجوه المطالب خذلته الحيل ومن أخلّ بالصبر أخلّ به حسن العاقبة فإنّ الصبر قوة من قوى العقل وبقدر مواد العقل وقوتها يقوى الصبر.

٤٦ الخطأ في إعطائه من لا ينبغي ومنع من لا ينبغي واحد.

٤٧ العشق مرض ليس فيه أجلا ولا عوض.

٤٨ أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب، وقائل كلمة الزور، ومن يمد بحملها في الإثم سواء.

٤٩ الخصومة تمحق الدين.

٥٠ الجهاد ثلاثة: جهاد باليد وجهاد باللسان وجهاد بالقلب فأول ما يغلب عليه من الجهاد يدك ثم لسانك ثم يصير إلى القلب فإن كان لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً نكس فجعل أعلاه أسفله.

٥١ ما أنعم الله على عبد نعمة فشكرها بقلبه إلا استوجب المزيد عليها قبل ظهورها على لسانه.

٥٢ الحاجة مسألة والدعاء زيادة والحمد شكر والندم توبة.

٥٣ ولن واحلم تنبل ولا تكن معجباً فتمقت وتمتهن .

٥٤ مالي أرى الناس إذا قرب إليهم الطعام ليلاً تكلفوا إنارة المصابيح ليبصروا ما يدخلون بطونهم ولا يهتمون بغداء النفس بأن ينيروا مصابيح ألبابهم بالعلم ليسلموا من لواحق الجهالة والذنوب في اعتقاداتهم وأعمالهم .

٥٥ الفقر هو أصل حسن سياسة الناس وذلك أنه كان من حسن السياسة أن يكون بعض الناس يسوس وبعضهم يساس وكان من يساس لا يستقيم أن يساس من غير أن يكون فقيراً محتاجاً فقد تبين أن الفقر هو السبب الذي به يقوم حسن السياسة .

٥٦ لا تتكلم بين يدي أحد من الناس دون أن تسمع كلامه وتقيس ما في نفسك من العلم إلى ما في نفسه، فإن وجدت ما في نفسه أكثر فحينئذٍ ينبغي لك أن تروم زيادة الشيء الذي به يفضل على ما عندك .

٥٧ إذا كان اللسان آلة لترجمة ما يخطر في النفس فليس ينبغي أن تستعمله فيما لم يخطر فيها .

٥٨ إذا كان الآباء هم السبب في الحياة فمعلموا الحكمة والدين هم السبب في جودتها .

٥٩ (شكى إليه رجل تعذر عليه الرزق فقال له): لا تجاهد الرزق جهاد المغالب ولا تتكل على القدر اتكال المستسلم فإن ابتغاء الفضل من السنة والإجمال في الطلب من العفة وليست العفة رافعة رزقاً ولا الحرص حالباً فضلاً لأن الرزق مقسوم وفي شدة الحرص اكتساب المآثم .

إذا استغنيت عن شيء فدعه وخذ ما أنت محتاج إليه.



العمر أقصر من أن تعلم كل ما يحسن بك علمه فتعلم الأهم فالمهم.



من رضي بما قسم له استراح قلبه وبدنه.



أبعد ما يكون العبد من الله إذا كان همّه بطنه وفرجه.



ليس في الحواس الظاهرة شيء أشرف من العين فلا تعطوها سؤلها فتشغلكم عن ذكر الله.



ارحموا ضعفاءكم فالرحمة لهم سبب رحمة الله لكم.



إزالة الجبال أسهل من إزالة دولة قد أقبلت فاستعينوا بالله واصبروا فإن الأرض لله يورثها من يشاء.



(قال له عثمان في كلام تلاحيا فيه حتى جرى ذكر أبي بكر وعمر: أبو بكر وعمر خير منك فقال) أنا خير منك ومنهما عبت الله قبلهما وعبدته بعدهما.



أوثق سلم يتسلق عليه إلى الله تعالى أن يكون خيراً.



من كان يساره باقياً عنده زماناً يسيراً وكان يمكن أن يغتصبه غيره منه ولا يبقى بعد موته له لكن اليسار على الحقيقة هو الباقي دائماً عند مالكة ولا يمكن أن يؤخذ منه ويبقى له بعد موته وذلك هو الحكمة.





الشرف اعتقاد المنن في أعناق الرجال.



يضرب الناس أنفسهم في ثلاثة أشياء: الإفراط في الأكل
اتكالا على الصحة، وتكلف حمل ما لا يطاق اتكالا على
القوة، والتفريط في العمل اتكالا على القدر.



أحزم الناس من ملك جده هزله وقهر رأيه هواه وأعرب
عن ضميره فعله ولم يخذعه رضاء عن حظه ولا غضبه
عن كيده.



من لم يصلح خلائقه لم ينفع الناس تأديبه.



من اتبع هواه ضلّ ومن جاد ساد، وخمود الذكر من ذميم
الفكر.



لهب الشوق أخف محملاً من مقاساة الملالة.



بالرفق تنال الحاجة.



بحسن التآني تسهل المطالب.



بعزيمة الصبر تطفىء نار الهوى.



بنفي العجب يؤمن كيد الحساد.



ما شيء أحق بطول سجن من لسان.

لا نذر في معصية ولا يمين في قطيعة.



لكل شيء ثمرة وثمره المعروف تعجيل السراح.



إياكم والكسل فإنه من كسل لم يؤد الله حقاً.



احسبوا كلامكم من أعمالكم وأقلوه إلا في الخير.



احسنوا صحبة النعم فإنها تزول وتشهد على صاحبها فيما عمل فيها.



أكثرُوا ذكر الموت يوم خروجكم من قبوركم ويوم وقوفكم بين يدي الله عزّ وجلّ يهن عليكم المصاب.



يحسب مجاهدة النفوس وردّها عن شهواتها ومنعها عن مصافحة لذاتها ومنع ما أدّت إليه العيون الطامحة من لحظاتها المثوبات والعقوبات والحازم من ملك هواه فكان بملكه له قاهراً ولما قدحت الأفكار من سوء الظنون زاجراً فمتى لم ترد النفس عن ذلك هجم عليها الفكر بمطالبة ما شغفت به، فعند ذلك تأنس بالآراء الفاسدة والأطماع الكاذبة والأمانى المتلاشية وكما أن البصر إذا عتل رأى أشباحاً وخيالات لا حقيقة لها كذلك النفس إذا اعتلت بحب الشهوات وانطوت على قبيح الإرادات رأت الآراء الكاذبة فيألى الله سبحانه نرغب في إصلاح ما فسد من قلوبنا وبه نستعين على إرشاد نفوسنا



فإن القلوب بيده يصرفها كيف يشاء.

لا تواخين الفاجر فإنه يزين لك فعله ويودّ لو أنك مثله
يحسن لك أقبح خصاله، ومدخله ومخرجه من عندك
شين وعار ونقص. ولا الأحق فإنه يجهد لك نفسه ولا
ينفعك وربما أراد أن ينفعك فضرّك، سكونه خير لك من
نطقه وبعده خير لك من قربه وموته خير لك من حياته.
ولا الكذاب فإنه لا ينفعك معه شيء ينقل حديثك وينقل
الحديث إليك حتى إنه ليحدث بالصدق فلا يصدق.



ما استقصى كريم قط. قال تعالى في وصف نبيّه: ﴿عَرَفَ
بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾.



إذا لم ترزق غنى فلا تحرم من تقوى.



ربّ كلمة يخترعها حلیم مخافة ما هو شرّ منها وكفى
بالحكم ناصراً.



من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلباً ولا عن النار
مهرباً من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف
الحق فاتّبعه وعرف الباطل فاتّقاء وعرف الدنيا فرفضها
وعرف الآخرة فطلبها.



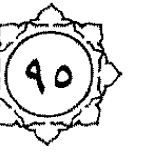
من استحيا من الناس ولم يستحي من نفسه فليس لنفسه
عند نفسه قدر.



غاية الأدب أن يستحي الإنسان من نفسه.



البلاغة النصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة ومن



النصر بالحجة أن يدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذا
كان الإفصاح أوعر طريقة وكانت الكناية أبلغ في الدرك
وأحق بالظفر.



إيّاك لرأيك والشهوات وليكن مما تستعين به كفها علمك
بأنها ملهية لعقلك مهجنة آخرتك شائنة لغرضك شاغلة
لك عن معازم أمورك مشتدة بها التبعة عليك في
آخرتك. إنّما الشهوات لعب فإذا حضر اللعب غاب الجد
ولن يقام الدين وتصلح الدنيا إلا بالجد فإذا نازعتك
نفسك إلى اللهو واللذات فاعلم أنها قد نزعت بك إلى
شرّ منزع وأرادت بك أفضح الفضح فغالبتها مغالبة ذلك
وامتنع منها امتناع ذلك وليكن مرجعك منها إلى الحق
فإنّك مهما ترك من الحق لا تتركه إلا إلى الباطل ومهما
تدع من الصواب لا تدعه إلا إلى الخطأ، فلا تدهنن
هواك في اليسير فيطمع منك في الكثير وليس شيء مما
أوتيت فاضلاً عما يصلحك وليس لعمرك وإن طال فضل
عما ينوبك من الحق اللازم لك ولا بمالك وإن كثر فضل
عما يجب عليك فيه ولا بقوتك وإن تمت فضل أداء حق
الله عليك ولا برأيك وإن حزم فسل عما لا تعذر بالخطأ
فيه فليمنعك علمك بذلك من أن تبطل لك عمراً في غير
أنفع وتضيع لك مالاً في غير حق أو أن تصرف لك قوة
غير عبادة أو تعدل لك رأياً في غير رشد فالحفظ الحفظ
لما أوتيت، فإنّ بك إلى صغير ما أوتيت والكبير منه أشد
الحاجة وعليك بما أضعته منه أشد الرزية ولا سيما العمر
الذي كل منفذ سواه مستخلف وكل ذاهب بعده مرتجع
فإن كنت شاغلاً نفسك بلذة فلتكن لذتك في محادثة

العلماء ودرس كتبهم، فإنه ليس سرورك بالشهوات بالغاً منك مبلغاً إلاّ واكبابك على ذلك ونظرك فيه بالغة منك غير أن ذلك يجمع إلى عاجل السرور تمام السعادة وخلاف ذلك يجمع إلى عاجل الغي وخامة العاقبة. وقدیماً قيل أسعد الناس أدركهم لهواه إذا كان هواه في رشده فإذا كان هواه في غير رشده فقد شقي بما أدرك منه وقدیماً قيل عود نفسك الجميل فباعتيادك إياه يعود لذيذاً.



وكل ثلاث: بثلاث الرزق بالحمق، والحرمان بالعقل، والبلاء بالمنطق. ليعلم ابن آدم أن ليس له من الأمر شيء.

ثلاثة إن لم تظلمهم ظلموك: عبدك وزوجتك وابنك.



للمنافقين علامات يعرفون بها، تحييتهم لعنة وطعامهم تهمة وغنيمتهم غلول، لا يعرفون المساجد إلاّ هجراً ولا يأتون الصلاة إلاّ دبراً، مستكبرون لا يألون خشب بالليل صحب بالنهار.



الحسد حزن لازم وعقل هائم ونفس دائم، والنعمة على المحسود نعمة وهي على الحاسد نقمة.

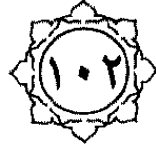


يا حملة العلم أتحملونه فإنما العلم لمن علم، ثم عمل بما علم ووافق عمله علمه وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم تخالف سريرتهم علانيتهم ويخالف عملهم علمهم يقعدون حلقةً فيباهي بعضهم بعضاً حتى أن الرجل ليغصب على جلسه أن يجلس إلى غير أولئك لا



تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله سبحانه .

تعلموا العلم صغاراً تسودوا به كباراً تعلموا العلم ولو
لغير الله فإنه سيصير .



ليس شيء أحسن من عقل زانه علم، ومن علم زانه
صدق ومن صدق، زانه رفق، ومن رفق زانه تقوى .



إن ملاك العقل ومكارم الأخلاق صون العرض والجزاء
بالفرض والأخذ بالفضل والوفاء بالعهد والإنجاز للوعد،
ومن حاول أمراً بالمعصية كان أقرب إلى ما يخاف وأبعد
مما يرجو .



إذا جرت المقادير بالمكاره سبقت الآفة إلى العقل فحيرته
وانطلقت الألسن بما فيه تلف الأنفس .



لا تصحبوا الأشراف فإنهم يمنون عليكم بالسلامة منهم .



لا تقسروا أولادكم على آدابكم فإنهم مخلوقون لزمان غير
زمانكم .



لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده فإن الناس لا
يسألون فيم فرغ من العمل إنما يسألون عن جودة صنعته .



ليس كل ذي عين يبصر ولا كل ذي أذن يسمع فتصدقوا
على ذوي العقول الزمنة والأسباب الحائرة بالعلوم التي
هي أفضل صدقاتكم ثم تلا ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ
الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ
يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴾ ﴿١٥٩﴾ .



من أتت عليه الأربعون من السنين قيل له خذ حذرک من



حلول المقدور فإنك غير معذور وليس أبناء الأربعين
بأحقّ بالعدر من أبناء العشرين فإنّ طالبتهما واحد وليس
عن المطلب براقد وهو الموت، فاعمل لما أمامك من
الهول ودع عنك زخرف القول.

سئل عن القدر فقال: أقصر أم أطيل؟ قيل: بل تقصر
فقال: جلّ الله أن يريد الفحشاء وعزّ أن يكون في ملكه
ما لا يشاء.

من علم أنه يفارق الأحباب ويسكن التراب ويواجه
الحساب ويستغني عمّا ترك ويفتقر إلى ما قدم كان حرياً
بقصر الأمل وطول العمل.

المؤمن لا تختله كثرة المصائب وتواتر النوائب عن
التسليم لربه والرضا بقضائه كالحمامة التي تؤخذ فراخها
من وكرها ثم تعود إليه.

ما مات من أحياء علماء ولا افتقر من ملك فهماً.

العلم صبغ النفس وليس بفوق صبغ الشيء حتى ينظف
من كل دنس.

اعلم الذي مدحك بما ليس فيك إنّما هو مخاطب غيرك
وثوابه وجوابه قد سطا عنك.

إحسانك إلى الحرّ يحركه على المكافأة وإحسانك إلى
النذل يبعثه على معاودة المسألة.

الأشرار يتبعون مساويء الناس ويتركون محاسنهم كما
يتبع الذباب المواضع الفاسدة.

موت الرؤساء أسهل من رياسة السفلى .



ينبغي لمن ولى أمر قوم أن يبدأ بتقويم نفسه قبل أن يشرع في تقويم رعيته وإلا كان بمنزلة من رام استقامة ظل العود قبل أن يستقيم ذلك العود .



إذا قوي الوالي في عمله حركته ولايته على حسب ما هو مركز في طبعه من الخير والشر .



ينبغي للوالي أن يعمل بخصال ثلاث: تأخير العقوبة منه في سلطان الغضب والأناة فيما يرتأيه من رأي وتعجيل مكافأة المحسن بالإحسان فإن في تأخير العقوبة إمكان العفو وفي تعجيل المكافأة بالإحسان، طاعة الرعية وفي الأناة انفساح الرأي وحمد العاقبة ووضوح الصواب .



من حق العالم على المتعلم أن لا يكتر عليه السؤال ولا يعنته في الجواب ولا يلح عليه إذا كسل ولا يفشي له شراً ولا يفتاب عنده أحداً ولا يطلب عشرته فإذا زلّ تأنيت أوبته وقبلت معذرتة وأن تعظمه وتوفره ما حفظ أمر الله وعظمه وأن لا تجلس أمامه وإن كانت له حاجة سبقت غيرك إلى خدمته فيها ولا تضجرن من صحبته فإنما هو بمنزلة النخلة ينتظر متى يسقط عليك منها منفعة وخصه بالتحية واحفظ شاهده وغائبه وليكن ذلك كله لله عزّ وجلّ فإنّ العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد في سبيل الله، وإذا مات العالم ثلم الإسلام ثلثة لا يسدها إلا خلف عنه، وطالب العلم تشيعه الملائكة حتى يرجع .



وصول معدم خير من جاف مكثر .



من أراد أن ينظر ما له عند الله فلينظر ما لله عنده.



لقد سبق إلى جنات عدن أقوام ما كانوا أكثر الناس صلاة ولا صياماً ولا حجاً ولا اعتماراً ولكن عقلوا عن الله أمره فحسنت طاعتهم وصحَّ ورعهم وكمل يقينهم ففاقوا غيرهم بالخطوة ورفيع المنزلة.



ما من عبد إلا ومعه ملك يقيه ما لم يقدر له فإذا جاء القدر خلاه وإيَّاه.



إنَّ الله سبحانه وتعالى أدب نبيّه ﷺ بقوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ فلما علم أنه قد تأدب قال له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ فلما استحکم له من رسوله ما أحبَّ قال: ﴿وَمَا ءَأَنتُمْ أَلرَّسُولُ فَاخْذُوهُ وَمَا نَهَكُمُ عَنْهُ فَأَنهَوْا﴾.



كنت أنا والعباس وعمر نتذاكر المعروف فقلت أنا: خير المعروف ستره وقال العباس: خيره تصغيره وقال عمر: خيره تعجيله فخرج علينا رسول الله ﷺ له فقال: فيم أنتم فذكرنا له فقال: «خيره أن يكون هذا كله فيه».



العفو يفسد من اللئيم بقدر ما يصلح من الكريم.



إذا خبث الزمان كسدت الفضائل وضرت ونفقت الرذائل ونفعت وكان خوف الموسر أشد من خوف المعسر.



انظر إلى المتنصح إليك فإن دخل من حيث يضار الناس فلا تقبل نصيحته وتحرز منه وإن دخل من حيث العدل والصلاح فاقبلها منه.



أعداء الرجل قد يكونون أنفع من إخوانه لأنهم يهدون إليه عيوبه فيحتجبها ويخاف شماتتهم فيضبط نعمته ويتحرز من زوالها بغاية طوقه.

١٣٣

المرأة التي ينظر الإنسان فيها أخلاقه هي الناس لأنه يرى محاسنه من أوليائه منهم ومساوئه من أعدائه فيهم.

١٣٤

انظر وجهك كل وقت في المرأة فإن كان حسناً، فاستقبح أن تضيف إليه فعلاً قبيحاً وتشينه به. وإن كان قبيحاً، فاستقبح أن تجمع بين قبيحين.

١٣٥

موقع الصواب من الجهال مثل موقع الخطأ من العلماء.

١٣٦

ذك قلبك بالأدب كما تذكي النار بالحطب.

١٣٧

كفر النعمة لؤم وصحبة الجاهل شؤم.

١٣٨

عاديت من ماريت (أي من مدحته بالباطل).

١٣٩

لا تصرم أخاك على ارتياب ولا تقطعه دون استعتاب.

١٤٠

خير المقال ما صدقه الفعال.


١٤١


من عرف الدنيا لم يحزن للبلوى.


١٤٢


دع الكذب تكراً إن لم تدعه تأثماً.

١٤٣


الدنيا جمة المصائب مرة المشارب لا تمتع صاحباً بصاحب. 


الدنيا طواحة، مراحة، فضاحة، أسية جراحة. 


المعتذر من غير ذنب يوجب على نفسه الذنب. 


من كسل لم يؤد حقاً. 


كثرة الجدال تورث الشك. 

خير القلوب أوعاها. 

الحياة لباس سابغ وحجاب مانع وستر من المساوىء واق وحليف للدين وموجب للمحبة وعين كالثة تذود عن الفساد وتنهى عن الفحشاء، والعجلة في الأمور مكسبة للمذلة وزمام للندامة وسلب للمروءة وشين للحجى ودليل على ضعف العقيدة. 

إذا بلغ المرء من الدنيا فوق قدره تنكرت للناس أخلاقه. 

لا تصحب الشرير فإن طبعك يسرق من طبعه شراً وأنت لا تعلم. 

موت الصالح راحتته لنفسه وموت الطالح راحة للناس. 

١٥٤

ينبغي للعاقل أن يتذكر عند حلاوة الغذاء مرارة الدواء.

١٥٥

إن حسدك أخ من إخوانك على فضيلة ظهرت منك فسعى مكروهك فلا تقابله بمثل ما كافحك به فيعذر نفسه في الإساءة إليك وتشرح له طريقاً إلى ما يحبه فيك لكن اجتهد في التزيد من تلك الفضيلة التي حسدك عليها فإنك تسوؤه من غير أن توجد حجة عليك.

١٥٦

إذا أردت أن تعرف طبع الرجل فاستشره فإنك تقف من مشورته على عدله وجوره وخيره وشره.

١٥٧

يجب عليك أن تشفق على ولدك من إشفائك عليه.

١٥٨

زمان الجائر من السلاطين والولاء أقصر من زمان العادل، لأن الجائر مفسد والعادل مصفح وإفساد الشيء أسرع من إصلاحه.

١٥٩

إذا خدمت رئيساً فلا تلبس مثل ثوبه ولا تركب مثل مركوبه ولا تستخدم كخدمه فعساك تسلم منه.

١٦٠

لا تحدث بالعلم السفهاء فيكذبونك ولا الجهال فيستثقلوك، ولكن حدث به من يلقاه من أهله بقبول وفهم يفهم عنك ما تقول ويكتفم عليك ما يسمع فإن لعلمك حقاً كما أن عليك في مالك حقاً بذله لمستحقه ومنعه من غير مستحقه.

١٦١

اليقين فوق الإيمان والصبر فوق اليقين ومن أفرط رجاؤه غلبت الأماني على قلبه واستعبدته.

١٦٢ إيّاك وصاحب السوء فإنّه كالسيف المسلول يروق منظره
ويقبح أثره.

١٦٣ يا بن آدم احذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير إلى
دار تتمنى الموت فيها فلا تجده.

١٦٤ من أخطأه سهم المنية قيده الهرم.

١٦٥ من سمع بفاحشة فأبداها كان كمن أتاها.

١٦٦ العاقل من اتّهم رأيه ولم يثق بما سولته له نفسه.

١٦٧ من سامح نفسه فيما يحب أتعبها فيما لا يحب.

١٦٨ كفى ما مضى مخبراً عما بقي وكفى عبراً لذوي الأبواب
ما جربوا.

١٦٩ أمر لا تدري متى يغشاك ما يمنعك أن تستعد قبل أن
يفجأك.

١٧٠ ليس في البرق الخاطف مستمتع لمن يخوض في الظلمة.

١٧١ إذا أعجبك ما يتواصفه الناس من محاسنك، فانظر فيما
بطن من مساوئك وليكن معرفتك بنفسك أوثق عندك من
مدح المادحين لك.

١٧٢ من مدحك بما ليس فيك بالجميل وهو راض عنك ذمك
بما ليس فيك من القبيح وهو ساخط عليك.

إذا تشبه صاحب الرياء بالمخلصين في الهيئة كان مثل
الوارم الذي يوهم الناس أنه سمين، فيظن الناس ذلك فيه
وهو يستر ما يلقي من الألم النابع للورم.



إذا قويت نفس الإنسان انقطع إلى الرأي وإذا ضعف
انقطع إلى البخت.



الرغبة إلى الكريم تحركه على الذل وإلى الخسيس تغريه
بالمنع.



خيار الناس يترفعون عن ذكر معائب الناس ويتهمون
المخبر بها ويأثرون الفضائل ويتعصبون لأهلها ويتعرضون
مآثر الرؤساء وأفضالهم عليهم ويطالبون أنفسهم بالمكافأة
عليها وحسن الرعاية لها.



لكل شيء قوت وأنتم قوت الهوام، ومن مشى على ظهر
الأرض فإن مصيره إلى بطنها.



من كرم المرء بكاؤه على ما مضى من زمانه، وحنينه إلى
أوطانه، وحفظه قديم إخوانه، ومن دعائه اللهم إن كنا
قصرنا عن بلوغ طاعتك فقد تمسكنا من طاعتك بأحبها
إليك لا إله إلا أنت جاءت بالحق من عندك.



أصاب الدنيا من أمنها وأصاب الدنيا من حذرها.



ووقف على قوم أصيبوا بمعصية فقال إن تجزعوا فحق
الرحم بلغتم وإن تصبروا فحق الله أديتم.



مكارم الأخلاق عشر خصال: السخاء والحياء والصدق
وأداء الأمانة والتواضع والغيرة والشجاعة والحلم والصبر
والشكر.



من أداء الأمانة المكافأة على الصنيعة لأنها كالوديعة عندك.



الخير في النفس تكون الحركة في الخير سهلة متيسرة والحركة في الإضرار عسرة بطيئة والشيرير بالضد من ذلك.



البخلاء من الناس يكون تغافلهم عن عظيم الجرم أسهل عليهم من المكافأة على يسير الإحسان.



مثل الإنسان الحصيف مثل الجسم الصلب الكثيف يسخن بطيئاً وتبرد تلك السخونة بأطول من ذلك الزمان.



ثلاثة يرحمون: عاقل يجري عليه حكم جاهل، وضعيف في يد ظالم قوي، وكريم قوم احتاج إلى لئيم.



من صحب السلطان وجب أن يكون معه كراكب البحر، إن سلم بجسمه من الغرق لم يسلم بقلبه من الفرق.



لا تقبلن في استعمال عمالك وأمرائك شفاعاة إلا شفاعاة الكفاية والأمانة.



إذا استشارك عدوك فجرد له النصيحة لأنه باستشارتك قد خرج من عداوتك ودخل في مودّتك.



العدل صورة واحدة والجور صور كثيرة، ولهذا سهل ارتكاب الجور وصعب تحري العدل. وهما يشبهان الإصابة في الرماية والخطأ فيها، فإن الإصابة تحتاج إلى ارتياض وتعهد الخطأ لا يحتاج إلى شيء من ذلك.



لا يخطيء المخلص في الدعاء إحدى ثلاث: ذنب يغفر أو خير يعجل أو شرّ يؤل.



لا ينتصف ثلاثة من ثلاثة: برّ من فاجر وعاقل من جاهل وكريم من لئيم.

١٩٢

أشرف الملوك من لم يخالطه البطر ولم يخل عن الحق، وأغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيراً، وخير الأصدقاء من لم يكن على إخوانه مستصعباً وخير الأخلاق أعونها على التقوى والورع.

١٩٣

أربع القليل منهن كثير: النار والعداوة والمرض والفقر.

١٩٤

أربعة من الشقاء: جار السوء وولد السوء وامرأة السوء والمنزل الضيق.

١٩٥

أربعة تدعو إلى الجنة: كتمان المصيبة وكتمان الصدقة وبرّ الوالدين والإكثار من قول لا إله إلا الله.

١٩٦

لا تصحب الجاهل فإنّ فيه خصالاً فاعرفوه بها: يغضب من غير غضب، ويتكلم في غير نفع، ويعطي في غير موضع الإعطاء، ولا يعرف صديقه من عدوّه، ويفشي سرّه إلى كل واحد.

١٩٧

إيّاك ومواقف الاعتذار قرب عذر أثبت الحجة على صاحبه وإن كان بريئاً.

١٩٨

الصراط مديدان يكثر فيه العثار، فالسالم ناج والعائر هالك.

١٩٩

لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلاّ أولو الفضل.

٢٠٠

إنّ لله عبادة في الأرض كأنمار أو أهل الجنة في جنتهم وأهل النار في نارهم: اليقين وأنواره لامعة على

٢٠١

وجوههم قلوبهم محزونة وشروهم مأمونة وأنفسهم عفيفة
 وحوائجهم خفيفة صبروا أياماً قليلة لراحة طويلة. أما
 الليل فصافون أقدامهم تجري دموعهم على خدودهم
 يجارون إلى الله سبحانه بأدعيتهم، قد حلا في أفواههم
 وحلا في قلوبهم طعم مناجاته ولذيذ الخلوة به قد أقسم
 الله على نفسه بجلال عزته ليورثنهم المقام الأعلى في
 مقعد صدق عنده. وأما نهارهم فحلمااء علماء بررة أتقياء
 كالقداح ينظر إليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من
 مرض، أو يقول قد خولطوا خبلاً ولعمري لقد خالطهم
 أمر جليل عظيم.

عاتبه عثمان فأكثر وهو ساكت فقال ما لك لا تقول قال:
 إن قلت لم أقل إلا ما تكره وليس لك عندي إلا ما
 تحب.



بليت في حرب الجمل بأشد الخلق شجاعة وأكثر الخلق
 ثروة وبذلاً وأعظم الخلق في الخلق طاعة وفي الخلق
 كيداً وتكبراً، بليت بالزبير لم يرد وجهه قط وبيعلى بن
 منية يحمل المال على الإبل الكثيرة ويعطي كل رجل
 ثلاثين ديناراً وفرساً على أن يقاتلني وبعائشة ما قالت قط
 بيدها هكذا إلا واتبعها الناس وبطلحة لا يدرك غوره ولا
 يطال مكره.

بعث عثمان بن حنيف إلى طلحة والزبير فعاد.

فقال أمير المؤمنين جئت بالخبيبة فقال:

كلا أصبحت خيراً وأجرت ثم قال: إن من العجب
 انقيادهما لأبي بكر وعمر وخلافهما عليّ أما والله أنهما



ليعلمان أنني لست بدون واحد منهما الهم عليك بهما .
الرزق مقسوم والأيام دول والناس شرع وقبائل آدم أبوهم
وحواء أمهم .



قوت الأجسام الغذاء وقوت العقول الحكمة فمتى فقد
واحد منهما قوته بار واضمحل .



الصبر على مشقة العباد يترقى بك إلى شرف الفوز
الأكبر .



الروح حياة البدن والعقل حياة الروح .



حقيق بالإنسان أن يخشى الله بالغيب ويحرس نفسه من
العيب ويزداد خيراً مع الشيب .



أفضل الولاة من بقى بالعدل ذكره واستمده من يأتي
بعده .



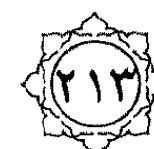
قدم العدل على البطش تظفر بالمحبة ولا تستمل الفعل
حيث ينجع القول .



البخيل يسخو من عرضه بمقدار ما يبخل به من ماله
والسخي يبخل من عرضه بمقدار ما يسخو من ماله .



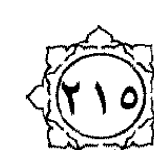
فضل العقل على الهوى لأنّ العقل يملكك الزمان
والهوى ، يستعبدك للزمان .



كلما حملت عليه الحر احتمله ورام زيادة في شرفه إلى
ما حطه جزاءً من حرّيته فإنه يأباه ولا يجيب إليه .



إذا منعك اللئيم البرّ مع إعظامه حقك كان أحسن من بذل
السخي لك إياه مع الاستخفاف بك .



الملك كالنهر العظيم تستمد منه الجداول، فإن كان عذباً
عذبت وإن كان مالحاً ملحت.



الفرق بين السخاء والتبذير أن السخي يسمح بما يعرف
مقداره ومقدار الرغبة فيه إليه ويضعه بحيث يحسن وضعه
وتزكو عارفته، والمبذر يسمح بما لا يوازن به رغبة
الراغب ولا حق القاصد ولا مقدار ما أولى ويستفزه
لذلك خطره من خطراته والتصدي لإطراء مطرية بينهما
بون بعيد.



لا تلاج الغضبان فإنك تقلقه باللجاج ولا ترده إلى
الصواب.



لا تفرح بسقطة غيرك فإنك لا تدري ما تتصرف الأيام
بك.



قليل العلم إذا وقر في القلب كالطل يصيب الأرض
المطمئنة فتعشب.



مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب
وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل
الريحانة ريحها طيب وطعمها مرّ، ومثل الفاجر الذي لا
يقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مرّ ولا ريح لها.



المؤمن إذا نظر اعتبر، وإذا سكت تفكر، وإذا تكلم ذكر،
وإذا استغنى شكر.



على لسان المؤمن نور يسطع، وعلى لسان المنافق
شيطان ينطق.



سوء الظن يدوي القلوب، ويتهم المأمون، ويوحش
المستأنس، ويغير مودة الإخوان.



إذا لم يكن في الدنيا محتاج فأغنى الناس أقنعهم بما رزق.



قيل له إن درعك صدر لا ظهر لها ألا تخاف أن تؤتى من ظهرك. فقال: إذا وليت فلا واءلت.



أشد الأشياء للإنسان لأن أشدهما فيما يرى الجبل، والحديد ينحت الجبل، والنار تأكل الحديد، والماء يطفىء النار، والسحاب يحمل الماء، والريح يفرق السحاب، والإنسان يتقي من الريح.



إنما الناس في نفس معدود وأجل محدود، فلا بد للأجل أن يتناهى وللنفس أن يحصى وللأمل أن ينقضي، ثم قرأ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَنِينًا﴾.



اللهم لا تجعل الدنيا سجنًا ولا فراقها عليّ حزنًا. أعوذ من دنيا تحرمني الآخرة، ومن أمل يحرمني العمل، ومن حياة تحرمني خير المهات.



تعطروا بالاستغفار لا تفضحككم رائحة الذنوب.



للنكبات غايات تنتهي إليها ودواؤها الصبر عليها، وترك الحيلة في إزالتها قبل انقضاء مدتها سبب لزيادتها.



لا يرضى عنك الحاسد حتى لا يرضى أحدكما.



لا يكون الرجل سيد قومه حتى لا يبالي أي ثوبه لبس.



اعمل بالحق ليوم لا يقضى فيه إلا بالحق.



نظر إلى رجل يغتاب آخر عند ابنه الحسن عليه السلام فقال :

يا بني نزه سمعك عنه فإنه نظر إلى أخبث ما في وعائه
فأفرغه في وعائك .



احذروا الكلام في مجالس الخوف، فإنّ الخوف يذهل
العقل الذي تستمد وتشغله بحراسة النفس عن حراسة
المذهب الذي تروم نصرته . واحذر الغضب ممن يحملك
عليه، فإنه مميت للخواطر مانع من التثبت . واحذر من
تبغضه فإنّ بغضك له يدعوك إلى الضجر به وقليل الغضب
كثير في أذى النفس والعقل، والضجر مضيق للصدر
مضعف لقوى العقل . واحذر المحافل التي لا إنصاف
لأهلها في التسوية بينك وبين خصمك في الإقبال
والاستماع ولا أدب لهم يمنعهم من جور الحكم لك
وعليك، واحذر حين تظهر العصبية لخصمك بالاعتراض
عليه وتشده قوله وحجته فإن ذلك يهيج العصبية
والاعتراض على هذا الوجه يخلق الكلام ويذهب بهجة
المعاني . واحذر كلام من لا يفهم عنك فإنه يضجرك .
واحذر استصغار الخصم فإنه يمنع من التحفظ، وربّ
صغير غلب كبيراً .

لا تقبل الرياسة على أهل مدينتك، فإنهم لا يستقيمون
لك إلاّ بما تخرج به من شرط الرئيس الفاضل .



لا تهزأ بخطأ غيرك فإنّ المنطق لا يملكه، واقلل من
الخطأ الذي أنت فيه بقدر الصبر، واجعل العقل والحق
أماميك تنل البغية بهما .



الرأي يريك غاية الأمر ومبدئه .



الخير من الناس من قدر أن يصرف نفسه كما يشاء
ويدفعها عن الشرور والشرير من لم يكن كذلك.

٢٤٠

السلطان الفاضل هو الذي يحرس الفاضل ويجود بها
لمن دونه ويرعاها من خاصته وعامته، حتى تكثر في
أيامه ويتحسن بها من لم تكن فيه.

٢٤١

للكريم رباطان أحدهما الرعاية لصديقه وذو الحرمة به،
والآخر الوفاء لمن ألزمه الفضل ما يجب له عليه.

٢٤٢

إذا تحركت صورة الشر ولم تظهر ولدت الفزع، فإذا
ظهرت ولدت الألم. وإذا تحركت صورة الخير ولدت
الفرح، فإذا ظهرت ولدت اللذة.

٢٤٣

الفرق بين الاقتصاد والبخل أن الاقتصاد تمسك الإنسان
بما في يده خوفاً على حرите وجاهه من المسألة فهو يضع
الشيء موضعه ويصبر عمّا لا تدعو ضرورة إليه ويصل
صغير بره بعظيم بشره، ولا يستكثر من المودات خوفاً
من فرط الإجحاف به. والبخيل لا يكافىء على ما يسدى
إليه ويمنع أيضاً اليسير على من استحق الكثير ويصبر
لصغير مما يجري عليه على كثير من الذلة.

٢٤٤

لا تحقرن صغيراً يمكن أن يكبر، ولا قليلاً يمكن أن
يكثر.

٢٤٥

ما زلت مظلوماً منذ قبض الله نبيه حتى يوم الناس هذا،
ولقد كنت أظلم قبل ظهور الإسلام ولقد كان أخي عقيل
يذنب أخي جعفر فيضربني.

٢٤٦

لو كسرت لي الوسادة لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم
وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم،

٢٤٧

حتى تظهر تلك القضايا إلى الله عزّ وجلّ وتقول يا ربّ
إنّ علياً قضى بين خلقك بقضائك.

مرّ بدار بالكوفة في مراد تبني فوقعت منها شظية على
صلعته فأدمتها فقال ما يومي من مراد بواحد اللهم لا
ترفعها. قالوا: فوالله لقد رأينا تلك الدار بين الدور
كالشاة الجماء بين الغنم ذات القرون.

اقتل الأشياء للعدوان لا تعرفه إنك اتّخذته عدوّاً.

الخيرة في ترك الطيرة.

قيل له في بعض الحروب: إن جالت الخيل أين تطلبك.
قال: حيث تركتموني.

شفيع المذنب إقراره، وتوبته اعتذاره.

قصر ظهري رجلان، جاهل متنسك وعالم متهتك.

ألا أخبركم بذات نفسي، أما الحسن ففتى من الفتيان
وصاحب جفنه وخوان ولو التقت حلقتا البطتان لم يفن
عنكم في الحرب عناء عصفور. وأما عبد الله بن جعفر
فصاحب لهو وظل. وأما أنا والحسين فنحن منكم وأنتم
منا.

قال في المنبرية صار ثمنها تسعاً على البديهة وهذا من
العجائب.

٢٥٦

جاء الأشعث إليه وهو على المنبر فجعل يتخطى رقاب الناس حتى قرب منه ثم قال: يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على قريك (يعني العجم)، فرفس المنبر برجله حتى قال صعصعة بن صوحان: ما لنا وللأشعث ليقولن أمير المؤمنين عليه السلام اليوم في العرب قولاً لا زال يذكر. فقال عليه السلام: من يغدر بي من هؤلاء الأباطرة يتمرغ أحدهم على فراشه تمرغ الحمار ويهجر قوماً للذكر أفتأمروني أن أطردهم، ما كنت لأطردهم فأكون من الجاهلين. أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليضربنكم على الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً.

٢٥٧

كان إذا رأى ابن ملجم يقول أريد حياته فيقال له فاقتله فيقول كيف اقتل قاتلي.

٢٥٨

إلهي ما قدر ذنوب أقابل بها كرمك وما قدر عبادة أقابل بها نعمك. وإنني لأرجو أن تستغرق ذنوبي في كرمك كما استغرقت أعمالي في نعمك.

٢٥٩

إذا غضب الكريم فالن له الكلام، وإذا غضب اللئيم فخذ له العصا.

٢٦٠


غضب العاقل في فعله وغضب الجاهل في قوله.


٢٦١


رأى رجلاً يحدث منكر الحديث، فقال: يا هذا انصف أذنك من فمك فإنما جعل الأذنان أذنتين والفم واحداً ليسمع أكثر مما يقول.


٢٦٢


إياك وكثرة الاعتذار فإنّ الكذب كثيراً ما يخالط المعاذير.


اشكر لمن أنعم عليك وانعم على من شكرك. 


حل مسألة الحمقى واحفظ حفظ الأكياس. 


مروا الأحداث بالمرء والجدال، والكهول بالفكر
والشيوخ بالصمت. 


عوّد نفسك الصبر على جليس سوء يكاد يخطئك. 


يا بني إنّ الشرّ تاركك إنّ تركته. 


لا تطلبوا الحاجة إلى ثلاثة: إلى الكذوب فإنه يقربها وإن
كانت بعيدة، ولا إلى أحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك،
ولا إلى رجل له إلى صاحب الحاجة حاجة فإنه يجعل
حاجتك وقاية لحاجته. 

إياك وصدر المجلس فإنه مجلس قلعة. 

احذروا صولة الكريم إذا جاع وصولة اللئيم إذا شبع. 

سرك دمك فلا تجرينه إلا في أوداجك. 

واسأل عن الفرق بين الغم والخوف فقال الخوف
مجاهدة. 

الخوف قبل وقوعه والغم ما يلحق الإنسان من وقوعه. 

المعروف كثر فانظر عند من تودعه .



إذا أرسلت لبعر فلا تأت بتمر فيؤكل تمرك وتعنف على خلافك .



إذا وقع في يدك يوم السرور فلا تخله، فإنك إذا وقعت في يد يوم الغم لم يخلك .



إذا أردت أن تصادق فانظر من عدوه .



الانقباض من الناس مكسبة للعداوة والانبساط مجلبة لقرين السوء، فكن بين المنقبض والمسترسل فإن خير الأمور أوسطها .



أنا عبد الله وأخو رسول الله لا يقولها بعدي إلا كذاب .



أخذ رسول الله ﷺ بيدي فهزها وقال: ما أول نعمة أنعم الله بها عليك، قلت: ان خلقني حياً وأقدرني وأكمل حواسي ومشاعري وقواي، قال: وماذا؟ قلت: ان جعلني ذكراً ولم يجعلني أنثى، قال: والثالثة؟ قلت: ان هداني للإسلام قال: والرابعة؟ قلت: وإن تعدو نعمة الله لا تحصوها .



اللهم إني أسألك إخبارات المخبتين وإخلاص الموقنين ومرافقة الأبرار والعزيمة في كل برّ والسلامة من كل إثم والفوز بالجنة والنجاة من النار .



لما ضربه ابن ملجم أوصى ابنه بما أوصاهم، قال لابن الحنفية: هل فهمت ما أوصيت به أخويك؟ قال: نعم فإنني أوصيك بمثله وبتوقير أخويك واتباع أمرهما وأن لا



تبرم أمراً دونهما، ثم قال لهما: أوصيكما به فإنه شقيقكما وابن أبيكما وقد علمتما أن أباكما كان يحبه فأحياه.

بلوغ أعلى المنازل من غير استحقاق من أكبر أسباب الهلكة.



الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان.



الكرم حسن الفطنة واللؤم سوء التغافل.



أسوأ الناس حالاً من اتسعت معرفته وبعدت همته وضائق قدرته.



أمران لا ينفكان من الكذب: كثرة المواعيد وشدة الاعتذار.



عادة النوكي الجلوس فوق القدر، والمجيء في غير الوقت.



العافية الملك الخفي.



سوء حمل الغنى يورث مقتاً، وسوء حمل الفاقة يضع شرفاً.



لا ينبغي لأحد أن يدع الجرم لظفر ناله عاجز ولا يسامح الأمر نفسه في التفريط لنكبة دخلت على حازم.



ليس من حسن التوكل أن يقال عشرة ثم يركبها ثانية.



سوء القالة في الإنسان إذا كان كذباً نظير الموت لفساد دنياه، فإن كان صدقاً فأشد من الموت لفساد آخرته.

٢٩٣

ترضى الكرام بالكلام وتصاد اللئام بالمال وتستصلح السفلة بالهوان.

٢٩٤

لا يزال المرء مستمراً ما لم يعثر فإذا عشر مرة لج به العثار ولو كان في جدد.

٢٩٥

المتواضع كالوهدة يجتمع فيها قطرها وقطر غيرها والمتكبر كالربوة لا يقر عليها قطرها وقطر غيرها.

٢٩٦

لا يصبر على الحرب، ويصدق في اللقاء إلا ثلاثة مستبصر في دين، أو غير أن على حرمة أو ممتعض من ذل.

٢٩٧

مجاوزتك ما يكفيك فقر منتهى له.

٢٩٨

قيل له أي الأمور أعجل عقوبة وأسرع لصاحبها صرعة فقال ظلم من لا ناصر له إلا الله ومجاراة النعم بالتقصير واستطالة الغني على الفقير.

٢٩٩

الجماع للمحن جماع وللخيرات متاع حياء يرتفع وعورات تجتمع أشبه شيء بالجنون ولذلك حجب عن العيون نتيجة ولد فتون إن عاش كد وإن مات هد.

٣٠٠

إذا رابك أمر فدعه.

٣٠١

ما شيء أهون من روع.

٣٠٢

٣٠٣ إذا أتى عليّ يوم لا ازداد فيه عملاً يقربني إلى الله فلا
بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم.

٣٠٤ أشرف الأشياء العلم، والله تعالى عالم يحب كل عالم.

٣٠٥ ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم بل أي شيء
فات من أدرك العلم.

٣٠٦ سمع رجلاً يدعو لصاحبه، فقال: لا أراك الله مكروهاً.
فقال: إنما دعوت له بالموت لأنّ من عاش في الدنيا لا
بدّ أن يرى المكروه.

٣٠٧ من صفة العاقل أن لا يتحدث بما استطاع تكذيبه فيه.

٣٠٨ السعيد من وعظ بغيره والشقي من اتّعظ به غيره.

٣٠٩ ذو الهمة وإن حط نفسه يأبى إلاّ علوّاً كالشعلة من النار
يخفيها صاحبها وتأبى إلاّ ارتفاعاً.

٣١٠ الدين غل الله في أرضه، إذا أراد الله أن يذل عبداً جعله
في عنقه.

٣١١ العاقل إذا تكلم بكلمة اتّبعها حكمة ومثلاً، والأحمق إذا
تكلم بكلمة اتّبعها حلفاً.

٣١٢ الحركة لقاح الجد العظيم.

٣١٣ ثلاثة لا يستحي من الختم عليها: المال لنفي التهمة،
والجوهر لنفاسته، والدواء للاحتياط من العدو.

٣١٤ إذا أيسرت فكل الرجال رجالك وإذا أعسرت نكرك
أهلك.

٣١٥ من الحكمة جعل المال في أيدي الجهال فإنه لو خص به
العقلاء لمات الجهال جوعاً، ولكنه جعل في أيدي
الجهال ثم استنزلهم عنه العقلاء بلطفهم وفطنتهم.

٣١٦ ما ردّ أحداً عن حاجة إلا وتبين العز في قفاه والذل في
وجهه.

٣١٧ ابتداء الصنعة نافلة وربها فريضة.

٣١٨ الحاسد المبطن للحسد كالتحل يمج الدواء ويبطن الداء.

٣١٩ الحاسد يرى زوال نعمتك نعمة عليه.

٣٢٠ التواضع إحدى مقاييد الشرف.

٣٢١ تواضع الرجل في مرتبته ذب للشماتة عنه عند سقطته.

٣٢٢ رب صلف أدى إلى تلف.

٣٢٣ سوء الخلق يعدي وذاك أنه يدعو صاحبك إلى أن يقابلك
بمثله.

٣٢٤ المروءة التامة مباينة العامة.

- ٣٢٥ أسوأ ما في الكريم أن يمنعك نداءه وأحسن ما في اللئيم أن يكف عنك أذاه.
- ٣٢٦ السفلة إذا تعلموا تكبروا، وإذا تمولوا استطالوا والعلية، وإذا تعلموا تواضعوا، وإذا افتقروا صالوا.
- ٣٢٧ ثلاثة لا يستطرح فسادهن بحيلة أصلاً: العداوة بين الأقارب وتحاسد الأكفاء وركاكة الملوك.
- ٣٢٨ السخي شجاع القلب والبخيل شجاع الوجه.
- ٣٢٩ العزلة توفر العرض وتستر الفاقة وترفع ثقل المكافأة.
- ٣٣٠ ما أحتنك أحد قط إلا أحب الخلوة والعزلة.
- ٣٣١ خير الناس من لم تجربه.
- ٣٣٢ الكريم لا يلين على فتر ولا يقسو على يسر.
- ٣٣٣ المرأة إذا أحببتك آذتك وإذا أبغضتك خانتك وربما قتلتك، فحبها أذى وبغضها داء بلا دواء.
- ٣٣٤ المرأة تكتم الحب أربعين سنة وتكتم البغض ساعة واحدة.
- ٣٣٥ الممتحن كالمحتق كلما ازداد اضطراباً ازداد احتناقاً.
- ٣٣٦ كل ما لا ينتقل بانتقالك من مالك فهو كفييل بك.

أجلّ ما ينزل من السماء التوفيق، وأجلّ ما يصعد من الأرض الإخلاص.



اثنان يهون عليهما كل شيء: عالم عرف العواقب وجاهل يجهل ما هو فيه.



شرّ من الموت ما إذا نزل تمنيت بنزوله الموت، وخير من الحياة ما إذا فقدته بغضت لفقد الحياة.



ما وضع أحد يده في طعام أحد إلا ذلّ له.



من رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه، قيمة كل امرئ ما يحسنه.



أبصر الناس لعوار الناس المعور.



العجب ممن يخاف عقوبة السلطان وهي منقطعة، ولا يخاف عقوبة الديان وهي دائمة.



من عرف نفسه فقد عرف ربّه.



من عجز عن معرفة نفسه فهو عن معرفة خالقه أعجز.



لو تكاشفتكم لما تدافتم.



شيطان كل إنسان نفسه.



إن لم تعلم من أين جئت لم تعلم إلى أين تذهب.



غاية كل متعمق في معرفة الخالق سبحانه الاعتراف
بالقصور عن إدراكها.



الكمال في خمس: أن لا يعيب الرجل أحداً يعيب فيه
مثله حتى يصلح ذلك العيب من نفسه، فإنه لا يفرغ من
إصلاح عيب من عيوبه حتى يهجم على آخر فتشغله عيوبه
عن عيوب الناس. وأن لا يطلق لسانه ويده حتى يعلم
أفي طاعة ذلك أم في معصية. وأن لا يلتمس من الناس
ما لم يعطهم من نفسه مثله. وأن يسلم من الناس
باستشعار مداراتهم وتوفيتهم حقوقهم. وأن ينفق الفضل
من ماله ويمسك الفضل من قوله.



رحم الله امرءاً اتعظ وازدجر وانتفع بالعبير.



صديق البخيل من لم يجربه.



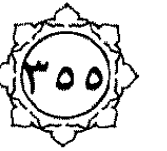
من الخيط الضعيف يفتل الحبل الحصيف ومن مقدحة
صغيرة تحترق مدينة كبيرة ومن لبنة لبنة تبنى قرية حصينة.



محب الدراهم معذور وإن أدنته من الدنيا لأنها صانته عن
أبناء الدنيا.



عجباً لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح، وعجباً
لمن قيل فيه الشر وليس فيه كيف يغضب.



ثلاث موبقات: الكبر فإنه حط إبليس عن مرتبته،
والحرص فإنه أخرج آدم من الجنة، والحسد فإنه دعا ابن
آدم إلى قتل أخيه.



الفظام عن الحطام شديد.



إذا أقبلت الدنيا أقبلت على حمار قطوف وإذا أدبرت
أدبرت على البراق.



أصاب متأمل أو كاد وأخطأ مستعجل أو كاد.



سته لا تخطئهم الكآبة: فقير حديث عهد بغنى، ومكثر
يخاف على ماله، وطالب مرتبة فوق قدره، والحسود،
والحقود، ومخالط أهل الأدب وليس بأديب.



طلبت الراحة لنفسي فلم أجد شيئاً أروح من ترك ما لا
يعنيني. وتوحشت في الفقر البلقع فلم أر وحشة أشد من
قرين السوء. وشهدت الزحوف ولقيت الأقران فلم أر
قرناً أغلب من المرأة. ونظرت إلى كل ما يذل العزيز
ويكسره فلم أر شيئاً أذلّ له ولا أكسر من الفاقة.



أول رأي العاقل آخر رأي الجاهل.



المسترشد موقى والمحترس ملقى.



الحر عبد ما طمع والعبد حرّ ما قنع.





ما أحسن حسن الظن إلا أن فيه العجز، وما أقبح سوء
الظن إلا أن فيه الحزم.





ما الحيلة فيما أعى إلا الكف عنه ولا الرأي فيما لا ينال
إلا اليأس منه.





الأحمق إذا حدّث ذهل وإذا حدّث عجل وإذا حمل على القبيح فعل. 


إثبات الحجّة على الجاهل سهل ولكن إقراره صعب. 


كما تعرف أواني الفخار بامتحانها بأصواتها فيعلم الصحيح منها من المكسور، كذلك يمتحن الإنسان بمنطقه فيعرف ما عنده. 


احتمال الفقر أحسن من احتمال الذل لأنّ الصبر على الفقر قناعة والصبر على الذلّ ضراعة. 


الدنيا حمقاء لا تميل إلّا إلى أشباهها. 

السفر ميزان الأخلاق. 

الكذّاب يخيف نفسه وهو آمن. 

لولا ثلاث لم يسلك سيف: سلك أدق من سلك ووجه أصبح من وجه ولقمة أسوغ من لقمة. 

قد يحسن الامتنان بالنعمة وذلك عند كفرانها ولولا أن بني إسرائيل كفروا بالنعمة لما قال الله لهم ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾. 

إذا تنهى الغمّ انقطع الدمع. 

إذا ولى صديقك ولاية فأصبتة على العشر من صداقته
فليس بصاحب سوء.



أعجب الأشياء بديهية أمن ورد في مقام خوف.



الحرص محرمة والجبن مقتلة وإلا فانظر فيمن رأيت
وسمعت أمن قتل في الحرب مقبلاً أكثر أم من قتل مدبراً
ونظر من يطلب بالإجمال والتكرم أحق أن تسخر نفسك
له أم من يطلب بالشره والحرص.



إذا كان العقل تسعة أجزاء احتاج إلى جزء من جهل
ليقدم به صاحبه على الأمور فإن العاقل أبداً متوان مترقب
متخوف.



عمل الرجل بما يعلم أنه خطأ هوى، والهوى آفة العفاف
وترك العمل بما يعلم أنه صواب تهاون، والتهاون آفة
الدين وإقدامه على ما لا يدري أصواب هو أم خطأ،
واللجاج آفة العقل.



ضعف العقل أمان من الغم.



لا ينبغي للعاقل أن يمدح امرأة حتى تموت ولا طعاماً
حتى يستمرئه ولا صديقاً حتى يستقر منه.



ليس من حسن الجوار ترك الأذى ولكن حسن الجوار
الصبر على الأذى.



لا يتأدب العبد بالكلام إذا وثق بأنه لا يضرب.



الفرق بين المؤمن والكافر الصلاة فمن تركها وادعى
الإيمان كذبه فله وكان عليه شاهد من نفسه.



من خاف الله خافه كل شيء.



من النقص أن يكون شفيحك شيئاً خارجاً عن ذاتك
وصفاتك.



ويلي على العبد اللئيم عبد بني ربيعة نزع به عرق الشرك
العلشمي إلى مساءتي وتذكر دم الوليد وعتبة وشيبة أولى
له والله ليراني في موقف يسوءه ثم لا يجد هناك وفلاناً
يعني سالماً مولى حذيفة.



أنا قاتل الأقران ومجنديل الشجعان، أنا الذي فقأت عين
الشرك وثلثت عرشه غير ممتن على الله بجهادي ولا مدل
إليه بطاعتي ولكن أحدثت بنعمة ربّي.



الصوم عبادة بين العبد وخالقه لا يطلع عليها غيره
وكذلك لا يجازى عنها غيره.



طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، طوبى لمن لا
يعرف الناس ولا يعرفه الناس، طوبى لمن كان حياً
كميت وموجوداً كمعدوم قد كفى جاره خيره وشره لا
يسأل عن الناس ولا يسأل الناس عنه.



ما السيف الصارم في كف الشجاع بأعز له من الصديق.



لا يكن فقرك كفرةً وغناك طغياناً.



ثمرة القناعة الراحة وثمره التواضع المحبة.



الكريم يلين إذا استعطف واللييم يقسو إذا لوطف.



عذابان لا يآبه الناس لهما: السفر البعيد، والبناء الكثير.



ثلاثة يؤثرون المال على أنفسهم: تاجر البحر، وصاحب السلطان، والمرتشي في الحكم.



أعجز الناس من قصر في طلب الصديق وأعجز منه من وجده فضيعه.



أشد المشاق وعد كذاب لحريص.



العادات قاهرات فمن اعتاد شيئاً في سرّه وخلوته فضحه في جهره وعلانيته.



الأخ البار مغيض الأمرار.



عدم المعرفة بالكتابة زمانة خفيفة.





قديم الحرمة وحديث التوبة يمحقان ما بينهما من الإساءة.




ركوب الخيل عزّ وركوب البرازين - أي الفضاء - لذة وركوب البغال مهرة وركوب الحمير مذلة.





العقل يظهر بالمعاملة وشيم الرجال تعرف بالولاية. 


قال له قائل علّمني الحلم فقال هو الذلّ فاصبر عليه إن استطعت. 


قلتم إن فلاناً أفادنا مالاً عظيماً فهل أفاد أياماً ينفقه فيها. 


عيادة النوكي - أي الأحمق - أشد على المريض من وجعه. 

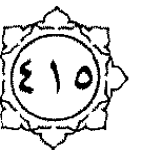
المريض يعاد والصحيح يزار. 

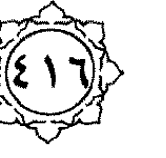
الشيء الذي لا يحسن أن يقال وإن كان حقاً مدح الإنسان نفسه. 


الشيء الذي لا يستغنى عنه في حال من الأحوال التوفيق. 

أوسع ما يكون الكريم مغفرة إذا ضاقت بالذنب المعذرة. 

التكبر على المتكبرين هو التواضع بعينه. 

إذا رفعت أحداً فوق قدره فتوقع منه أن يحط منك بقدر ما رفعت منه. 

إساءة المحسن أن يمنعك جدواه وإحسان المسيء أن يكف عنك أذاه. 

اللهم إنني استعديك على قريش فإنهم أضمروا لرسولك ﷺ ضروباً من الشرّ والغدر، فعجزوا عنها 

وحلت بينهم وبينها فكانت الوجبة بي الدائرة عليّ . اللهم
احفظ حسناً وحسيناً ولا تمكّن فجرة قريش منهما ما
دمت حياً، فإذا توفيتني فأنت الرقيب عليهم وأنت على
كل شيء شهيد. قال له قائل: يا أمير المؤمنين رأيت
لولا كان رسول الله ﷺ ترك ولدأ ذكراً قد بلغ الحلم
وأنس منه الرشد كانت العرب تسلم أمرها .



قال لا بل كانت تقتله أن يفعل ما فعلت ان العرب
كرهت أمر محمد ﷺ وحسدته على ما آتاه الله من فضله
واستطالت أيامه، حتى قذفت زوجته ونفرت به ناقته مع
عظيم إحسانه إليها، وجسيم منه عندها وأجمعت مذ كان
حياً على صرف الأمر على أهل بيته بعد موته ولولا أن
قريشاً جعلت اسمه ذريعة للرياسة وسلمأ إلى العز، لما
عبدت الله تعالى بعد موته يوماً واحداً ولا ارتدت في
حافرتها وعاد فادحها جذعاً وباذلها تكبراً. ثم فتح الله
عليها الفتوح فأثرت بعد الفاقة وتمولت بعد الجهد
والمخمصة فحسن في عيوبها من الإسلام ما كان سمجاً،
وثبت في قلوب كثيرة منها الدين ما كان مضرِباً. وقالت
لولا أنه حقّ لما كان كذا، ثم نسيت تلك الفتوح إلى
آراء ولاتها وحسن تدبير الأمراء القائمين بها فتأكد عند
الناس نباهة قوم وخمول آخرين، فكنا نحن حمل ذكره
وخبث ناره وانقطع صوته وصيته حتى أكل الدهر علينا
وشرب ومضت السنون وأحقاب ما فيها. ومات كثير
ممن لا يعرف ونشأ كثير ممن لا يعرف وما عسى أن
يكون الولد لو كان أن رسول الله ﷺ لم يقربني ما
تعلمونه من القرب للنسب واللحمة بل للجهاد والنصيحة،

أفتراه لو كان له ولد هل كان يفعل ما فعلت وكذلك لم يكن يقرب ما قربت ثم لم يكن ذلك عند قريش والعرب سبباً للخطوة والمنزلة، بل للحرمان والجفوة. اللهم إنك تعلم أنني لم أرد الأمر ولا علو الملك والرياسة وإنما أردت القيام بحدودك والأداء لشرعك ووضع الأمور في مواضعها وتوفير الحقوق على أهلها والمضي على منهاج أهلها والمضي على منهاج نبيك وإرشاد الضالّ إلى أنوار هدايتك.

البرّ ما سكنت إليه نفسك واطمأن إليه قلبك، والإثم ما جال في نفسك وتردد في صدرك.



الزكاة نقص في الصورة وزيادة في المعنى.



ليس الصوم إمساك عن المأكل والمشرب، الصوم إمساك عن ما يكرهه الله سبحانه.



إذا كان الراعي ذئباً فالشاة من يحفظها؟



كل شيء يعصيك إذا أغضبتك إلا الدنيا فإنها تطيعك إذا أغضبتها.



ربّ مغبوط بنعمة هي داؤه ومحروم من سقم هو شفاؤه.



إذا أراد الله أن يسلط على عبد عدواً لا يرحمه سلط عليه حاسداً.



شرب الدواء للجسد كالصابون المثوب ينقيه ولكن يخنقه.



٤٢٧ الحسد خلق دنيء ومن دناءته أنه موكل بالأقرب فالأقرب .

٤٢٨ لو كان أحداً مكتفياً من العلم لاكتفى نبي الله موسى ، وقد سمعتم قوله : ﴿ هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَيَّ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴾ .

٤٢٩ استغفر الله ممّا أملك واستصلحه فيما لا أملك .

٤٣٠ إذا قعدت وأنت صغير حيث تحب قعدت وأنت كبير حيث تكره .

٤٣١ الولد العاق كالإصبع الزائد إن تركت شانت وإن قطعت أمت .

٤٣٢ خرج العز والغنى يجولان فلقيا القناعة فاستقرا .

٤٣٣ الصديق نسيب الروح والأخ نسيب الجسم .

٤٣٤ جزية المؤمن كراء منزله وعذابه سوء خلق زوجته .

٤٣٥ الوعد وجه والإنجاز محاسنه .

٤٣٦ لا تشاتمن أحداً ولا تردن سائلاً أما هو كريم تسد خلته أو لئيم تشتري عرضك منه .

٤٣٧ المنام سهم قاتل .

٤٣٨ ثلاثة أشياء لا دوام لها : المال في يد المبذر وسحابة

الصيف وغضب العاشق .

الزاهد في الدينار والدرهم أعز من الدينار والدرهم .



ربّ حرب حيت بلفظة وربّ ودّ غرس بلحظة .



إذا تزوج الرجل فقد ركب البحر فإن ولد به فقد كسر به .



أنعم الناس عيشة من تحلى بالعفاف ورضى بالكفاف
وتجاوز ما يخاف إلى ما لا يخاف .



التواضع نعمة لا يفتن لها الحاسد .



ينبغي للعاقل أن يمنع معروفه الجاهل واللئيم والسفيه ،
أما الجاهل فلا يعرف المعروف ولا يشكر عليه ، وأما
اللئيم فارض سبخة لا تنبت وأما السفيه فيقول إنّما
أعطاني فرقاً من لساني .



خير العيش ما لا يطغيك ولا يلهيك .



ما ضرب الله العباد بسوط أوجع من الفقر .



إذا أراد الله أن يزيل عن عبد نعمة كان أول ما يغيّر منه
عقله .



خير الدنيا والآخرة في خصلتين الغنى والتقوى ، وشرّ
الدنيا والآخرة في خصلتين الفقر والفجور .



٤٤٩

ثمانية إذا ذهبوا فلا يلوموا إلا أنفسهم: الآتي طعاماً لم يدع إليه، والمتأمر على رب البيت في بيته، وطالب المعروف من غير أهله، والداخل بين اثنين لم يدخله، والمستخف بالسلطان، والجالس مجلساً ليس له بأهل، والمقبل بحديثه على من لا يسمعه، ومن جرب المجرب.

٤٥٠

أنفس العقول عقل قرن إليه حظ.

٤٥١

اللطافة في الحاجة أجدى من الوسيلة.

٤٥٢

احتمال نخوة الشرف أشد من احتمال بطر الغنى، وذلة الفقر مانع من كرم الإنصاف إلا لمن كان في غريزة فصل قوة وأعراق تنازعه إلى بعد الهمة.

٤٥٣

أبعد الناس سفرأ من كان في طلب صديق يرضاه.

٤٥٤

استشارة الأعداء من باب الخذلان.

٤٥٥

الجاهل يعرف بست خصال: الغضب من غير شيء، والكلام في غير نفع، والعطية في غير موضعها، وأن لا يعرف صديقه من عدوه وإفشاء السر، والثقة بكل أحد.

٤٥٦

سوء العادة كمن لا يؤمن.

٤٥٧

العادة طبيعة ثانية غالبية.

التجني واقد القطيعة .



صديقك من نهاك وعدوك من أغراك .



يا عجباً من غفلة الحساد عن سلامة الأجساد .



من سعادة المرء أن يطول عمره ويرى في أعدائه ما يسره .



الضغائن تورث كما تورث الأموال .



ربّ عزيز أذله خرقه وذليل أعزّه خلقه .



لا يصلح اللئيم لأحد ولا يستقيم إلا من فرق أو حاجة فإذا استغنى أو ذهب خرقه أو عاد إليه جوهره .



ثلاثة في المجلس وليسوا فيه : الحاقن والضيق الخف والسيء الظنّ بأهله .



سئل ما أبقى الأشياء في نفوس الناس ، فقال : أما في أنفس العلماء فالندامة على الذنوب ، وأما في نفوس السفهاء فالحقد .



إذا انقضى ملك قوم خيبروا في آرائهم .



الضعيف المحترس من العدو القوي أقرب إلى السلامة من القوي المغترّ بالعدوّ الضعيف .



الحزن سوء استكانة والغضب لؤم قدره.



كل ما يؤكل يتتن وكل ما يوهب يأرج.



الطرش في الكرام، والهوج في الطوال، والكيس في القصار، والنبيل في الربعة، وحسن الخلق في الحول، والكبر في العور، والبهت في العميان، والذكاء في الخرس.



ألام الناس من سعى بإنسان ضعيف إلى سلطان جائر.



أعسر الجبل تصوير الباطل في صورة الحق عند العاقل المميز.



الغدر ذلّ حاضر والغيبة لؤم باطن.



القلب الفارغ يبحث عن السوء واليد الفارغة تتنازع إلى الإثم.



لا كثير مع إسراف ولا قليل مع احتراف ولا ذنب مع اعتراف.



المحروم من طال نصبه وكان لغيره مكسبه.



في الاعتبار غنى عن الاختبار.



غيظ البخيل على الجواد أعجب من بخله.



أذلّ الناس معتذر إلى اللئيم.



أشجع الناس أثبتهم عقلاً في بداهة الخوف.



المعتذر منتصر والمعاتب مغاضب.



المروءة بلا مال كالأسد الذي يأب ولم يفترس وكالسيف الذي يخاف وهو مغمد، والمال بلا مروءة كالكلب الذي يجتنب عقراً ولم يعقر.



عليكم بالأدب فإن كنتم ملوكاً برزتم وإن كنتم وسطاً فقتم وإن أعوزتكم المعيشة عشتم بأدبكم.



الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك.



لا ينبغي للعاقل أن يكون إلا في إحدى منزلتين إمّا في الغاية القصوى من مطالب الدنيا، وإمّا في الغاية القصوى من الترك لها.



من أفضل أعمال البرّ الجود في العسر والصدق في الغضب والعفو عند المقدرة.



خف الله حتى كأنك لم تطعه، وارج الله حتى كأنك لم تعصه.



اطبع الطين ما دام رطباً واغرس العود ما دام لدناً.



إن الله أنعم على العباد بقدر قدرته وكلفهم من الشكر بقدر قدرتهم.



العيش في ثلاث: صديق لا يعد عليك في أيام صداقتك ما يرضى به أيام عداوتك، وزوجة تسرك إذا دخلت عليها وتحفظ غيبتك إذا غبت عنها، وغلام يأتي على ما في نفسك كأنه قد علم ما تريد.

٤٩١

تحتاج القرابة إلى مودة ولا تحتاج المودة إلى قرابة.

٤٩٢

الصابر على مخالطة الأشرار وصحبتهم كراكب البحر إن سلم ببدنه من التلف لم يسلم بقلبه من الحذر.

٤٩٣

لأخيك عليك إذا أحرزته أمر أن تشير عليه بالرأي ما أطاعك وتبذل له النصر إذا عصاك.

٤٩٤

الغيبة ربيع اللثام.

٤٩٥

أطول الناس نصباً الحريص إذا طمع والحقود إذا منع.

٤٩٦

الشريف ينفل دون حقه ويعطي نافله فوق الحق عليه.

٤٩٧

اجعل عمرك كنفقة دفعت إليك فكما لا تحب أن لا يذهب ما تنفق ضياعاً فلا تذهب عمرك ضياعاً.

٤٩٨

من أظهر شكرك فيما لم تأت إليه فاحذر أن يكفرك فيما أسديت إليه.

٤٩٩

لا تستعن في حاجتك بمن هو للمطلوب إليه أنصح منه لك.

٥٠٠

٥٠١ لا يؤمنك من شرّ جاهل قرابة ولا جوار فإن أخوف ما تكون لحريق النار أقرب ما تكون إليها.

٥٠٢ كن في الحرص على تفقد عيوبك كعدوك.

٥٠٣ عليك بسوء الظن فإن أصاب فالحزم وإلا فالسلامة.

٥٠٤ رضا الناس غاية لا تدرك فتحرا الخير بجهدك ولا تبال بسخط من يرضيه الباطل.

٥٠٥ لا تماكس في البيع والشراء فما يضيع من عرضك أكثر مما تنال من غرضك.

٥٠٦ الدّين رِقٌّ فلا تبذل رِقِّك لمن لا يعرف حقّك.

٥٠٧ احذر كل الحذر أن يخدعك الشيطان فيمثل لك التواني في صورة التوكل ويورثك الهوينا بالإحالة على القدر فإن الله أمر بالتوكل عند انقطاع الحيل وبالتسليم للقضاء بعد الإعذار، فقال: «خذوا حذرکم ولا تلقوا بأيديکم إلى التهلكة» وقال النبي ﷺ: «اعقلها وتوكل».

٥٠٨ لا تصحب في السفر غنياً فإنك إن ساويته في الإنفاق أضرت بك وإن تفضّل عليك استدلّك.

٥٠٩ إذا سألت كريماً حاجة فدعه يفكر فإنه لا يفكر إلا في خير، وإذا سألت لئيماً حاجة فغافسه كرر السؤال فإنه إذا فكر عاد إلى طبعه.

٥١٠ ما أقبح بالصبيح الوجه أن يكون جاهلاً كدار حسنة البناء وساكنها شرّ وكجنته يعمرها بوم أو صرمة يحرسها ذئب.

٥١١ قبيح بذى العقل أن يكون بهيمة وقد أمكنه أن يكون إنساناً وأن يكون إنساناً وقد أمكنه أن يكون ملكاً وأن يرضى لنفسه بقنية معارة وحياة مستردة وله أن يتخذ قنية مخلدة وحياة مؤبدة.

٥١٢ الذي يستحق اسم السعادة على الحقيقة سعادة الآخرة وهي أربعة أنواع: بقاء بلا فناء، وعلم بلا جهل، وقدرة بلا عجز، وغنى بلا فقر.

٥١٣ الدين قد كشف عن غطاء قلبه يرى مطلوبه قد طبق الخافقين فلا يقع بصره على شيء إلاّ رآه فيه.

٥١٤ من غرس النخل أكل الرطب ومن غرس الصفصاف والعليق عدم ثمرته وذهبت ضياعاً خدمته.

٥١٥ إذا أردت العلم والخير فانفض عن يدك أداة الجهل والشر، فإنّ الصائغ لا تتهياً له الصياغة إلاّ إذا ألقى أداة الفلاحة عن يده.

٥١٦ الصبر مفتاح الفرج.

٥١٧ غاية كل متعمق في علمنا أن يجهل.

٥١٨ ستعرف الحال على حقيقتها ولكن حيث لا تستطيع أن تذكر أحداً بها.

٥١٩ السعادة التامة بالعلم والسعادة الناقصة بالزهد.

٥٢٠ العبادة من غير علم زهادة تتعب الجسد.

الآمال مطايا وربما حسرت ونقبت أخفافها .



حب الرياسة شاغل عن حب الله سبحانه .



أيا أبا عبيدة طال عليك العهد فنسيت أم نافست فأنسيت
لقد سمعتها ووعيتها فهلاً رعتها .



قال لما سمعت خطبة عمر بالمدينة، التي شرح فيها قصة
الثقيفة، معذرة وربّ الكعبة ولكن بعد ماذا هيهات علق
معالقتها وصر الجندب .



أول من جرأ الناس علينا سعد بن عبادة فتح باباً ولجه
غيره وأضرم ناراً كان لهبها عليه وضوؤها لأعدائه .



ما لنا ولقريش يخصمون الدنيا باسمنا ويطؤون من رقابنا
فيالله وللعجب من اسم جليل لمسمى ذليل .



الخير كله في السيف وما قام هذا الدين إلا بالسيف أتعلمون
ما معنى قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ هذا هو
السيف .



لم يفت من لم يمت .



من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء فإنه لو غص
بغيره لأساغ الماء غصته .



من ظن بعرضه فليدع المرء .



٥٣١ من أيقظ فتنة فهو آكلها.

٥٣٢ من أثرى كرم على أهله ومن أملق هان على ولده.

٥٣٣ من أمل أحداً هابه ومن جهل شيئاً عابه.

٥٣٤ أسوأ الناس حالاً من لا يثق بأحد لسوء ظنه ولا يثق به أحد لسوء أثره.

٥٣٥ أحب الناس إليك من كثرت أياديه عندك فإن لم تكن فمن كثرت أياديك عنده.

٥٣٦ من طال صمته اجتلب من الهيبة ما ينفعه ومن الوحشة ما لا يضره.


٥٣٧ من زاد عقله نقص حظه وما جعل الله لأحد عقلاً وافرأ إلا احتسب به عليه من رزقه.


٥٣٨ من عمل بالعدل فيمن دونه رزق العدل ممن فوقه.


٥٣٩ من طلب عزاً بظلم وباطل أورثه الله ذلاً بإنصاف وحق.


٥٤٠ من وطئته الأعين وطئته الأرجل.


٥٤١ ينادي مناد يوم القيامة من كان له أجر على الله فليقم فيقوم العافون عن الناس، ثم تلا: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾.


أصبح الناس بأي خلق شئت يصحبوك بمثله. 


كأنك بالدنيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تنزل. 


قال لمريض أبل من مرضه: إن الله ذكرك فاذكركه وأقالك فاشكره. 


الدار دار من لا دار له وبها يفرح من لا عقل له فانزلوها منزلتها. 

لا تستصغرن أمر عدوك إذا حاربته فإنك إذا ظفرت به لم تحمد، وإن ظفرك لم تعذر. والضعيف المحترس من العدو القوي أقرب إلى السلامة من القوي المفتر بالضعيف. 


لا تصحب من تحتاج إلى أن تكتمه ما يعرف الله منك. 

لا تسأل غير الله فإنه إن أعطاك أغناك. 

الصاحب كالرقعة في الثوب فاتخذه مشاكلاً. 

إياك وكثرة الإخوان فإنه لا يؤذيك إلا من يعرفك. 

دع اليمين لله إجلالاً وللناس جمالاً. 

العادات قاهرات فمن اعتاد شيئاً في سرّه فضحه في علانيته. 

٥٥٣ إذا كان لك صديق ولم تحمد أخاءه ومودته فلا تظهر ذلك للناس، فإنما هو بمنزلة السيف الكليل في منزل الرجل يهرب به عدوه ولا يعلم العدو أصارم هو أم كليل.

٥٥٤ أنعم الناس عيشاً من عاش في عيشة غيره.

٥٥٥ دع الذنوب قبل أن تدعك.

٥٥٦ إذا نزل بك مكروه فانظر فإن كان لك حيلة فلا تعجز وإن لم يكن فيه حيلة فلا تجزع.

٥٥٧ تعلموا العلم فإنه زين للغني وعون للفقير، ولست أقول إنه يطلب به ولكن يدعو إلى القناعة.

٥٥٨ لا ترضين قول أحد حتى ترضى فعله ولا ترضى فعله حتى ترضى عقله ولا ترضى عقله حتى ترضى حياؤه فإن الإنسان مطبوع على كرم ولؤم فإن قوي الحياء قوي الكرم، وإن ضعيف الحياء قوي اللؤم.

٥٥٩ تعلموا العلم وإن لم تنالوا به حظاً فلا أن يذم الزمان لكم أحسن من أن يذم بكم.

٥٦٠ اجعل سرّك إلى واحد ومشورتك إلى ألف.

٥٦١ إن الله خلق النساء من عي وعورة، فداروا عيهن بالسكوت واستروا العورة بالبيوت.

٥٦٢ لا تعدن عدة لا تثق من نفسك بإنجازها ولا يفرّتك المرتقى لسهل إذا كان المنحدر وغراً، واعلم أن للأعمال

جزاء فاتق العواقب وإن للأموور بغنات فكن على حذر.

لا تجاهد الطلب جهاد المغالب ولا تتكل على قدر
اتكال المستسلم فإن ابتغاء الفضل من السنة والإجمال
في الطلب من العفة وليست العفة برافعة رزقاً ولا
الحرص بجالب فضلاً.



من رجي الرزق لديه صرفت أعناق الرجال إليه.



من لم تستقم له نفسه فلا يلومن من لم يستقم له.



من انتجعك مؤملاً فقد أسلفك حسن الظن.



إذا شئت أن تطاع فسل ما استطاع.



من اعتذر كمن انجح.



من كانت الدنيا همه كثر في القيامة غمه.



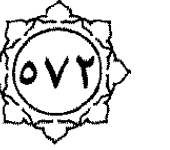
من أجمل في الطلب أتاه رزقه من حيث لا يحتسب.



من ركب العجلة لم يأمن الكبوة.



من لم يثق لم يوثق به.



من أفاده الدهر أفاد منه.



٥٧٤ من أكثر ذكر الضغائن اكتسب العداوة.

٥٧٥ من يحمد صاحبه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنعة.

٥٧٦ تأمل ما تتحدث به فإنما تملي على كاتبك صحيفة يوصلانها إلى ربك، فانظر على من تمليء وإلى من تكتب.

٥٧٧ أقم الرغبة إليك مقام الحرمة بك وعظم نفسك من التعظيم وتطول ولا تتناول.

٥٧٨ عاملوا الأحرار بالكرامة المحضة والأوساط بالرغبة والرغبة والسفلة بالهوان.

٥٧٩ كن للعدو المكاتم أشد حذراً منك للعدو المبارز.

٥٨٠ احفظ شيئك ممن تستحي أن تسأله عن مثل ذلك الشيء إذا ضاع لك.

٥٨١ إذا كنت في مجلس ولم تكن المحدث ولا المحدث فقم.

٥٨٢ لا تستصغرن حديثاً من قریش ولا صغيراً من الكتاب ولا صعلوكاً من الفرسان، ولا تصادقن ذمياً ولا خصياً ولا مؤثماً فلا ثبات لموداتهم.

٥٨٣ انصح لكل مستشير ولا تستشر إلى الناصح اللبيب.

٥٨٤ لا تدخل في مشورتك بخيلاً فيقصر بفعلك ولا جباناً فيخونك ما لا تخاف ولا حريصاً فيعدك ما لا يرجى،

فإنّ الجبن والبخل والحرص طبيعة واحدة يجمعها سوء
الظن بالله تعالى .

لا تكن ممن تغلبه نفسه على ما يظن ولا يغلبها على ما
يستيقن .



اعص هواك والنساء وافعل ما بدا لك .



ما كنت كاتمته من عدوك فلا تظهر عليه صديقك .



كل من الطعام ما تشتهي والبس من الثياب ما يشتهي
الناس .



ليكن دارك أول ما يبتاع وآخر ما يباع .



من كان في يده شيء من رزق الله سبحانه فليصلحه ،
فإنكم في زمان إذا احتاج المرء فيه إلى الناس كان أول
ما يبذله لهم دينه .



ابدل لصديقك مالك ولمعرفتك رفقك ومحضرك وللعامّة
بشرك وتحننك ولعدوك عدلك وإنصافك واضنن بدينك
وعرضك عن كل أحد .



جالس العقلاء أعداء كانوا أو أصدقاء، فإنّ العقل يقع
على العقل .



كن في الحرب بحيلتك أوثق منك بشدتك وبحذرک افرح
منك بنجذتك، فإنّ الحرب حرب المتهور وغنيمة
المتحذر .



النعم وحشية فقيدوها بالمعروف.



إذا أخطأتك الصنيعة إلى من يتقى الله فاصنعها إلى من يتقى العار.



لا تشتغل بالرزق المضمون عن العمل المفروض.



إذا أكرمك الناس لمال أو سلطان فلا يعجبك ذلك فإنّ زوال الكرامة بزوالها ولكن ليعجبك إن أكرمك الناس لدين أو أدب.



ينبغي لمن يكرم وجهه عن مسألتك أن تكره وجهك عن رده.



إيّاك ومشاورة النساء فإنّ رأيهن إلى أفن وعزمهن إلى وهن. واكفف من أبصارهن بحجابك إياهنّ، فإنّ شدة الحجاب خير لك من الارتياح وليس خروجهن بأشدّ عليك من دخول من لا تثق به عليهن. وإن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل، ولا تمكن امرأة من الأمر ما جاوز نفسها فإنّ ذلك أنعم لبالها وأرخص لحاله. وإنّما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، فلا تعد بكرامتها نفسها ولا تعطها أن تشفع لغيرها ولا تطل الخلوة معهن، فيملّك وتملّهن. واستقي من نفسك بقية فإن إمساكك عنهن وهن يردنك ذلك باقتدار خير من أن يهجمن منك بانكسار. وإيّاك والتغاير في غير موضع الغيرة فإنّ ذلك يدعو الصحيحة منهن إلى السقم.



إذا أردت أن تختم على كتاب فأعد النظر فيه فإنّما تختم على عقلك.



٦٠١ إن يوماً أسكر الكبار وشيب الصغار لشديد.

٦٠٢ كم من مبرد له الماء والحميم يغلي له.

٦٠٣ الصلاة صابون الخطايا.

٦٠٤ إنَّ امرءاً عرف حقيقة الأمر وزهد فيه لأحمق، وإنَّ امرءاً جهل حقيقة الأمر مع وضوحه لجاهل.

٦٠٥ إذا قال أحدكم والله فلينظر ما يضيف إليها.

٦٠٦ رأيك لا يتسع لكل شيء ففرغه للمهم من أمورك، ومالك لا يغني الناس كلهم فاخصص به أهل الحق، وكرامتك لا تطيق بذلها في العامة فتوخ بها أهل الفضل، وليلك ونهارك لا يستوعبان حوائجك فاحسن القسمة بين عملك ودعتك.

٦٠٧ أحيي المعروف بأمانة.

٦٠٨ أصبحوا من يذكر إحسانكم إليه وينسى أياديه عندكم.

٦٠٩ جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعدائكم.

٦١٠ إذا رغبت في المكارم فاجتنب المحارم.



لا تثقن كل الثقة بأخيك فإن سرعة الاسترسال لا تقال.



انتقم من الحرص بالقناعة كما تنتقم من العدو بالقصاص.



إذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر.



من لم ينشط لحديثك فارفع عنه مؤونة الاستماع منك.



الزمان ذو ألوان ومن يصحب الزمان يرى الهوان.



لا تزهدن في معروف فإن الدهر ذو صروف كم من راغب أصبح مرغوباً إليه ومتبوعاً أمسى تابعاً.



إن غلبت يوماً على المال فلا تغلبن على الحيلة على كل حال.



كن أحسن ما تكون في الظاهر حالاً أقل ما تكون في الباطل مالاً.



لا تكونن المحدث من لا يسمع منه، والداخل في سرّ اثنين لم يدخله فيه، والآتي وليمة لم يدع إليها، ولا الجالس في مجلس لا يستحقه، ولا طالب الفضل من أيدي اللئام، ولا المتحمق في الدالة، ولا المتعرض للخير من عند العدو.



لا تبلغ في سلامك على الاخوان حدّ النفاق ولا تقصرهم عن درجة الاستحقاق.

٦٢١

ما أقبح بك أن ينادي غداً يا أهل خطيئة كذا فتقوم معهم
ثم ينادي ثانياً يا أهل خطيئة كذا فتقوم معهم ما أراك يا
مسكين إلا تقوم مع أهل كل خطيئة.

٦٢٢

ما أصاب أحد ذنباً ليلاً إلا أصبح وعليه مذنبته.

٦٢٣

الاستغفار يحث الذنوب حث الورق، ثم تلا قوله: ﴿وَمَنْ
يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا
رَحِيمًا﴾.

٦٢٤

أيها المستكثر من الذنوب إن أباك أخرج من الجنة بذنب
واحد.

٦٢٥

إذا عصى الرب من يعرفه سلط عليه من لا يعرفه.

٦٢٦

لقاء أهل الخير عمارة القلوب.

٦٢٧

أنا من رسول الله ﷺ كالعضد من المنكب وكالذراع من
العضد وكالكف من الذراع، رباني صغيراً وأخاني كبيراً.
ولقد علمتم أنه كان لي منه مجلس سرّ لا يطلع عليه
غيري وأنه أوصى إليّ دون أصحابه وأهل بيته ولا أقولنّ
ما لم أقله لأحد قبل هذا اليوم، سألته مرّة أن يدعو لي
بالمغفرة، فقال: افعل. ثم قام فصلى فلمّا رفع يده
للدعاء استمعت عليه فإذا هو قائل: اللهم بحق عليّ
عندك اغفر لعلّي. فقلت: يا رسول الله ما هذا؟ فقال:
أو أحد أكرم منك عليه فاستشفع به إليه.

والله ما قلعت باب خيبر ودكدكت حصن يهود بقوة
جسمانية بل بقوة إلهية.

٦٢٨

يا ابن عوف كيف رأيت صنيعك مع عثمان رب واثق
خجل ومن لم يتوخ بعمله وجه الله عاد مادحه من الناس
له ذاماً.

٦٢٩

لو رأيت ما في ميزانك لختمت على لسانك.

٦٣٠

ليس الحلم ما كان حال الرضا بل الحلم ما كان حال
الغضب.

٦٣١

ليس شيء أقطع لظهر إبليس من قوله لا إله إلا الله كلمة
التقوى.

٦٣٢

لا تحملوا ذنوبكم وخطاياكم على الله وتذروا أنفسكم
والشيطان.

٦٣٣

إن أخوف على هذه الأمة من الدجال أئمة مضلون وهم
رؤساء أهل البدع.

٦٣٤

إذا زللت فارجع وإذا ندمت فاقلع وإذا أسأت فاندم وإذا
مننت فاكتم وإذا منعت فاجمل، ومن يسلف المعروف
يكن ربحه الحمد.

٦٣٥

استشر عدوك تجربة لتعلم مقدار عداوته.

٦٣٦

لا تطلبين من نفسك العام ما وعدتك عاماً أول.

٦٣٧

أطول الناس عمراً من أكثر علمه فتأدب به من بعده أو أكثر
معروفه فشرف به عقبه.

٦٣٨

استهينوا بالموت فإن مرارته في خوفه . ٦٣٩

لا دين لمن لا نية له ولا مال لمن لا تدبير له ولا عيش لمن لا رفق له . ٦٤٠

من اشتغل بتفقد اللفظة وطلب السجعة نسي الحجة . ٦٤١

الدنيا مطية المؤمن عليها يرتحل إلى ربّه فأسلحوا مطاياكم تبلغكم إلى ربّكم . ٦٤٢

من رأى أنه مسيء فهو محسن ومن رأى أنه محسن فهو مسيء . ٦٤٣

سيئة تسؤوك خير من حسنة تعجبك . ٦٤٤

اطلبوا الحاجات بعزة الأنفس فإن بيد الله قضاءها . ٦٤٥

عذب حسادك بالإحسان إليهم . ٦٤٦

إظهار الفاقة من خمول الهمة . ٦٤٧

يا عالم قد قام عليك حجة . ٦٤٨

الرفق يفل حد المخالفة . ٦٤٩

أرجح الناس عقلاً وأكملهم فضلاً من صحب إيامه بالموادعة وإخوانه بالمسالمة وقبل من الزمان عفوه . ٦٥٠

الوجوه إذا كثر تقابلها اعتصر بعضها ماء بعض.



أداء الأمانة مفتاح الرزق.



حصن علمك من العجب، ووقارك من الكبر، وعطاءك من السرف، وصرامتك من العجلة، وعقوبتك من الإفراط، وعفوك من تعطيل الحدود، وصمتك من العي، واستماعك من سوء الفهم، واستئناسك من البذاء، وخلواتك من الإضاعة، وغرماتك من اللجاجة، وروغاتك من الاستسلام، وخدارتك من الجبن.



لا تجد للموتور المحقود أماناً من أذاه أوثق من البعد عنه والاحتراس منه.



احذر من صحابك ومخالطيك الكثير المسألة الخشن البحث اللطيف الاستدراج الذي يحفظ أول كلامك على آخره ويعتبر ما أخرت بما قدمت، ولا تظهرن له المخافة فيرى أنك قد تحرزت وتحفظت. واعلم أن من يقظة الفطنة إظهار الغفلة مع شدة الحذر، فخالطه هذا مخالطة الآمن وتحفظ منه تحفظ الخائف فإنّ البحث يظهر الخفي ويبيد المستور الكامن.



من سرّه الغنى بلا سلطان والكثرة بلا عشيرة، فليخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعته فإنّه واجد ذلك كله.



الشيء أعذار الموت.



من ساس نفسه بالصبر على جهل الناس صلح أن يكون سائساً.



٦٥٩
الله تعالى في كل لحظة ثلاثة عساكر: فعسكر ينزل من
الأصلاب إلى الأرحام، وعسكر ينزل من الأرحام إلى
الأرض، وعسكر يرتحل من الدنيا إلى الآخرة.

٦٦٠
اللهم ارحمني رحمة الغفران إن لم ترحمني رحمة
الرضا.

٦٦١
إلهي كيف لا يحسن مني الظن وقد حسن منك المنّ.
إلهي إن عاملتنا بعدلك لم يبق لنا حسنة وإن أنلتنا فضلك
لم يبق لنا سيئة.

٦٦٢
العلم سلطان من وجدته صال به ومن لم يجده صيل
عليه.

٦٦٣
يا ابن آدم إنما أنت أيام مجموعة فإذا مضى يوم مضى
بعضك.

٦٦٤
حيث تكون الحكمة تكون خشية الله وحيث تكون خشيته
تكون رحمته.

٦٦٥
اللهم إنني أرى لدي من فضلك ما لم أسألك فعلمت أن
لديك من الرحمة ما لا أعلم، فصغرت قيمة مطلبي فيما
عاينت وقصرت غاية أمني عندما أرجوت، فإن ألحفت
في سؤالي فلفاقتي إلى ما عندك وإن قصرت في دعائي
فيما عودت من ابتدائك.

٦٦٦
من كان همّه ما يدخل جوفه كانت قيمته ما يخرج منه.

٦٦٧
يقول الله تعالى: يا بن آدم لم أخلقك لأربح عليك إنما
خلقتك لتربح عليّ فاتخذوني بدلاً من كل شيء.

الرجاء للخالق سبحانه أقوى من الخوف لأنك تخافه
لذنبك وترجوه لجوده فالخوف لك والرجاء له .



أسألك بعزة الوجدانية وكرم الإلهية أن لا تقطع عني برّك
عن مماتي كما لم تزل تراني أيام حياتي أنت الذي تجيب
من دعائك ولا تخيب من رجائك، ضل من يدعو إلا إياك
فإنك لا تحجب من أتك وتفضل على من عصاك ولا
يفوتك من ناواك ولا يعجزك من عاداك كل في قدرتك
وكل يأكل رزقك .



لا تطلبن إلى أحد حاجة ليلاً فإنّ الحياء في العينين .



من ازداد علماً فليحذر من توكيد الحجة عليه .



العاقل ينافس الصالحين ليلحق بهم ويحبهم ليشاركهم
بمحبتته وإن قصر عن مثل عملهم . والجاهل يذم الدنيا
ولا يسخو بإخراج أقلها يمدح الجود ويبخل بالبذل يتمنى
التوبة بطول الأمل ولا يعجلها الخوف حلول الأجل،
يرجو ثواب عمل لم يعمل به ويفر من الناس ليطلب،
ويخفي شخصه ليشتهر ويذم نفسه ليمدح وينهى عن مدحه
وهو يحب ألا ينتهى من الثناء عليه .



الأنس بالعلم من نبل الهمة .



اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصن وجهي
عن مسألة غيري .



من الناس من ينقصك إذا زدته ويهون عليك إذا خاصصته
ليس لرضاه موضع تعرفه ولا لسخطه مكان تحذره، فإذا
لقيت أولئك فابدل لهم موضع المودة العامة واحرمهم
موضع الخاصة ليكون ما بذلت لهم من ذلك حائلاً دون
شرهم وما حرمتهم من هذا قطعاً لحرمتهم.



من شبع عوقب في الحال ثلاث عقوبات: يلقي الغطاء
على قلبه، والنعاس على عينيه، والكسل على بدنه.



ذم العقلاء أشد من عقوبة السلطان.



يمنع البليغ عن المسألة أمران: ذلّ الطلب، وخوف الرد.



قل أن ينطق لسان الدعوى إلا ويخرسه كلام الامتحان.



انظر ما عندك ولا تضعه إلا في حقه وما عند غيرك فلا
تأخذه إلا بحقه إذا صافك عدوك رياء فتلق ذلك بأوكد
مودة، فإنه إن ألف ذلك واعتاد خلصت لك مودته.



لا تألف المسألة فيألفك المنع.



لا تسأل الحوائج غير أهلها ولا تسألها في غير حينها،
ولا تسأل ما لست له مستحقاً فتكون للحرمان مستوجباً.



إذا غشك صديقك فاجعله مع عدوك.



لا تعدن من إخوانك من آخاك في أيام مقدرتك للمقدرة.
واعلم أنه ينتقل عنك في أحوال ثلاث: يكون صديقاً يوم



حاجته إليك، ومعرضاً يوم غناه عنك، وعدواً يوم حاجته.



لا تسرن بكثرة الإخوان ما لم يكونوا أحياناً فإن الإخوان بمنزلة النار التي قليلها متاع وكثيرها بوار.



كفأك خيانة أن تكون أميناً للخونة.



لا تحقرن شيئاً من الخير وإن صغر، فإنك إذا رأيت سرّ مكانه ولا تحقرن شيئاً من الشرّ وإن صغر، فإنك إذا رأيت ساءك مكانه.



يا ابن آدم ليس لك غناء عن نصيبك من الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر.



معصية العالم إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها وإذا ظهرت ضرّت صاحبها والعامّة.



يجب على العاقل أن يكون بما أحيا عقله من الحكمة أكلف منه بما أحيا جسمه من الغذاء.



أعسر العيوب صلاحاً العجب واللجاجة.



لكل نعمة مفتاح ومغلاق فمفتاحها الصبر ومغلاقها الكسل.



الحزن والغضب أميران تابعان لوقوع الأمر بخلاف ما تحب، إلا أن المكروه إذا أتاك ممن فوقك نتج عليك حزناً وإن أتاك ممن دونك نتج عليك غضباً.



أول المعروف مستخف وآخره مستثقل تكاد أوائله تكون للهوى دون الرأي وأواخره للرأي دون الهوى، ولذلك

قبل رب الصنعة أشد من الابتداء بها.

لا تدع الله أن يغنيك عن الناس فإن حاجات الناس بعضهم إلى بعض متصلة كاتصال الأعضاء، فمتى يستثنى المرء عن يده أو رجله ولكن ادع الله أن يغنيك عن شرارهم.



احترس من ذكر العلم عند من لا يرغب فيه ومن ذكر قديم الشرف عند من لا قديم له فإن ذلك مما يحقدهما عليك.



ينبغي لذوي القرباب أن يتزاوروا ولا يتجاوروا.



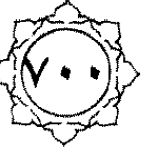
لا تواخ شاعراً فإنه يمدحك بثمن ويهجوكم مجاناً.



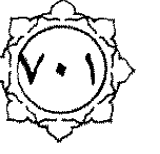
لا تنزل حوائجك بجيد اللسان ولا بتسرع إلى الضمان.



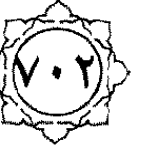
كل شيء طلبته في وقته فقد فات وقته.



إذا شككت في مودة إنسان فاسأل قلبك عنه.



العقل لم يجن على صاحبه قط والعلم من غير عقل يجني على صاحبه.



يا ابن آدم هل تنتظر إلا هراماً حايلاً أو مرضاً شاغلاً أو موتاً نازلاً.



ابنك يأكلك صغيراً ويرثك كبيراً، وابنتك تأكل من وعائك وترث من أعدائك، وابن عمك عدوك وعدو



عدوك وزوجتك إذا قلت لها قومي قامت .



إذا ظفرتم فأكرموا الغلبة وعليكم بالتغافل فإنه فعل الكرام وإياكم والمن فإنه مهدمة للصنعة منبه للضعيفة .



من لم يرج إلا ما يستوجه أدرك حاجته .



بلغ من خداع الناس أن جعلوا شكر الموتى تجارة عند الأحياء والثناء على الغائب استمالة للشاهد .



من احتاج إليك ثقل عليك ومن لم يصلحه الخير أصلحه الشر ومن لم يصلحه الطالي أصلحه الكاوي .



من أكثر من شيء عرف به، ومن زنى زني به، ومن طلب عظيماً خاطر بعظمته، ومن أحب أن يصرم أخاه فليقرضه ثم ليقاضه، ومن أحبك ملك عند انقضائه، ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار .



من بلغ السبعين اشتكى من غير علة .



في المال ثلاث خصال مذمومة: أما أن يكتسب من غير حقه، أو يمنع إنفاقه في حقه، أو يشتغل بإصلاحه عن عبادة الله تعالى .



يباعدك من غضب الله أن لا تغضب .



لا تستبدلن بأخ لك قديم أخاً مستفاداً ما استقام لك، فإنك إن فعلت فقد غيرت وإن غيرت تغيرت نعم الله عليك .

قبل رب الصنعة أشد من الابتداء بها.

لا تدع الله أن يغنيك عن الناس فإن حاجات الناس بعضهم إلى بعض متصلة كاتصال الأعضاء، فمتى يستثنى المرء عن يده أو رجله ولكن ادع الله أن يغنيك عن شرارهم.



احترس من ذكر العلم عند من لا يرغب فيه ومن ذكر قديم الشرف عند من لا قديم له فإن ذلك مما يحقدهما عليك.



ينبغي لذوي القرباب أن يتزاوروا ولا يتجاوروا.



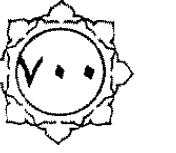
لا تواخ شاعراً فإنه يمدحك بئمن ويهجوك مجاناً.



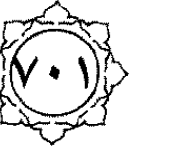
لا تنزل حوائجك بجيد اللسان ولا بتسرع إلى الضمان.



كل شيء طلبته في وقته فقد فات وقته.



إذا شككت في مودة إنسان فاسأل قلبك عنه.



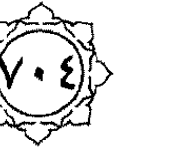
العقل لم يجن على صاحبه قط والعلم من غير عقل يجني على صاحبه.



يا ابن آدم هل تنتظر إلا هراماً حايلاً أو مرضاً شاغلاً أو موتاً نازلاً.



ابنك يأكلك صغيراً ويرثك كبيراً، وابنتك تأكل من وعائك وترث من أعدائك، وابن عمك عدوك وعدو



عدوك وزوجتك إذا قلت لها قومي قامت .

إذا ظفرتم فأكرموا الغلبة وعليكم بالتغافل فإنه فعل الكرام وإياكم والمن فإنه مهدمة للصنعة منه للضعيفة .



من لم يرج إلا ما يستوجه أدرك حاجته .



بلغ من خداع الناس أن جعلوا شكر الموتى تجارة عند الأحياء والثناء على الغائب استمالة للشاهد .



من احتاج إليك ثقل عليك ومن لم يصلحه الخير أصلحه الشر ومن لم يصلحه الطالي أصلحه الكاوي .



من أكثر من شيء عرف به، ومن زنى زني به، ومن طلب عظيماً خاطر بعظمته، ومن أحب أن يصرم أخاه فليقرضه ثم ليقاضه، ومن أحبك ملك عند انقضائه، ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار .



من بلغ السبعين اشتكى من غير علة .



في المال ثلاث خصال مذمومة: أما أن يكتسب من غير حقه، أو يمنع إنفاقه في حقه، أو يشتغل بإصلاحه عن عبادة الله تعالى .



يباعدك من غضب الله أن لا تغضب .



لا تستبدلن بأخ لك قديم أخاً مستفاداً ما استقام لك، فإنك إن فعلت فقد غيرت وإن غيرت تغيرت نعم الله عليك .



أشد من البلاء شماتة الأعداء .



ليس يزني فرجك إن غضضت طرفك .



كما ترك لكم الملوك الحكمة والعلم فاتركوا لهم الدنيا .



الهدية تفتقأ عين الحكيم .



ليكن أصدقاؤك كثيراً واجعل سرّك منهم إلى واحد .



يا عبید الدنیا کیف تخالف فروعکم أصولکم، وعقولکم أهواءکم، وقولکم شفاء یبریء الداء، وعملکم داء لا یقبل الدواء. ولستم کالکرمۃ التي حسن ورقها وطاب ثمرها وسهل مرتقاها، ولکنکم کالشجرة التي قل ورقها وكثر شوکها وخبت ثمرها وصعب مرتقاها، جعلتم العلم تحت أقدامکم والدنیا فوق رؤوسکم، فالعلم عندکم مذال ممتهن والدنیا لا یستطاع تناولها فقد منعتم کل أحد من الوصول إليها، فلا أحرار کرام أنتم ولا عبید أتقیاء، ويحکم یا أجراء السوء أما الأجر فتأخذون وأما العمل فلا تعملون فللعمل تفسدون وسوف تلقون ما تفعلون یوشک رب العمل أن ینظر فی عمله الذي أفسدتم وفي أجره الذي أخذتم یا غرساء السوء تبدأون بالهدية قبل قضاء الدين تتطوعون بالنوافل ولا تؤدّون الفرائض أن رب الدين لا یرضی بالهدية حتى یقضی دینه .



الدنيا مزرعة إبليس وأهلها أكره حراثون له فيها.



واعجباً ممن يعمل للدنيا وهو يرزق فيها بغير عمل ولا يعمل للآخرة وهو لا يرزق فيها إلا بالعمل.



لا تجالسوا إلا من يذكركم الله رؤيته ويزيد في عملكم منطقه ويرغبكم في الآخرة عمله.



كثرة الطعام تमित القلب كما تमित كثرة الماء الزرع.



ضرب الوالد للولد كالسماد للزرع.



إذا أردت أن تصادق رجلاً فاغضبه فإن أنصفك في غضبه وإلا فدعه.



إذا أتيت مجلس قوم فارمهم بسهم الإسلام ثم اجلس (يعني السلام) فإن أفاضوا في ذكر الله فاجعل سهمك مع سهامهم، وإن أفاضوا في غيره فخلهم وانهض.



الأوطار تكسب الأوزار فرفض وطرك واغضض بصرك.



إذا قعدت عند سلطان فليكن بينك وبينه مقعد رجل فلعله أن يأتيه من أثر عنده منك فيريد أن تتنحى عن مجلسك فيكون ذلك نقصاً عليك وشيناً.



ارحم الفقراء لقلّة صبرهم والأغنياء لقلّة شكرهم والجميع لطول غفلتهم.



العالم مصباح الله في الأرض فمن أراد الله به خيراً اقتبس منه.



لا يهونن عليك من قبح منظره ورث لباسه، فإن الله تعالى ينظر إلى القلوب ويجازي بالأعمال.



من كذب ذهب بماء وجهه ومن ساء خلقه كثر غمّه ونقل الصخور من مواضعها أهون من تفهيم من لا يفهم.



كنت في أيام رسول الله ﷺ كجزء من رسول الله ﷺ ينظر إلى الناس كما ينظر إلى الكواكب في أفق السماء ثم غض الدهر مني فقرن بي فلان وفلان ثم قرنت بخمسة أمثلهم عثمان فقلت وإذ فراه لم يرض الدهر لي بذلك حتى أرذلني فجعلني نظيراً لابن هند وابن النابغة لقد استنت الفصال حتى القرعى.



أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة أنه لعهد النبي الأمي إليّ ان الأمة ستغدر بك من بعدي.



لامته فاطمة عليها السلام على قعوده وأطالت تعنيفه وهو ساكت حتى أذن المؤذن، فلما بلغ إلى قوله: أشهد أن محمداً رسول الله قال لها: أتحبين أن تزول هذه الدعوة من الدنيا؟ قالت: لا. قال: فهو ما أقول لك.



قال لي رسول الله ﷺ: إن اجتمعوا عليك فاصنع ما أمرتك وإلا فالصق كلكلك بالأرض، فلما تفرقوا عني جررت على المكروه ذيلي واغضيت على القذى جفني وألصقت بالأرض كلكلي.



الدنيا حلم والآخرة يقظة ونحن بينهما أضغاث أحلام.



لما عرف أهل النقص حالهم عند أهل الكمال استعانوا بالكبر ليعظم صغيراً ويرفع حقيراً وليس بفاعل.



لو تميزت الأشياء كان الكذب مع الجبن، والصدق مع الشجاعة، والراحة مع اليأس، والتعب مع الطمع، والحرمان مع الحرص، والذل مع الدين.

٧٣٩

المعروف غلّ لا يفكّه إلاّ شكر أو مكافأة.

٧٤٠

كثرة مال الميت تسلي ورثته عنه.

٧٤١

من كرمت عليه نفسه هان عليه ماله.

٧٤٢

من كثر مزاحه لم يسلم من استخفاف به أو حقد عليه.

٧٤٣

كثرة الدين تحيج الصادق إلى الكذب والواعد إلى الاخلاف.

٧٤٤

عار النصيحة يكدر لذتها.

٧٤٥

أول الغضب جنون وآخره ندم.

٧٤٦

انفرد بسرك ولا تودعه حازماً فيزل ولا جاهلاً فيخون.

٧٤٧

لا تقطع أخاك إلاّ بعد عجز الحيلة عن استصلاحه، ولا تتبعه بعد القطيعة وقيعة فله فتسد طريقه عن الرجوع إليك ولعلّ التجارب أن تردّه عليك وتصلحه لك.

٧٤٨

من أحس بضعف حيلته عن الاكتساب يحل.

٧٤٩

- ٧٥٠ الجاهل صغير وإن كان شيخاً والعالم كبير وإن كان حدثاً.
- ٧٥١ الميت يقل الحسد له ويكثر الكرب عليه.
- ٧٥٢ إذا نزلت بك النعمة فاجعل قراها الشكر.
- ٧٥٣ الحرص ينقص من قدر الإنسان ولا يزيد في حظه.
- ٧٥٤ الفرصة سريعة الفوت بطيئة العود.
- ٧٥٥ أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه.
- ٧٥٦ لا تتبع الذنب العقوبة واجعل بينهما وقتاً للاعتذار.
- ٧٥٧ اذكر عند الظلم عدل الله فيك، وعند القدرة قدرة الله عليك.
- ٧٥٨ لا يحملنك الحنق على اقرار الإثم فتشفي غيظك وتسقم دينك.
- ٧٥٩ الملك بالدين يبقى والدين بالملك يقوى.
- ٧٦٠ كان الحاسد خلق ليغتاظ.
- ٧٦١ عقل الكاتب في قلمه.

اقتصر من شهوة خالفت عقلاً بالخلاف عليها .



اللهم صن وجهي باليسار ولا تبذل جاهي بالإقتار،
فاسترزق طالبني رزقك واستعطف شرار خلقك وابتلي
بحمد من أعطاني وافتن بدم من منعني وأنت من وراء
ذلك وليّ الإعطاء والمنع، إنك على كل شيء قدير .



كل حقد حقدته قريش على رسول الله ﷺ أظهرته فيّ
وستظهر في ولدي من بعدي، ما لي ولقريش إنما وترتهم
بأمر الله وأمر رسوله فهذا جزاء من أطاع الله ورسوله إن
كانوا مسلمين .



المؤمن محدث .



عجباً لسعد وابن عمر يزعمان أنني أحارب على الدنيا،
أفكان رسول الله ﷺ يحارب على الدنيا، فإن زعماً أن
رسول الله ﷺ حارب لتكسير الأصنام وعبادة الرحمن
ولدفع الضلال، فإنما حاربت للنهي عن الفحشاء
والفساد. أفمثلي يزن بحب الدنيا والله لو تمثلت لي بشراً
سويّاً .



اللهم أنت خلقتني كما شئت فارحمني كيف شئت ووفقني
لضربتها بالسيف، حتى تكون ثقتي كلها بك وخوفي كله
منك .



لا تسبن إبليس في العلانية وأنت صديقه في السرّ .



من لم يأخذ أهبة الصلاة قبل وقتها فما قرها .



لا تطمع في كل ما تسمع .



من عاتب ووبخ فقد استوفي حقه .



الجود الذي يستطيع أن يتناول به كل أحد هو أن ينوي
الخير لكل أحد .



من صحب السلطان بالنصيحة كان أكثر عدد ممن صحبه
بالغش والخيانة .



من عاب سفلأ فقد رفعه ومن عاب كريماً فقد وضع
نفسه .



الموالي ينصرون وبنو العم يحسدون .



الصدق عز والكذب مذلة، ومن عرف بالصدق جاز كذبه
ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه .



إذا سمعت الكلمة فطاطيء لها فإنها تتخطاك .



نحن نريد أن لا نموت حتى نتوب، ونحن لا نتوب حتى
نموت .



انزل الصديق منزلة العدو في رفع المؤونة عنه وانزل
العدو منزلة الصديق في تحمل المؤونة له .



أول عقولة الكاذب أن صدقه يرد عليه .



الأدب عند الأحمق كالماء العذب في أصول الحنظل،
كلما ازداد رياً ازداد مرارة .



إياكم وحمية الأوغاد فإنهم يرون العفو ضيماً.



الكريم لا يستقصي في محاقة المعتذر خوفاً أن يجزى من
لا يجد مخرجاً من ذنبه.



العفو عن المقر لا عن المصّر.



ما استغنى أحد بالله إلا افتقر الناس إليه.



من جاد بماله فقد جاد بنفسه فإن لم يكن جاد بها بعينها
فقد جاد بقوامها.



الدين ميسم الكرام وطالما وقر الكرام بالدين.



الماضي قبلك هو الباقي بعدك والتهنئة بأجل الثواب أولى
من التعزية بعاجل المصاب.



مما تكتسب به المحبة أن تكون عالماً كجاهل وواعظاً
كموعوظ.



لا تحمدون الصبي إذا كان سخياً فإنه لا يعرف فضيلة
السخاء وإنما يعطي ما في يده ضعفاً.



خير الإخوان من إذا استغنيت عنه لم يزدك في المودة
وإن احتجت إليه لم ينقصك منها.



عجباً لسلطان كيف يحسن وهو إذا ساء وجد من يزيه
ويمدحه.



إذا صادقت إنساناً وجب عليك أن تكون صديق صديقه
وليس يجب عليك أن تكون عدو عدوه لأن هذا إنما



يجب على خادمه وليس يجب على مماثل له .
ليس يكمل فضيلة الرجل حتى يكون صديقاً لمتعادين .



من سعادة الحدث أن لا يتم له فضيلة في رذيلة .



إذا منعت من شيء التمسته فليكن غيظك منه على نفسك
في المسألة أكثر من غيظك على من منعك .



الأسخياء يشتمون بالبخلاء عند الموت والبخلاء يشتمون
بالأسخياء عند الفقر .



ليس بضبط العدد الكثير من لا يضبط نفسه الواحدة .



إذا أحسن أحد من أصحابك فلا تخرج إليه بغاية برك
وليكن أثرك منه شيئاً تزيده آتاه عند تبينك منه الزيادة في
نصيحته .



الوقوع في المكروه أسهل من توقع المكروه .



الحسود ظالم ضعفت يده عن انتزاع ما حسدك عليه فلما
قصر عليك بعث إليك تأسفه .



أعمّ الأشياء نفعاً موت الأشرار .



الشيء المعزي للناس عن مصائبهم علم العلماء أنها نفعاء
اضطرارية وتأسى العامة بعضها ببعض .



العقل الإصابة بالظن ومعرفة ما لم يكن بما كان .



يا عجباً للناس قد مكنهم الله من الاقتداء به فيدعون ذلك إلى الاقتداء بالبهام.



سلوا القلوب عن المودات فإنها شهود لا تقبل الرشا.



إنما يحزن الحسدة أبداً لأنهم لا يحزنون لما ينزل بهم من الشرّ فقط بل ولما ينال الناس من الخير.



العشق جهد عارض صادق قلباً فارغاً.



تعرف خساسة المرء بكثرة كلامه فيما لا يعنيه وإخباره عمّا لا يسئل عنه.



لا تؤخر إنالة المحتاج إلى غد فإنك لا تعرف ما يعرض في غد.



أن تتعب في البر فإنّ التعب يزول والبر يبقى.



أجهل الجهّال من عثر بحجر مرتين.



كفاك موبخاً على الكذب علمك بأنك كاذب وكفاك ناهياً عنه خوفك من تكذيبك حال إخبارك.



العالم يعرف الجاهل لأنّه كان جاهلاً والجاهل لا يعرف العالم لأنّه لم يكن عالماً.



لا تتكلوا على البخت فربما لم يكن وربما كان وزال، ولا على الحسب فطالما كان بلاء على أهله يقال للناقص هذا ابن فلان الفاضل فيتضاعف غمّه وعاره. ولكن عليكم بالعلم والأدب، فإنّ العالم يكرم وإن لم ينتسب



ويكرم وإن كان فقيراً ويكرم وإن كان حدثاً.



خير ما عوشر به الملك قلة الخلاف وتخفيف المؤونة.
وأصعب الأشياء على الإنسان أن يعرف نفسه وأن يكتم
سرّه.



العدل أفضل من الشجاعة لأنّ الناس لو استعلوا العدل
عموماً في جميعهم لاستغنوا عن الشجاعة.



أولى الأشياء أن يتعلمها الأحداث الأشياء التي إذا
صاروا رجالاً احتاجوا إليها.



لا ترغب في اقتناء الأموال وكيف ترغب فيما ينال بالبخت
لا بالاستحقاق ويأمر البخل والشر بحفظه والجود والزهد
بإخراجه.



إذا عاتبت الحدث فاترك له موضعاً من ذنبه لئلا يحمله
الإخراج على المكابرة.



ما انتقم الإنسان من عدوه بأعظم من أن يزداد من
الفضائل.



إنّما لم تجتمع الحكمة والمال لعزة وجود الكمال.



يمنع الجاهل أن يجد ألم الحمق المستقر في قلبه ما يمنع
السكران أن يجد مسّ الشوكة في يده.



القنية مخدومة ومن خدم غير نفسه فليس بحرّ.



لا تطلب الحياة لتأكل بل اطلب الأكل لتحيا.

٨٢٦

إذا رأت العامة منازل الخاصة من السلطان حسدتها عليها
وتمنت أمثالها، فإذا رأت مصارعها بدا لها.

٨٢٧

ليس ينبغي أن يقع التصديق إلاّ بما يصح، ولا العمل إلاّ
بما يحل، ولا الابتداء إلاّ بما تحسن فيه العاقبة.

٨٢٨

لكل شيء صناعة وحسن الاختيار صناعة العقل.

٨٢٩

من حسدك لم يشكرك على إحسانك إليه.

٨٣٠

البغي آخر مدة الملوک.

٨٣١

لأن يكون الحر عبداً لعبيده خير من أن يكون عبداً
لشهواته.

٨٣٢

من أمضى يومه في غير حق قضاءه أو فرض أداه أو مجد
بناه أو حمد حصله أو خير أسسه أو علم اقتبسه، فقد
عقّ يوماً.

٨٣٣

أرسل إليه عمرو بن العاص يعيبه بأشياء منها أنه يسمي
حسناً وحسيناً ولدي رسول الله ﷺ، فقال لرسوله: قل
للشاني ابن الشاني لو لم يكونا ولديه لكان أبتراً كما زعمه
أبوك.

٨٣٤

قال معاوية لما قتل عمّار واضطرب أهل الشام لرواية
عمر بن العاص كانت لهم تقتله الفئة الباغية إنّما قتله من
أخرجه للحرب وعرضه للقتل، فقال أمير المؤمنين ﷺ:
فرسول الله ﷺ قاتل حمزة.

هذا يدي يعني محمّد بن الحنفية، وهذان عينا ي يعني
حسناً وحسيناً وما زال الإنسان يذب بيده عن عينيه قال
لمن قال له إنك تعرض محمّداً للقتل وتقذف به في نحور
الأعداء دون أخويه .



شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب ورزقت خيره
وبرّه خذليك أبا الأملاك، قالها لعبد الله بن العباس لما
ولد ابنه علي بن عبد الله .



ما يسرني أني كفيت أمر الدنيا كله لأنني أكره عادة
العجرة .



اجتماع المال عند الأسخياء أحد الخصبين، واجتماع
المال عند البخلاء أحد الجدبين .



من عمل عمل أبيه كفى نصف التعب .

المصطنع إلى اللئيم كمن طوق الخنزير تبرأ وقرط الكلب
درراً وألبس الحمار وشياً وألقم الأفعى شهداً .



الحازم إذا أشكل عليه الرأي بمنزلة كمن أضل لؤلؤة
فجمع ما حول مسقطها من التراب، ثم التمسها حتى
وجدتها . وكذلك الحازم يجمع وجوه الرأي في الأمر
المشكل ثم يضرب بعضه ببعض حتى يخلص إليه
الصواب .



الأشراف يعاقبون بالهجران لا بالحرمان .



والشح أضر على الإنسان من الفقر لأنّ الفقير إذا جد
اتسع والشحيح لا يتسع وإن وجد .



أحب الناس إلى العاقل أن يكون عاقلاً عدوه لأنه إذا كان عاقلاً كان منه في عافية .



عليك بمجالسة أصحاب التجارب فإنها تقوم عليهم باغلاء الغلاء وتأخذها منهم بأرخص الرخص .



من لم يحمدك على حسن النية لم يشكرك على جميل العطية .



لا تنكحوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يزيدهن، ولا لأموالهن فعسى أموالهن أن يطغيهن . وانكحوهن على الدين ولأمة سوداء خرساء ذات دين أفضل .



أفضل العبادة الإمساك عن المعصية والوقوف عند الشبهة .



ذم الرجل نفسه في العلانية مدح لها في السر .



من عدم فضيلة الصدق في منطقه فقد فجع بأكرم أخلاقه .



ليس يضرّك أن ترى صديقك عند عدوك فإنه إن لم ينفعك لم يضرّك .



قل أن ترى أحداً تكبر على من دونه إلا وبذلك المقدار وجود بالذل لمن فوقه .



من عظمت عليه مصيبة فليذكر الموت فإنها تهون عليه، ومن ضاق به أمر فليذكر القبر فإنه يتسع .



خير الشعر ما كان مثلاً، وخير الأمثال ما لم يكن شعراً .



ألق الناس عند حاجتهم إليك بالبشر والتواضع، فإن
نابتك نائبة وحالت بك حال لقيتهم وقد أمنت ذلة التنصل
إليهم والتواضع والاعتذار.



إن الله يحب أن يعفى عن ذلة السرى.



من طال لسانه وحسن بيانه فليترك التحدث بغرائب ما
سمع فإن الحسد لحسن ما يظهر منه يحمل أكثر الناس
على تكذيبه ومن عرف أسرار الأمور الإلهية فليترك
الخوض فيها وإلا جملتهم المنافسة على تكفيره.



ليس كل مكتوم يسوغ إظهاره لك ولا كل معلوم يجوز أن
تعلمه غيرك.



ليس يفهم كلامك من كان كلامه لك أحب إليه من
الاستماع منك، ولا يعلم نصيحتك من غلب هواه على
رأيك ولا يسلم لك من اعتقد أنه أتم معرفته بما أشرت
عليه به منك.



خف الضعيف إذا كان تحت راية الإنصاف أكثر من
خوفك القوي تحت راية الجور، فإن النصر يأتيه من
حيث لا يشعر وجرحه لا يندمل.



إخافة العبيد والتضييق عليهم يزيد في عبوديتهم وصيانتهم
وإظهار الثقة بهم يكسبهم أنفة وجبرية.



أضر الأشياء عليك أن تعلم رئيسك أنك أعرف بالرياسة
منه.



عداوة العاقلين أشد العداوة وأنكاها فإنها لا تقع إلا بعد



الإعذار والإنذار وبعد أن يئس صلاح ما بينهما .

لا تتخذ من رئيساً كنت تعرفه بالخمول وسمت به الحال
ويعرف منك أنك تعرف قديمه، فإنه وإن سر بمكانتك من
خدمته إلا أنه يعلم العين التي تراه بها فينقبض عنك
بحسب ذلك .



إذا احتجت إلى المشورة في أمر قد طرأ عليك فاستبد
ببداية الشبان، فإنهم أحد أذهاناً وأسرع حدساً . ثم رده
بعد ذلك إلى رأي الكهول والشيخ ليستعقوه ويحسنوا
الأخبار له فإن تجربتهم أكثر .



الإنسان في سعيه وتصرفاته كالعائم في اللجة فهو يكافح
الحرية في إدباره ويجري معها في إقباله .



ينبغي للعاقل أن يستعمل فيما يلتمسه الرفق ومجانبة
الهذر، فإن العلقة تأخذ بهدوئها من الدم ما لا تأخذه
البعوضة باضطرابها وفرط صياحها .



أقوى ما يكون التصنع في أوائله وأقوى ما يكون الطبع
في أواخره .



غاية المروءة أن لا يستحي الإنسان من نفسه وذلك أنه
ليس العلة في الحياء من الشيخ كبر سنّه ولا بياض
لحيته، وإنما علة الحياء منه عقله فينبغي إن كان هذا
الجوهر فينا أن نستحي منه ولا تحضره قبيحاً .



من ساس رعيته حرم عليه السكر عقلاً لأنه قبيح أن
يحتاج الحارس من يحرسه .



لا تتاعن مملوكاً قوي الشهوة إلى مولى غيرك وغضوباً،
فإنه يؤذيك في استخدامك ولا قوي الرأي فإنه يستعمل



الحيلة عليك . لكن اطلب من العبيد من كان قوي الجسم
حسن الطاعة شديد الحياء .

لا تعادوا الدول المقبلة وتشربوا قلوبكم بغضها فتدبروا
بإقبالها .

الغريب كالغرس الذي زایل شربه وفارق أرضه فهو ذاو
لا يتقد وذابل لا يثمر .

السفر قطعة من العذاب ورفيق السوء قطعة من النار .

كل خلق من الأخلاق فإنه يكسد عند قوم من الناس إلا
الأمانة خانها نافقة عند أصناف الناس يفضل بها من
كانت فيه حتى إن الآنية إذا لم تنشف وبقي ما يودع فيها
على حاله لم ينقص كانت أكثر ثناء من غيرها مما ترشح
أو ينشف .

اصبر على سلطانك في حاجاتك فليست أكبر شغله ولا
بك قوام أمره .

قوة الاستسعار من ضعف اليقين .

إذا أحسست من رأيك باكداد ومن تصورك بفساد، فاتهم
نفسك بمجالستك لعامي الطبع أو لسيء الفكر، وتدارك
إصلاح مزاج تخيلك بمكثرة أهل الحكمة ومجالسة ذوي
السعادة، فإن مفاوضتهم تريح الرأي المكدود وترد ضالة
الصواب المفقود .

من جلس في ظل الملق لم يستقر به موضعه لكثرة تنقله
وتصرفه مع الطباع وعرفه الناس بالخدیعة .

كثير من الحاجات تقضى برماً لا كرمًا.



أصحاب السلطان في المثل كقوم رقوا جبلاً ثم سقطوا
منه فأقربهم إلى الهلكة والتلف أبعدهم كان في المرتقى.



لا تضع سرّك عند من لا سرّ له عندك.



سعة الأخلاق كمناة الأرزاق.



العلم أفضل الكنوز وأجملها خفيف المحمل عظيم
الجدوى في الملاء جمال وفي الوحدة أنس.



السباب مزاح النوكى ولا بأس بالمفاكهة يروح بها
الإنسان عن نفسه ويخرج عن حدّ العبوس.



ثلاثة أشياء تدلّ على عقول أربابها: الهدية والرسول
والكتاب.



التعزية بعد ثلاثة تجديد للمصيبة، والتهنئة بعد ثلاث
استخفاف بالمودة.



أنت مخير في الإحسان إلى من تحسن إليه، ومرتهن
بدوام الإحسان إلى من أحسنت إليه لأنك إن قطعته فقد
أهدرتة وإن أهدرتة فلم فعلته.



إذا كان الإيجاز كافياً كان الإكثار عيباً، وإذا كان الإيجاز
مقصراً كان الإكثار واجباً.



بئس الزاد المعاد العدوان على العباد.



الخلق عيال الله وأحبّ الناس إلى الله أشفقهم على عياله. ٨٩١

تحريك الساكن أسهل من تسكين المتحرك. ٨٩٢

العاقل بخشونة العيش مع العقلاء آنس منه بلين العيش مع السفهاء. ٨٩٣

الانقباض بين المنبسطين ثقل والانبساط بين المنقبضين سخف. ٨٩٤

السخاء والجود بالطعام لا بالمال ومن وهب ألفاً وشحّ بصحفة طعام ليس بجواد. ٨٩٥

إن بقيت لم يبق لهم لا يقوم عن الغضب بذلة الاعتذار. ٨٩٦

الشفيع جناح الطالب. ٨٩٧

الأمل رفيق مؤنس إن لم يبلغك فقد استمتعت به. ٨٩٨

إعادة الاعتذار تذكير بالذنب. ٨٩٩

الصبر في العواقب شاف أو مريح. ٩٠٠

لا نعمة في الدنيا أعظم من طول العمر وصحة الجسد. ٩٠١

الناس رجلان إما مؤجل بفقد أحبائه أو معجل بفقد نفسه. ٩٠٢

العقل غريزة تربيها التجارب .



النصح بين الملاء تقريع .



لا تنكح خاطب سرك .



من زاد أدبه على عقله كان كالراعي الضعيف مع الغنم
الكثير .



الدار الضيقة العمى الأصغر .



التمام جسر الشر لا تشن وجه العفو بالتقريع .



كثرة النصح تهجم بك على كثرة الظنة ولكل ساقطة
لاقطة .



ستساق ما أنت لاق .



عاداك من لاحاك وجدك لا كدك .



تذكر قبل الورد الصدر والحذر لا يغني من القدر والصبر
من أسباب الظفر .



عار النساء باق يلحق الأبناء بعد الآباء .



أعجل العقوبة عقوبة البغي والعذر واليمين الكاذبة ومن ذا
تضرع إليه وسئل العفو لم يغفر .



٩١٥ لا ترد بأس العدو والقوي وغضبه بمثل الخضوع والذل
كسلامة الحشيش من الريح العاصف بانثائه معها كيفما
مالت.

٩١٦ قارب عدوك بعض المقاربة تنل حاجتك ولا تفرط في
مقاربتك فتذل نفسك وناصرك، وتأمل حال الخشبة
المنصوبة في الشمس التي إن أملتها زاد ظلها وإن
أفرطت في الإمالة نقص الظل.

٩١٧ إذا زال المحسود عليه علمت أن الحاسد كان على غير
شيء.

٩١٨ العجز نائم والحزم يقظان.

٩١٩ من تجرأ لك تجرأ عليك.

٩٢٠ ما عفا عن الذنب من قرع به.

٩٢١ عبد الشهوة أذلّ من عبد الرق.

٩٢٢ ليس ينبغي للعاقل أن يطلب طاعة غيره وطاعة نفسه عليه
ممتنعة.

٩٢٣ الناس رجلان واحد لا يكتفي وطالب لا يجد.

٩٢٤ كلما كثر خزان الأسرار زادت ضياعاً.

٩٢٥

كثرة الآراء مفسدة، كالقدر لا تطيب إذا كثر طبأخوها.

٩٢٦

من اشتاق خدام، ومن خدم اتصل، ومن اتصل وصل،
ومن وصل عرف.

٩٢٧

عجباً لمن يخرج إلى البساتين للفرجة على القدرة وهلا
شغلته رؤية القادر عن رؤية القدرة.

٩٢٨

كل الناس أمروا بأن يقولوا لا إله إلا الله، إلا رسول الله
فإنه رفع قدره عن ذلك وقيل له فاعلم أنه لا إله إلا الله
فأمر بالعلم لا بالقول.

٩٢٩

كل مصطنع عارفة فإنما يصنع إلى نفسه فلا تلتمس من
غيرك شكر ما أتيت به إلى نفسك وتممت به لذتك ووقيت به
عرضك.

٩٣٠

ولدك ربحانتك سبعا وخادمك سبعا ثم هو عدوك أو
صديقك.

٩٣١

من قبل معروفك فقد باعك مروءته.

٩٣٢

إلى الله أشكو بلادة الأمين ويقظة الخائن.

٩٣٣

من أكثر المشورة لم يعد عند الصواب مادحاً وعند
الخطأ عاذراً.

٩٣٤

من كثر حقه قل عتابه.

٩٣٥

كلما حسنت نعمة الجاهل ازداد قبحاً فيها.

إخوان السوء كشجرة النار تحرق بعضها بعضاً وزلة
العالم كانكسار السفينة تغرق ويغرق معها خلق.



أهون الأعداء كيداً أظهرهم لعداوته.



ابق لرضاك من غضبك وإذا طرت فقع قريباً.



لا تلتبس بالسلطان في وقت اضطربت الأمور عليه فإن
البحر لا يكاد يسلم صاحبه في حال سكونه، فكيف يسلم
في اختلاف رياحه واضطراب أمواجه.



إذا خلى عنان العقل ولم يحبس على هوى نفس أو عادة
دين أو عصبية لسلف ورد بصاحبه على النجاة.



إذا زادك الملك تأنيساً فزده إجلالاً.



من تكلف ما لا يعنيه فاته ما يعنيه.



قليل يترقى منه إلى كثير خير من كثير ينحط عنه إلى
قليل.



جنبوا موتاكم في مدافنهم جار السوء فإنّ الجار الصالح
ينفع في الآخرة كما ينفع في الدنيا.



زر القبور تذكر بها الآخرة وغسل الموتى يتحرك قلبك،
فإنّ الجسد الخاوي عظة بليغة وصلّ على الجنائز لعلّه
يحزنك فإنّ الحزين قريب من الله.



الموت خير للمؤمن والكافر أما المؤمن فيتعجل له النعيم
وأما الكافر فيقل عذابه، وآية ذلك من كتاب الله تعالى:



﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ .

جزعك في مصيبة صديقك أحسن من صبرك وصبرك في مصيبتك أحسن من جزعك .



من فعل ما شاء لقي ما لا يشاء .



من خاف إساءتك اعتقد مساءتك ، ومن رهب صولتك ناصب دولتك .



يسرني من القرآن كلمة أرجوها لمن أسرف على نفسه ، قال جلّ جلاله : ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فجعل الرحمة عموماً والعذاب خصوصاً .



الاستئثار يوجب الحسد والحسد ، يوجب البغضة والبغضة ، توجب الاختلاف والاختلاف ، يوجب الفرقة ، والفرقة توجب الضعف ، والضعف يوجب الذل ، والذل يوجب زوال الدولة وذهاب النعمة .



لا يكاد يصح رؤيا الكذاب لأنه يخبر في اليقظة بما لم يكن فأحرى به من يرى في المنام ما لا يكون .



لا يفسدك الظن على صديق قد أصلحك اليقين له .



لا تكاد الظنون تزدهم على أمر مستور إلا كشفته .



المشورة راحة لك وتعب على غيرك .



٩٥٦

حق كل سرّ أن يصاب وأحق الأسرار بالصيانة سرّك مع مولاك وسرّه معك واعلم أن من فضح فضح ومن باح فلدمه أباح .

٩٥٧

يا من لم يجتاب الجلال احفظ ما عرفت واكتم ما استودعت اعلم أنك قد رشحت الأمر، فافطن له ولا ترض لنفسك أن تكون خائناً فمن لم يؤدّ الأمانة فيما استودع اخلق الناس بسمة الخيانة وأجدر الناس بالإبعاد والإهانة .

٩٥٨

لا تعامل العامة فيما أنعم به عليك من العلم كما تعامل الخاصة، واعلم أن الله سبحانه رجالاً أودعهم أسراراً خفية ومنعهم عن إشاعتها واذكر قول العبد الصالح لموسى وقد قال له : ﴿ هَلْ أَتَيْتَ عَلَيَّ أَنْ تَعْلِمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴾ (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ .

٩٥٩

لكل دار باب وباب دار الآخرة الموت .

٩٦٠

إن لك فيمن مضى من آبائك وإخوانك لعبرة وإن ملك الموت حل على داود النبي : فقال : من أنت قال : من لا يهاب الملوك ولا تمتنع منه القصور ولا يقبل الرشا : قال : فإذا أنت ملك الموت جئت ولم استعد بعد . فقال : فأين فلان جارك أين فلان نسيبك؟ قال : ماتوا ، قال : ألم يكن لك في هؤلاء عبرة لتستعد .

٩٦١

ما أخسر صفقة الملوك إلا من عصم الله باعوا الآخرة بنومة .

٩٦٢ إن هذا الموت قد أفسد على الناس نعيم الدنيا فما لكم لا تلتمسون نعيماً لا موت بعده.

٩٦٣ انظر العمل الذي يسرك أن يأتيك الموت وأنت عليه، فافعله الآن فلست تأمن أن تموت الآن.

٩٦٤ لا تستبطيء القيامة فتسكن إلى طول المدة الآتية عليك بعد الموت فإنك لا يفرق بعد عودك بين ألف سنة وبين ساعة واحدة ثم قرأ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّزَّ يَلْبِثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾.

٩٦٥ لا بد لك من رفيق في قبرك فاجعله حسن الوجه طيب الريح وهو العمل الصالح.

٩٦٦ رب مرتاح إلى بلد وهو لا يدري أن حمامه في ذلك البلد.

٩٦٧ الموت قانص يصمى ولا يشوى.

٩٦٨ ما من يوم إلا يتصفّح ملك الموت فيه وجوه الخلائق فمن رآه على معصية أو لهو أو رآه ضاحكاً فرحاً، قال له يا مسكين ما أغفلك يراد بك إعمل ما شئت فإن لي فيك غمرة أقطع بها وتينك.

٩٦٩ إذا وضع الميت في قبره اعتورته نيران أربع فتجيء الصلاة فتطفئ واحدة، ويجيء الصوم فيطفئ واحدة، وتجيء الصدقة فتطفئ واحدة، ويجيء العلم فيطفئ الرابعة، ويقول له أدركتهن لأطفأتهن كلهن فقرّ عيناً فأنا معك ولن ترى بؤساً.



استجبروا بالله تعالى واتسخيروه في أموركم، فإنه لا يسلم مستجيراً ولا يحرم مستخيراً.



ألا أدلكم على ثمرة الجنة: لا إله إلا الله بشرط الإخلاص.



من شرف هذه الكلمة وهي الحمد لله أن الله جعلها فاتحة كتابه وجعلها خاتمة دعوى أهل جنته فقال وآخر دعواهم الحمد لله رب العالمين.



اذكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء وسط الهشيم، وكالدار العامرة بين الربوع الخربة.



أفضل الأعمال أن تموت ولسانك رطب بذكر الله سبحانه.



الذكر ذكران أحدهما ذكر الله تحميده فيما أحسنه وأعظم أجره، والثاني ذكر الله عندما حرم الله وهو أفضل من الأول.



ما أضيقت الطريق على من لم يكن الحق تعالى دليلاً وما أوحشها على من لم يكن ألبسه ومن اعتز بغير الله ذلّ ومن تكثر بغير الله قلّ.



رأس الآفات الوله بالذات.



رب نطق أحسن منه الصمت.



راكب العنف يتعذر عليه مطلبه.

رضاك عن نفسك من فساد عقلك . ٩٨٠

زلة اللسان أنكى من إصابة السنان . ٩٨١

زين الدين الصبر والرضا . ٩٨٢

سبب فساد العقل حب الدنيا . ٩٨٣

سلاح المؤمن الصبر على البلاء والشكر على الرخاء . ٩٨٤

سفك الدماء بغير حقها يدعو إلى حلول النعمة وزوال النعمة . ٩٨٥

شر الناس من يرى أنه خيرهم . ٩٨٦

صلاح الإنسان في حبس اللسان وبذل الإحسان . ٩٨٧

ضالة العاقل الحكمة فهو أحق بها حيث كانت . ٩٨٨

طوبى لمن أطاع محمود تقواه وعصى مذموم هواه . ٩٨٩

اللهم فهت عن مسألتي أو عهت عن طلبتي ، فدلني على مصالحني وخذ بناصيتي إلى مرشدني . اللهم احملني على عفوك ولا تحملني على عدلك . ٩٩٠

مخ الإيمان التقوى والورع، وهما من أفعال القلوب
وأحسن أفعال الجوارح أن لا تزال مالكاً فاك بذكر الله
سبحانه .



اللهم فرغني لم خلقتني ولا تشغلني بما تكلفت لي بي
وتحرمني وأنا أسألك، ولا تعذبني وأنا استغفرك .



سبحان من ندعوه لحظنا فيسرع ويدعونا لحظنا، فنبطىء
خيره إلينا نازل وشرنا إليه صاعد وهو مالك قادر .



اللهم أنا نعوذ بك من بيات غفلة وصباح ندامة .



اللهم إنني استغفرك لما تبت منه إليك ثم عدت فيه
واستغفرك لما وعدتك عن نفسي ثم أخلفتك، واستغفرك
للنعم التي أنعمت بها علي فقويت بها على معصيتك .
وأعوذ بك أن أقول حقاً ليس فيه رضاك التمس به أحداً
سواك . وأعوذ بك أن أتزين للناس بشيء يشينني عندك .
وأعوذ بك أن يكون أحد من خلقك أسعد بما علمتني
مني .



يا من ليس إلا هو يا من لا يعلم ما هو إلا هو اعف
عني .



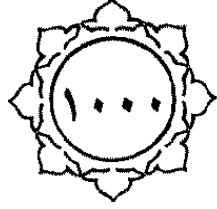
اللهم إن الآمال منوطة بكرمك فلا تقطع علائقها
بسخطك اللهم إنني أبرأ من الحول والقوة إلا بك وأدراً
بنفسي عن التوكل على غيرك .



اللهم صل على محمد وآل محمد كلما ذكره الذاكرون،
وصل على محمد وآل محمد كلما غفل عن ذكره
الغافلون، اللهم صل على محمد وآل محمد عدد كلماتك



وعدد معلوماتك صلاة لا نهاية لها ولا غاية لأمدها.
سبحان الواحد الغني عن كل شيء ولا شيء من الأشياء
يغني عنه.



يا الله يا رحمن يا رحيم يا قيوم يا بديع السماوات يا ذا
الجلال والإكرام اعف عني.

الفهرس

مقدمة الناشر ٥

علي والقرآن

الإسلام وضربه علي يوم الخندق ٩

القرآن والفلسفة ١٧

غاية الفلسفة عند الإمام ٢٥

أستاذ الكل ٣٣

المغيبات ٣٧

علي في بعض خصائصه ٤٧

الإناء ينضح بما فيه ٥٧

مناظرة المأمون مع العلماء ٦٥

الشيعة ٧١

مولد الإمام وأولاده ٧٧

إمامة علي والعقل

أكثرهم للحق كارهون ٨٣

صلة الإمامة بالعقل ٨٨

٩٥ من العدالة الإلهية
١٠٥ بين محمد وعيسى وعلي
١١٧ الخليفة
١٢٧ مع النشار في نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام
١٤٧ ألف حكمة لإمام علي <small>عليه السلام</small>
٢٦٣ الفهرس



